مع ..

ابن خلدون ..

في رحلته

تقديم إسماعيل سراج الدين

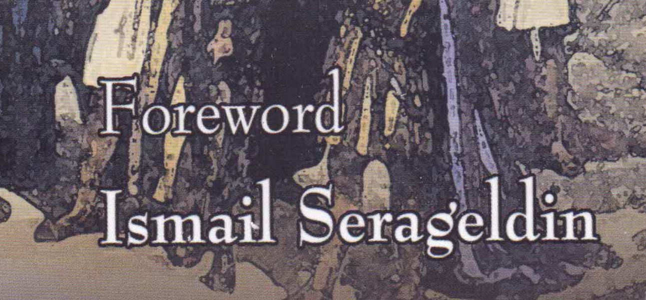
إعداد خالد عزب

محمد السيد

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الإسكندرية

With Ibn Khaldun.. on His Journey



Foreword
Ismail Serageldin



ISBN 977-6163-55-8

مع ..

ابن خلدون ..

في رحلته



مع.. ابن خلدون .. في رحلته

تقديم
إسماعيل سراج الدين

تحرير
خالد عزب
محمد السيد

التصميم والإخراج الفني
هبة الله حجازي

مراجعة لغوية
أحمد شعبان

(يوجد بالكتاب باللغة الإنجليزية تقديم للدكتور **إسماعيل سراج الدين**)



مع ..
ابن خلدون ..
في رحلته

تقديم إسماعيل سراج الدين
إعداد خالد عزب
محمد السيد

2006

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

مع ابن خلدون في رحلته / تقديم إسماعيل سراج الدين ؛ تحرير خالد عزب، محمد السيد. - [الإسكندرية : مكتبة الإسكندرية، 2006]

ص. سم.

تدمك 977-6163-55-8

1. ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الأشبيلي، 732-808 هـ.

2. المؤرخون العرب -- تراجم. 3. الفلاسفة المسلمون -- تراجم. أ. عزب، خالد (محرر) ب. السيد، محمد (محرر)

ديوي -907.202 2006317412

ISBN 977-6163-55-8

طبع في القاهرة - جمهورية مصر العربية

2000 نسخة

المحتوى

تقديم

لماذا ابن خلدون؟

تحتفل مصر ومعها العالم كله، هذا العام بمرور ستمائة عام على رحيل ابن خلدون، ذلك العبقري الذى استطاع بتدفق أفكاره واستيعابه لمعطيات العصر، أن يقدم لنا رائعته المقدمة، نتفق معه أو نختلف، نراه مبدعًا كما يراه القلة، لكنه في النهاية صاحب إبداع ندر أن يأتي بمثله، التجربة التاريخية كانت نبراسه، والحقيقة كانت غايته، والتحليل وسيلته، احتار العلماء في نسبة مقدمته، هل هي الأساس لعلم الاجتماع؟ أم الانطلاقة لعلم العمران؟ أم هي فلسفة التاريخ في أزهى صورها؟، هذه الحيرة نتجت عن كونها سبرت أغوار علوم عدة، جمعها جمعًا ليس بقصد حشد المعلومة، بل بتوظيف العلم في محله الصحيح، كان فيها لعوارض انهيار الحضارة الإسلامية، ولتفكك ديار الإسلام. إن حاجتنا الماسة اليوم للنظر في مقدمة ابن خلدون، هي الحاجة لاستلهام أسباب انهيار وقيام الأمم، وتضامن وتفكك المجتمعات. إن العديد من العلوم الإنسانية المعاصرة تعود دائما إلى جذور الفكر الخلدوني، بدءًا من علم التاريخ، العلوم السياسية، الانثربولوجيا، علم الآثار، الاقتصاد، فابن خلدون الملهم، نتاج حضارة عظيمة تراكمت لديها الخبرات والتجارب والعلوم والمعارف، فصهرها ابن خلدون معبرًا بفكره عن شموخ الفكر العربي الإسلامي. لفت نظري في المقدمة دائما، فكرة الحوار عند كاتبها، في بعض الأحيان الحوار مع ذاته، وهي للأسف لم يتم ترسيخها.

إن حرصنا في مكتبة الإسكندرية على المشاركة في هذه الاحتفالية يجيء من رغبتنا في التأكيد على أهمية العلم والعلماء في حياة الأمم، فكما احتفلنا بمئوية أينشتين، ومئوية الإمام محمد عبده، نشترك سويًّا؛ المجلس الأعلى للثقافة ودار الكتب المصرية ومكتبة الإسكندرية، للاحتفاء بابن خلدون؛ هذا العالم الذي عاش ودفن في مصر، وكانت فكرة ثاقبة من الدكتور خالد عزب أن يقدم رحلة ابن خلدون في ضوء عصرها، بصورة معاصرة، تجذب القارئ، وتجعله يقرأ عصر ابن خلدون من خلال النص والصورة، فيعرف أبرز الأماكن التي مر بها أو زارها، والشخصيات التي التقى بها، نمط جديد في أدب الرحلات قدمه لنا مع زميله محمد السيد، فإليهما أقدم خالص تحياتي وتقديري الخاص للمجهود الذي بذلاه مع الزميلة هبة الله حجازي التي قامت بإخراج هذا العمل.

إسماعيل سراج الدين
مدير مكتبة الإسكندرية

مقدمة

مع ابن خلدون

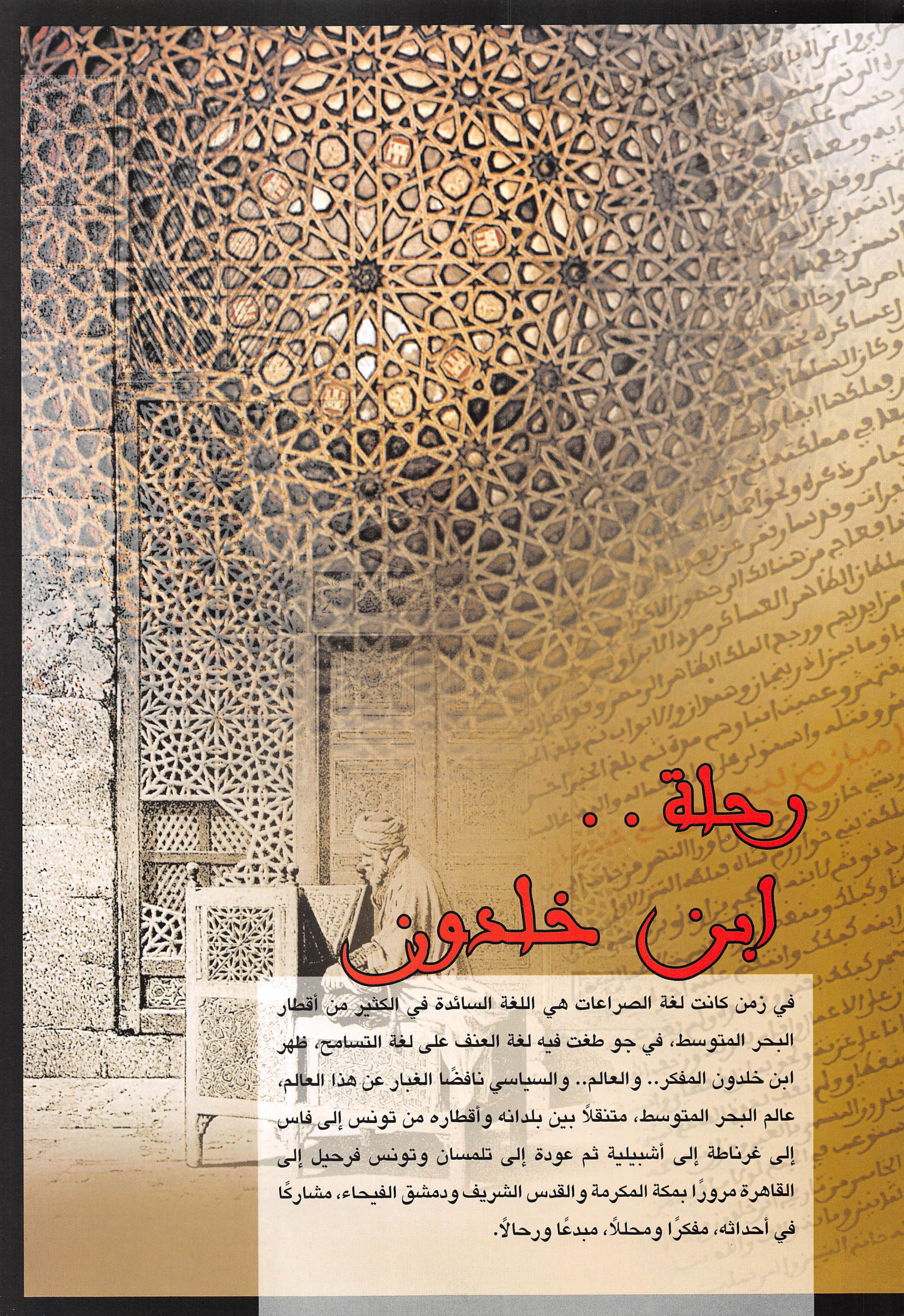
مع ابن خلدون في رحلته، نمط جديد من أدب الرحلات، رأيت أن أقدمه للمحبين لهذا الرائد، الذي ألهمني فكرة أطروحتي للدكتوراة، ولعي به ليس له حدود، حين زرت غرناطة في يوليو 2006، وجدت إسبانيا تحتفي به، وحين زرت قصور الحمراء حيث عاش ردحًا من الزمن، قفزت إلي فكرة هذا العمل، وعندما طرحتها في اجتماعات اللجنة التحضيرية لاحتفالية ابن خلدون وجدت ترحيبًا حارًا، فاخترت زميلي محمد السيد ليشاركني في إعداد هذا العمل في صورته التي بين يدي القارئ، مجهود شاق لتقديم النص في صورة مبسطة، فهناك بون شاسع بين لغة ابن خلدون في رحلته، وبين اللغة المعاصرة، فابن خلدون الشاعر والأديب يخاطب بلغته معاصريه، الذين كانوا يتذوقون اللغة العربية في أرقى صورها، الآن اللغة العربية وتعابيرها أكثر بساطة، ولكن مع رشاقة وانسياب، كما أن الكتاب أصبح له منافسون عديدون، لذا بات التعبير عن الرحلة بالصورة التي تعود بالخيال إلى عصر ابن خلدون، ما يضع قارئ النص في أجواء العصر الذي عاش فيه صاحب هذه التجربة الثرية، فسيرى القارئ صورًا من المغرب إلى الأندلس إلى مصر إلى الشام والحجاز، سيرحل القارئ عبرها، ومع النص مع ابن خلدون في رحلته وحياته، جعلنا القارئ يعيش في نفس الأماكن التي درس بها ابن خلدون وعمل فيها، وارتحل إليها، إلى مدفنه، كما جعلنا القارئ يتعرف على معاصري ابن خلدون من السلاطين ورجال الدولة والعلماء والأدباء، نعرِّفه بروائع الفن الإسلامى في عصر ابن خلدون، ليرى الجميع كيف كان الإتقان والإبداع فى عصر ابن خلدون، فمني ومن زميلي محمد السيد، دعوة لكم لترحلوا معنا، مع ابن خلدون في رحلته.

خالد عزب

مدير إدارة الإعلام

مكتبة الإسكندرية





رحلة.. ابن خلدون

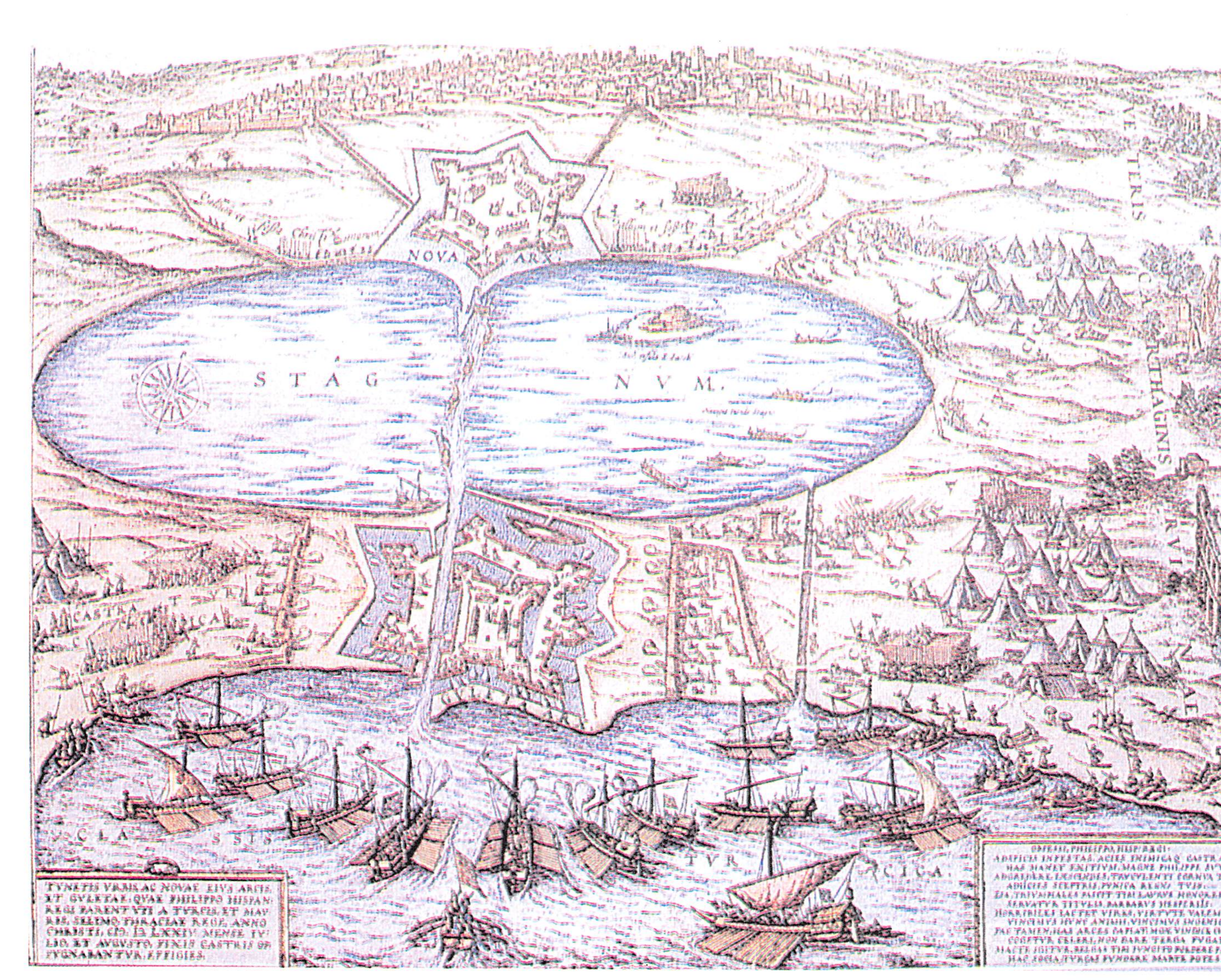
في زمن كانت لغة الصراعات هي اللغة السائدة في الكثير من أقطار البحر المتوسط، في جو طغت فيه لغة العنف على لغة التسامح، ظهر ابن خلدون المفكر.. والعالم.. والسياسي نافضًا الغبار عن هذا العالم، عالم البحر المتوسط، متنقلاً بين بلدانه وأقطاره من تونس إلى فاس إلى غرناطة إلى أشبيلية ثم عودة إلى تلمسان وتونس فرحيل إلى القاهرة مرورًا بمكة المكرمة والقدس الشريف ودمشق الفيحاء، مشاركًا في أحداثه، مفكرًا ومحللاً، مبدعًا ورحالاً.

في تونس

مولده وأصله...

ولد المؤرخ، السياسي، الفيلسوف الاجتماعي... "ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون"، حسبما يذكر ابن خلدون نفسه في تعريفه، في مدينة تونس في غرة شهر رمضان سنة 732هـ، في دار لا تزال باقية، تقع في أحد شوارع المدينة القديمة وهو شارع "تربة باي"، كان يشغلها مدرسة الإدارة العليا.

خريطة لمدينة تونس تعود للقرن 17م





تمثال ابن خلدون – تونس

ولد ابن خلدون لأسرة عريقة عرفت بمكانتها في بلاط ملوك وأمراء المغرب والأندلس، يرجع أصوله إلى عرب حضرموت اليمنيين حيث يرجع ابن خلدون نسبه إلى وائل بن حجر، إذ ينتمي ابن خلدون إلى بيت من بيوت الرياسة في الأندلس يرجع إلى عصر فتح الأندلس ذاته، حيث كان جده الأكبر خالد بن عثمان، الذي عرف بخلدون ممن دخل إلى الأندلس في الجند اليمنيين، ونزل قرمونة وأنشأ بها بيته، أما بنوه من بعده فقد انتقلوا إلى أشبيلية:

وبيت بني خلدون إلى الآن في أشبيلية نهاية في النباهة، ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية

وفي أشبيلية علا نجم الأسرة، فقد نجح كريب بن خلدون في الاستقلال بإمارة أشبيلية في عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأموي (274-300هـ).

استمر بنو خلدون في أشبيلية، طوال عهد الأمويين، دون زعامة أو رياسة، حتى استولى بنو عباد على أشبيلية، فعندئذ سطع نجم الأسرة ثانية، وشهد زعماؤها معركة الزلاقة التي انتصر فيها المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين ومن معه من زعماء الأندلس على ألفونسو السادس ملك قشتالة سنة 479هـ. يقول ابن خلدون في تعريفه:

ولما علا كعب ابن عباد بأشبيلية، واستبد على أهلها، استوزر من بني خلدون هؤلاء، واستعملهم في رتب دولته، وحضروا معه وقعة الزلاقة، كانت لابن عباد وليوسف بن تاشفين على ملك الجلالقة، فاستشهد فيها طائفة كبيرة من بني خلدون هؤلاء، ثبتوا في الجولة مع ابن عباد، فاستلحموا في ذلك الموقف، ثم كان الظهور للمسلمين، ونصرهم الله على عدوهم

درع يعود إلى عهد بني نصر- غرناطة



مئذنة الخيرالدا – أشبيلية

استولى المرابطون على الأندلس وحكموها زهاء نصف قرن، ثم قام الموحدون بالمغرب وقضوا على دولة المرابطين، وانتزعوا منهم سيادة الأندلس، واستولوا على مدينة أشبيلية في سنة 541هـ، وقد اتخذ الموحدون من أشبيلية قاعدة لحكم الأندلس، ووليها الأمراء من بني عبد المؤمن، واتصل بنو خلدون بالولاة الجدد، واستعادوا قسطًا من الجاه والرياسة.



راية الموحدين، معركة العقاب- الأندلس

في أوائل القرن السابع الهجري، تفككت وحدة الأندلس، وأخذت مدن المسلمين وحصونهم تنهار مع ازدياد سرعة حركة الاسترداد، فخشي بنو خلدون سوء العاقبة، فغادروا أشبيلية موطنهم القديم، ونزلوا حينا في مدينة سبتة، ثم نزلوا مدينة بونة في إفريقية (تونس) في سنة 620هـ، حيث أكرمهم بنو حفص أمراء إفريقية، فعاشوا في جاه وسعة، وتولوا العديد من المناصب، يقول ابن خلدون عن هذه المحنة التي ألمت بالأندلس:

... واضطربت الأندلس، وتكالب الطاغية عليها، وردد الغزو إلى الفرنتيرة (و) هي بسيط قرطبة وأشبيلية إلى جيان، وثار ابن الأحمر بغرب الأندلس من حصن أرجونة، يرجو التماسك لما بقي من رمق الأندلس، وفاوض أهل الشورى يومئذ بأشبيلية، وهم بنو الباجي، وبنو الجد، وبنو الوزير، وبنو سيد الناس، وبنو خلدون، وداخلهم في الثورة على ابن هود، وأن يتجافوا للطاغية عن الفرنتيرة، ويتمسكوا بالجبال الساحلية وأمصارها المتوعرة، من مالقة إلى غرناطة إلى ألمرية، فلم يوافقوه على بلدهم. وكان مقدمهم أبو مروان الباجي، فنابذهم ابن الأحمر وخلع طاعة الباجي، وبايع مرة لابن هود، ومرة لصاحب مراكش من بني عبد المؤمن، ومرة للأمير أبي زكرياء صاحب إفريقية، ونزل غرناطة، واتخذها دارًا لملكه، وبقيت الفرنتيرة وأمصارها ضاحية من ظل الملك، فخشي بنو خلدون سوء العاقبة مع الطاغية، وارتحلوا من أشبيلية إلى العدوة (الشاطئ المغربي من مضيق جبل طارق)، ونزلوا سبتة

ثم يستطرد قائلا:

ولحق (يقصد الحسن بن محمد جد ابن خلدون) بالأمير أبي زكرياء على بونة، فأكرمه



منظر لإحدى المعارك بين مسلمي الأندلس والأسبان – الأندلس



نشأة ابن خلدون في بيت علم ...

تتابعت سلسلة بنو خلدون، حتى كان محمد والد عبد الرحمن، الذي زهد في الحياة السياسية، وانكب على طلب العلم، فبرز في الفقه وعلوم اللغة ونظم الشعر، حتى توفي إبان الفناء الكبير (الطاعون) سنة 749هـ.

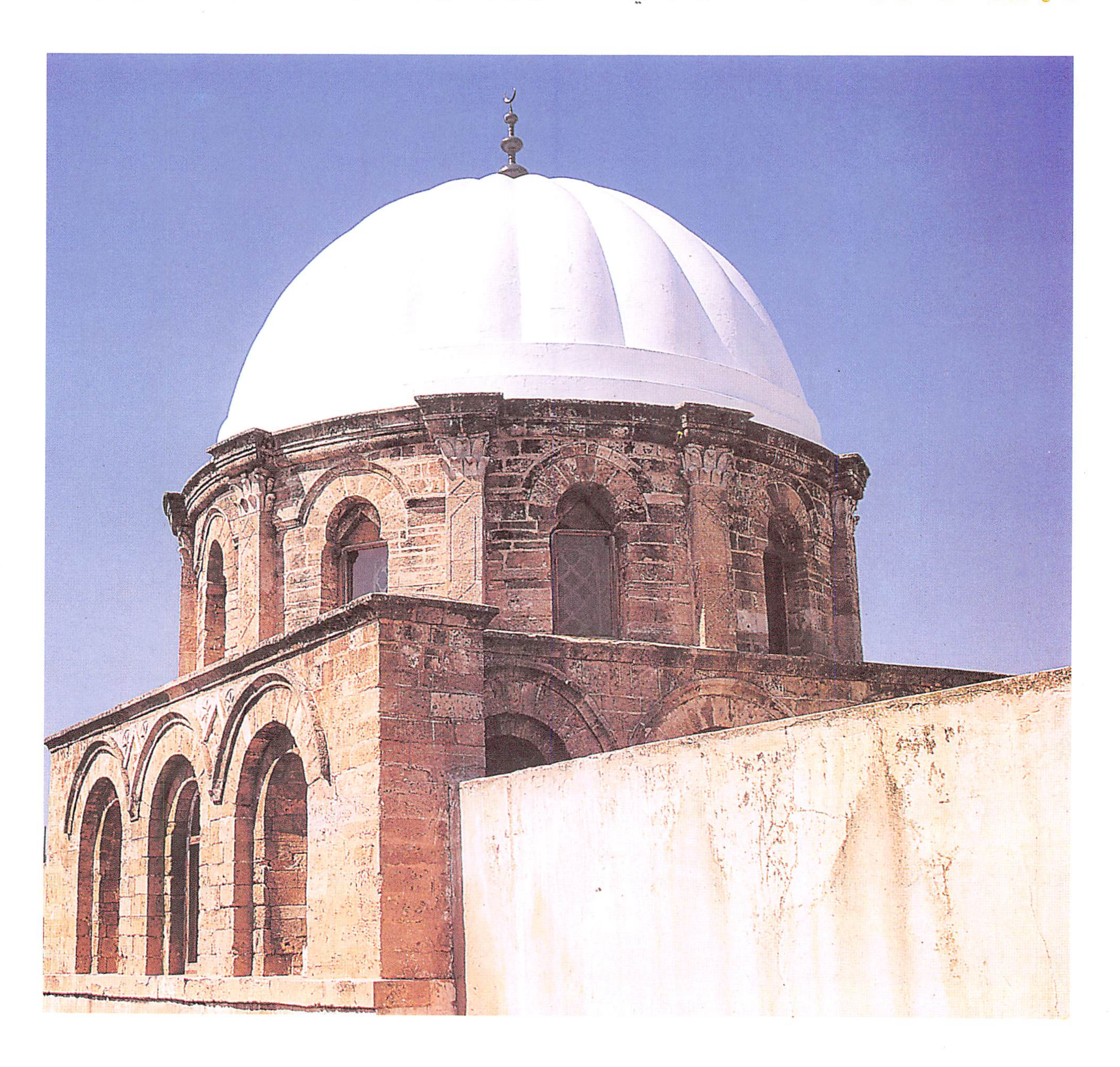
نشأ ابن خلدون إذن في بيت علم ورياسة، فنشأ في مهد هذا التراث الذي تلقاه عن أسرته، تهديه جدودها وتقاليدها، ودرج في حجر أبيه، فكان معلمه الأول؛ وقرأ القرآن وحفظه، وتفقه في القراءات السبع ودرس شيئًا من التفسير والحديث والفقه، ودرس النحو واللغة، على أشهر أساتذة تونس في مسجد القبة "مَسْيد القبة – حسب اللهجة التونسية". وكانت تونس يومئذ مركز العلوم والآداب في بلاد المغرب؛ وكانت منذ انهيار الأندلس في أواسط القرن السابع الهجري منزل كثير من علماء الأندلس الذين شتتهم الحوادث أو ضاق بهم الوطن. كان من هؤلاء وأولئك أساتذة ابن خلدون ومعلموه مع والده ومن بعده، قرأ عليهم القرآن وجوده بالقراءات السبع وبقراءة يعقوب، ودرس عليهم العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه على المذهب المالكي، وأصول وتوحيد، ودرس عليهم العلوم اللسانية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب، ثم درس المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية فيما بعد، وحظي في جميع دراساته بإعجاب أساتذته ونال إجازاتهم. وقد عني ابن خلدون بذكر أسماء معلميه وأساتذته في مختلف هذه البحوث وترجم لهم ووصف مناقبهم ومكانتهم في علومهم ومؤلفاتهم. ومن أظهر من عني بذكرهم من أساتذته: محمد بن سعد بن بُرَّال الأنصاري "أصله من جالية الأندلس من أعمال بلنسية، أخذ عن مشيخة بلنسية وأعمالها" قرأ عليه ابن خلدون القراءات السبع المشهورة إفرادًا وجمعًا في إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعها في ختمة واحدة، كما عرض عليه قصيدتي الشاطبي "اللامية في القراءات، والرائية في الرسم"، كما درس على يديه كتبًا جمة مثل "كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الحاجب في الفقه"، كما تعلم صناعة العربية (إجادة اللغة العربية) على يد والده وعلى يد الشيخ أبو عبد الله محمد بن العربي الحصايري "وكان إمامًا في النحو وله شرح مستوفى على كتاب التسهيل"، ومنهم أبو عبد الله محمد بن الشواش الزرزالي، وأحمد بن القصار الذي قال عنه ابن خلدون "كان ممتعًا في صناعة النحو، وله قصيدة في البردة المشهورة في مدح الجناب النبوي"، وأبو عبد الله محمد بن بحر "إمام العربية والأدب بتونس"، وشمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر سلطان القيسي الوادياشي "إمام المحدثين بتونس، .. وصاحب الرحلتين"، وأخذ الفقه بتونس عن كل من: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجَيَّاني الفقيه، وأبو القاسم محمد القصير "قرات عليه كتاب التهذيب لأبي سعيد البرادعي، مختصر



مسجد القبة "مسيد القبة" - تونس

المدونة، وكتاب المالكية"، كما كان يحضر مجلس قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام حيث استمع منه "كتاب الموطأ للإمام مالك"، ومحمد بن سليمان الشطي "شيخ الفتيا بالمغرب، وإمام مذهب مالك"، وأبو العباس أحمد الزواوي "إمام المقرئين بالمغرب"، وعبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي الذي قال عنه ابن خلدون "من مفاخر المغرب، في براعة خطه، وكثرة علمه، وحسن سمته، وإجادته في فقه الوثائق، والبلاغة في الترسيل عن السلطان، وحوك الشعر، والخطابة على المنابر"، وأبو محمد بن عبد المهيمن الحضرمي "كاتب السلطان أبي الحسن، وصاحب علامته التي توضع أسافل مكتوباته، إمام المحدثين والنحاة بالمغرب"، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي "شيخ العلوم العقلية". وكان من هؤلاء أستاذان أثرا في ثقافته الشرعية واللغوية والحكمية، هما: محمد بن عبد المهيمن بن عبد

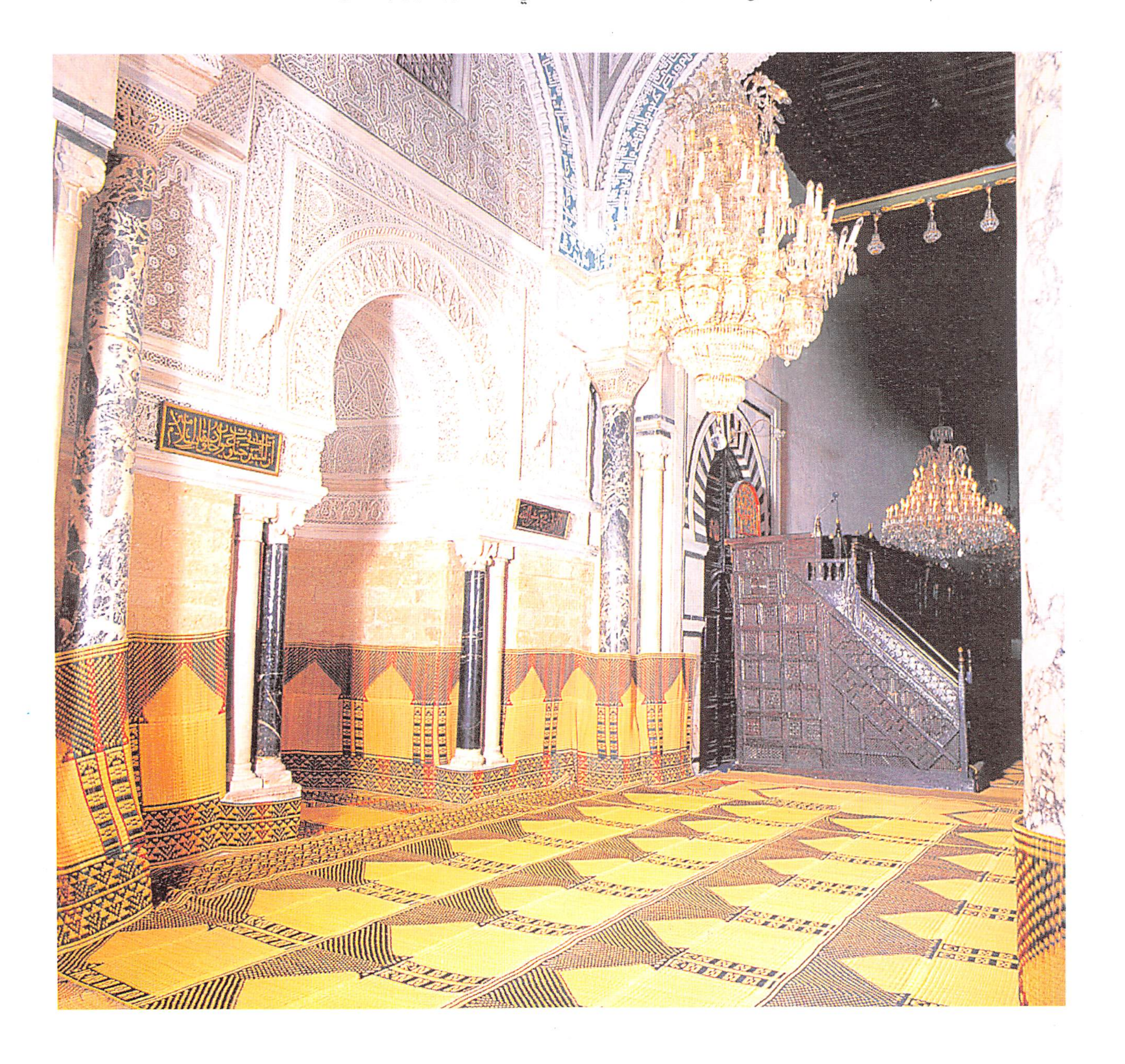
جامع الزيتونة، القبة - تونس



المهيمن الحضرمي إمام المحدثين والنحاة بالمغرب وقد أخذ عنه الحديث ومصطلح الحديث والسيرة وعلوم اللغة، والآخر عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي شيخ العلوم العقلية، وكانت تشمل المنطق وما وراء الطبيعة والعلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والفلكية والموسيقى.

وكما عني ابن خلدون بذكر أساتذته الذين تلقى عنهم في صباه، عني كذلك بذكر أهم الكتب التي درسها عليهم، ومن أظهر ما عني بذكره من هذه الكتب: اللامية في القراءات والرائية في رسم المصحف وكلتاهما للشاطبي، والتسهيل في النحو لابن مالك، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والمعلقات، وكتاب الحماسة للأعلم، وطائفة من شعر أبي تمام والمتنبي، ومعظم كتب الحديث وخاصة صحيح مسلم وموطأ مالك، والتقصي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر، وعلوم الحديث لابن الصلاح، وكتاب التهذيب للبرادعي، والسير لابن إسحق.

جامع الزيتونة، المنبر والمحراب - تونس





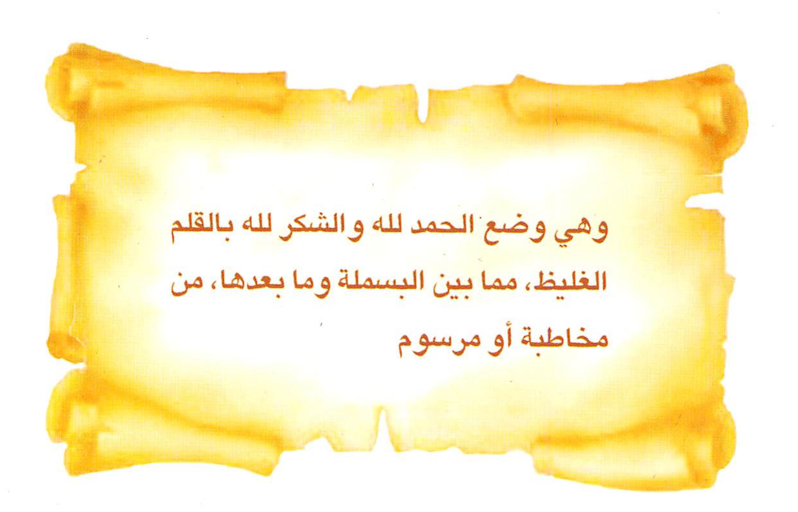
كتاب الموطأ – تونس



دخول ابن خلدون الحياة العملية ...

لما بلغ ابن خلدون الثامنة عشرة من عمره، حدث حدثان خطيران عوقاه عن متابعة دراسته وكان لهما أثر بليغ في مجرى حياته، الأول: الطاعون الأسود الذي اجتاح العالم سنة 749هـ، والذي سماه ابن خلدون بـ"الطاعون الجارف"، وكان قد حصد أرواح الملايين في الشرق والغرب، والثاني: هجرة معظم العلماء والأدباء من تونس إلى المغرب سنة 750هـ، خشية هذا الوباء الفتاك.

ولما كانت هذه الأحداث قد جعلت الوسائل غير ميسرة له في تونس لمتابعة دراسته والتفرغ للعلم كما فعل أبوه من قبل، وكان في نيته أن يفعل، فقد تغير مجرى حياته، وأخذ يتطلع إلى تولي الوظائف العامة والسير في الطريق نفسه الذي سار فيه أجداده. فعندما بلغ ابن خلدون العشرين من عمره استدعاه محمد بن تافراكين حاكم تونس، لكتابة العلامة عن محجوره (وصيه) وأسيره السلطان الفتي أبي إسحاق، وكتابة العلامة:



أي التوقيع باسم السلطان وشارته على المخاطبات والمراسيم الملكية، وكانت هذه أول وظيفة تولاها من وظائف الدولة.

في قصور المغرب والأندلس

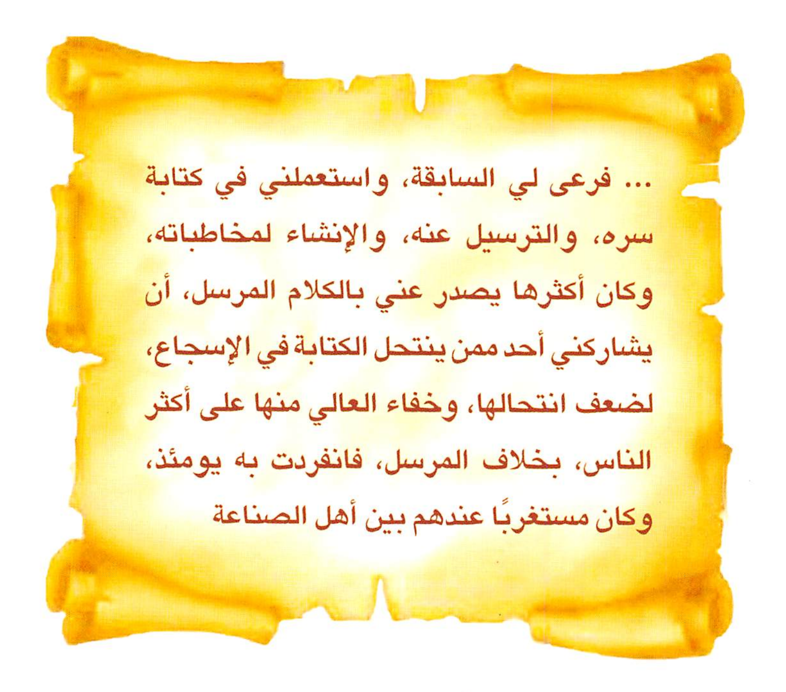
في بلاط فاس...

في منتصف القرن السابع الهجري سادت بلاد المغرب حالة من الفوضى السياسية نتيجة ضعف الدولة الموحدية ثم انهيارها فيما بعد، مما أدى إلى قيام العديد من الدويلات (دولة بني حفص في إفريقية – تونس – ودولة بني عبد الواد في تلمسان، ودولة بني مرين في فاس) توارثت فيما بينها مجد الموحدين، ومن أهمها كانت دولة بني مرين وعاصمتها فاس، في تلك الأثناء بدأ ابن خلدون حياته العامة، متطلعًا إلى مجد أجداده من بني خلدون، خرج ابن خلدون من تونس وواجهته فاس، فأقام حينًا في مدينة أبة عند الشيخ عبد الرحمن الوشتاتي أحد شيوخ المرابطين، ثم قصد مدينة تبسة حيث نزل عند صاحبها "محمد بن عبدون"، ثم ارتد إلى مدينة قفصة حيث وافاه بعض فقهاء تونس، وكان يحاصرها عندئذ أمير قسنطينة، ومن هناك سار معهم إلى مدينة بسكرة وقضى بها الشتاء. في تلك الأثناء كان السلطان المريني أبي عنان فارس، قد نجح في الاستيلاء على مدينة تلمسان من بني عبد الواد، فسعى ابن خلدون لمقابلته، حيث أكرمه السلطان، ورده مع حاجبه محمد بن أبي عمرو إلى مدينة بجاية حيث شهد مراسم البيعة والتسليم، فلما عاد الحاجب إلى السلطان، هرعت الوفود إلى ركابه، سار ابن خلدون معهم، وحظي بلقاء السلطان، وأكرم وفادته مرة أخرى، ثم ارتد السلطان إلى مدينة فاس عاصمة ملكه، وارتد ابن خلدون مع ابن أبي عمرو إلى مدينة بجاية، وأقام هنالك عنده حتى أواخر سنة 754هـ، ولبث ابن خلدون يسعى في الالتحاق ببطانة السلطان أبي عنان حتى ظفر بذلك، ففي عام 755هـ انضم ابن خلدون إلى بلاط السلطان أبي عنان المريني في فاس، فعينه السلطان كاتبا له وضمه إلى مجلسه العلمي يقول ابن خلدون:

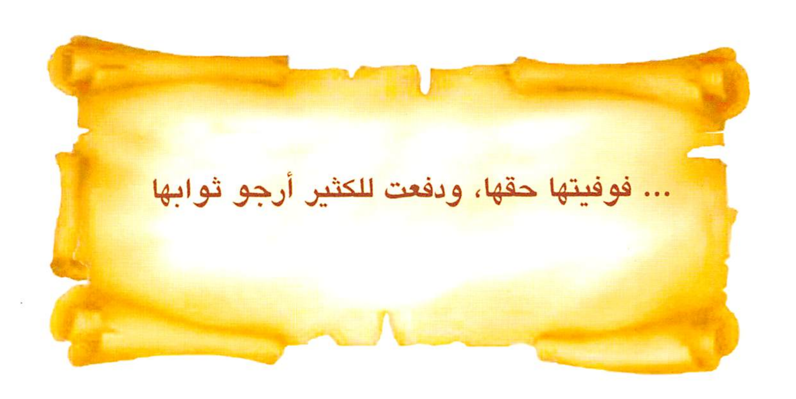
.. وكتب إلى الحاجب يستقدمني، فقدمت عليه، سنة خمس وخمسين، ونظمني في أهل مجلسه العلمي، والزمني شهود الصلوات معه، ثم استعملني في كتابته، والتوقيع بين يديه، على كره مني، إذ كنت لم أعهد مثله لسلفي

كان عُمْر ابن خلدون في هذه الأثناء اثنين وعشرين عاما، أمضى منها سنتين في قصور بني مرين، لم ينس خلالها أن يلتمس العلم ويجد في طلبه، فيذكر أنه تلقى العلم على يد مجموعة من علماء المغرب والأندلس يذكر منهم: محمد بن الصفار "من أهل مراكش إمام القراءات لوقته"، وأبو عبد الله محمد المقري قاضي الجماعة بفاس، وأبو البركات محمد بن الحاج البلفيقي شيخ المحدثين والأدباء والفقهاء والصوفية والخطباء بالأندلس، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني المعروف بالعلوي نسبة إلى قرية علوين من أعمال تلمسان، وأبو القاسم محمد بن يحيى البرجي كاتب السلطان أبي عنان وصاحب الإنشاء في دولته، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق.

كان ابن خلدون رجل الفرصة، والغاية عنده تبرر الوسيلة، فلم يتورع أن يقابل الإحسان بالإساءة من أجل مجد يناله أو منصب يصيبه، فقد كان دائمًا إلى جانب الظافر ينضوي، فقد تآمر على السلطان أبي عنان لصالح الأمير أبي عبد الله محمد صاحب بجاية المخلوع، فلما علم السلطان وكان مريضًا آنذاك، أمر بالقبض على ابن خلدون وذلك في سنة 758هـ، حيث قضى عامين في غياهب السجن. متعللا في ذلك بما كان بين أسرته وبين أسرة بني حفص من ود قديم، كما انضم إلى دعوة السلطان أبي سالم، الذي اعتلى تخت سلطنة بني مرين في عام 760هـ، فكافأه بأن ولاه وظيفة كاتب السر والإنشاء، يقول ابن خلدون:



وقد لبث ابن خلدون في هذه الوظيفة زهاء عامين، ثم ولاه القضاء (خطة المظالم)، فأظهر فيه كفاءة نادرة، يقول ابن خلدون:

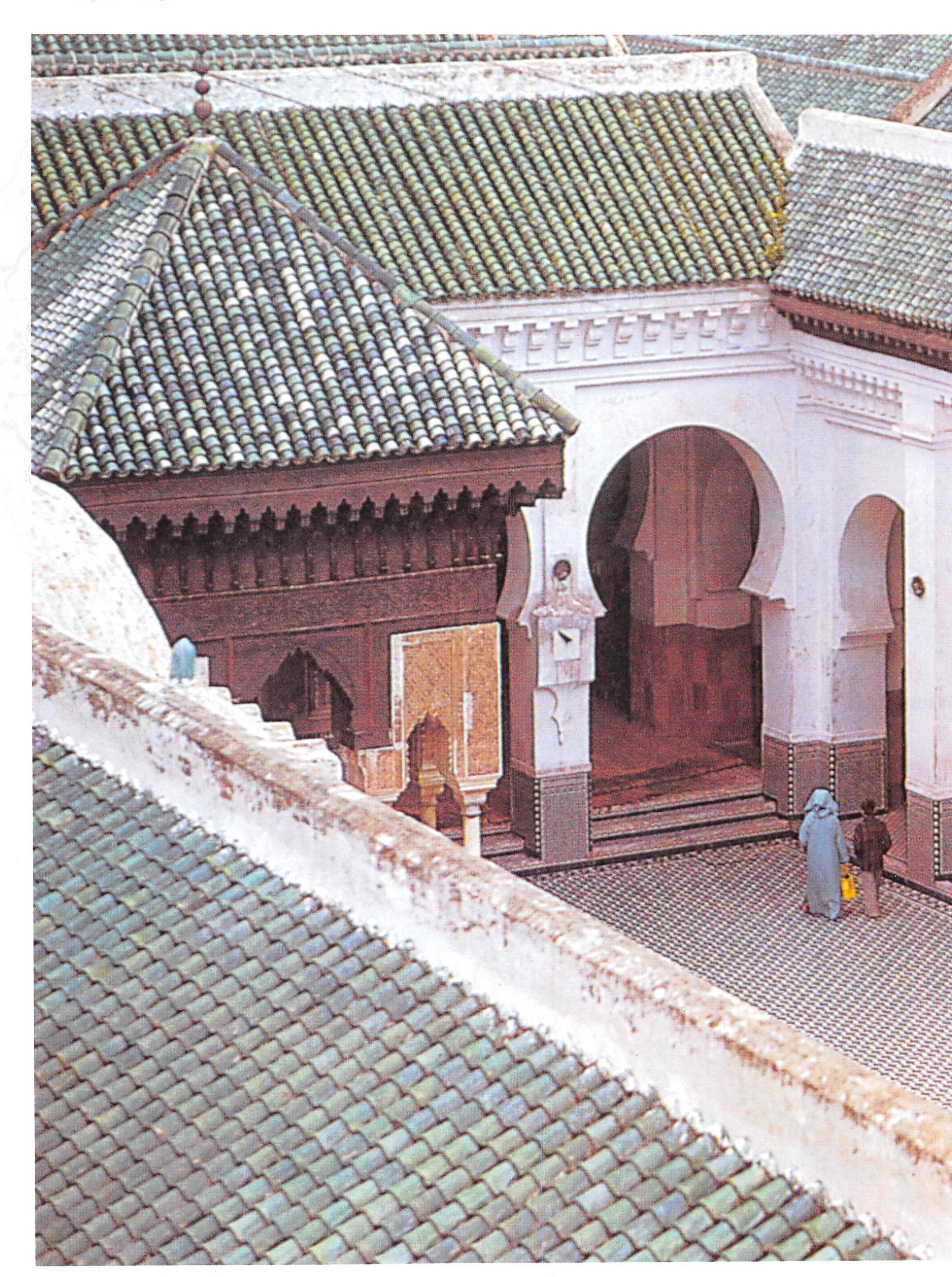


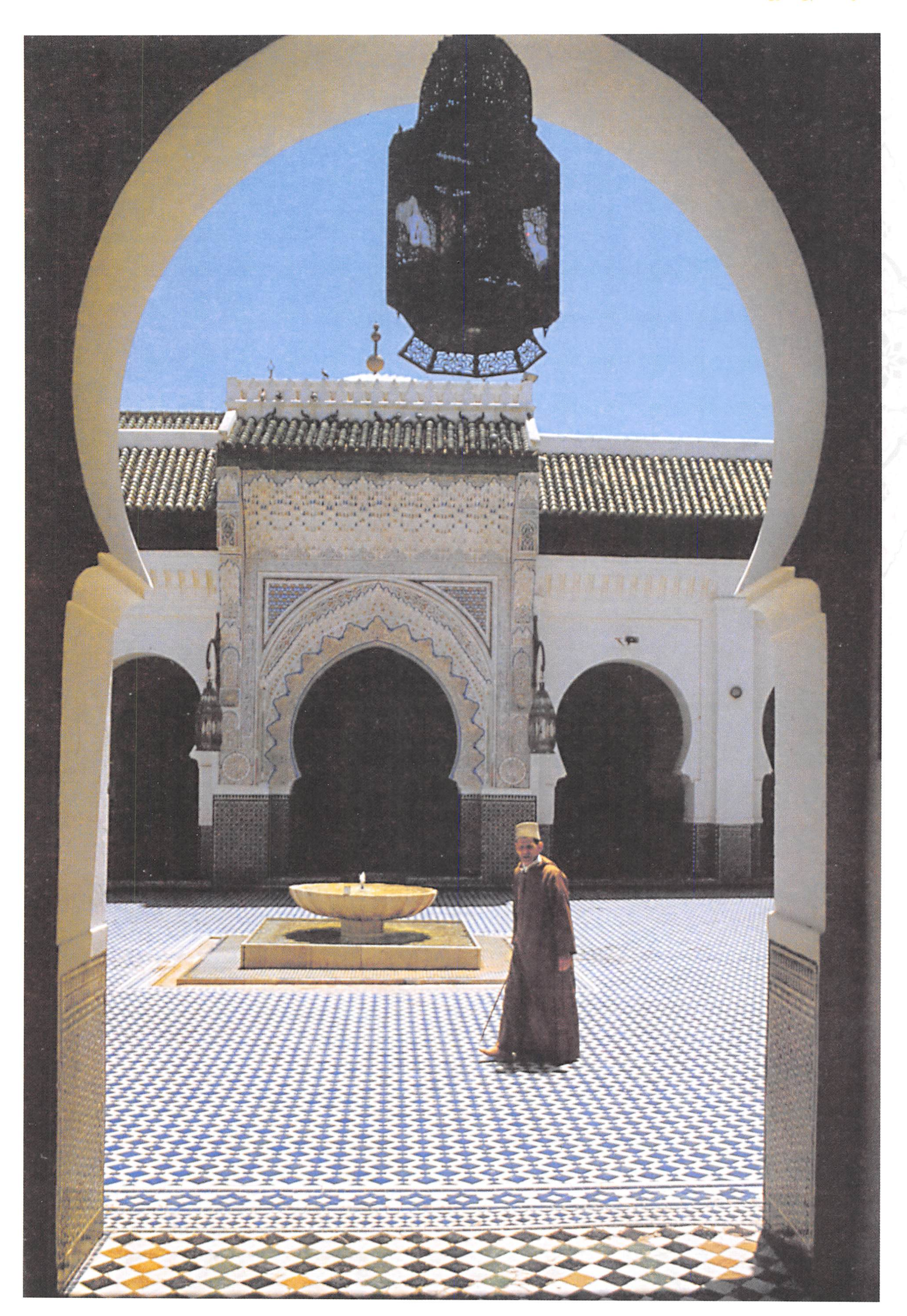
ولما انقلب زعماء وكبراء بني مرين بزعامة الوزير عمر بن عبد الله على السلطان أبي سالم سنة 762هـ، انضوى ابن خلدون تحت لواء الثائر الجديد الذي أجزل له العطاء، لكن طموح ابن خلدون دفعه إلى الاستقالة من مناصبه، والرحيل عن مدينة فاس، يقول ابن خلدون عن هذه الواقعة:

... ثم حملني الإدلال عليه أيام سلطانه، وما ارتكبه في حقي من القصور بي عما أسمو إليه، إلى أن هجرته، وقعدت عن دار السلطان، مغاضبًا له، فتنكر لي، وأقطعني جانبًا من الإعراض، فطلبت الرحلة إلى بلدي بإفريقية.... فمنعنى من ذلك، أن يغتبط أبوحمو صاحب تلمسان بمكاني، فأقيم عنده، ولج في المنع من ذلك، وأبيت أنا إلا الرحلة، واستجرت في ذلك برديفه وصديقه، الوزير مسعود بن رحو بن ماساي ..... فأعانني الوزير مسعود عليه، حتى أذن لي في الانطلاق على شريطة العدول عن تلمسان، فاخترت الأندلس



جامع القرويين – فاس





جامع القرويين – فاس

ابن خلدون في الأندلس ...

اختار ابن خلدون الرحيل إلى الأندلس، تحدوه الآمال في مستقبل أفضل، فقصد إلى مدينة سبتة سنة 764هـ حيث نزل على الشريف أبي العباس أحمد رئيس الشورى في سبتة، ثم جاز منها إلى جبل الفتح (جبل طارق) في الأندلس، قاصدًا مدينة غرناطة لما بينه وبين سلطانها السلطان محمد بن الأحمر الملقب بالغني بالله (ثامن ملوك بني الأحمر)، ووزيره لسان الدين ابن الخطيب من روابط الصداقة والمؤازرة، فوصل إلى غرناطة فاحتفى به السلطان ووزيره، ويحكي ابن خلدون أحداث تلك اللحظات قائلا:

.. وقد اهتز السلطان لقدومي، وهيأ لي المنزل من قصوره، بفرشه وماعونه، وأركب خاصته للقائي، تحفيًا وبرًا، ومجازاة بالحسنى، ثم دخلت عليه فقابلني بما يناسب ذلك، وخلع علي وانصرفت، وخرج الوزير ابن الخطيب فشيعني إلى مكان نزلي، ثم نظمني في علية أهل مجلسه، واختصنى بالنجى في خلوته، والمواكبة في ركوبه، والمواكلة والمطايبة والفكاهة في خلوات أنسه

التقى كل من ابن الخطيب وابن خلدون لأول مرة في بلاط السلطان أبي سالم في فاس سنة 761هـ، وتجمع بين هذين الرجلين مشابهات عديدة، فقد كان كلاهما أستاذ عصره ونابغته في التفكير والكتابة، وكان كلاهما شخصية بارزة في حوادث عصره يتصل منها بأوثق صلة، ويخوض غمارها متقلبًا بين الظفر والمحنة، وكان كلاهما وزيرًا ومستبدًا ومستشارًا لأمراء عصره، ومحرضًا لهم أو عليهم.



العدوة إلى الأندلس – المغرب





قصور الحمراء، الأبراج - غرناطة

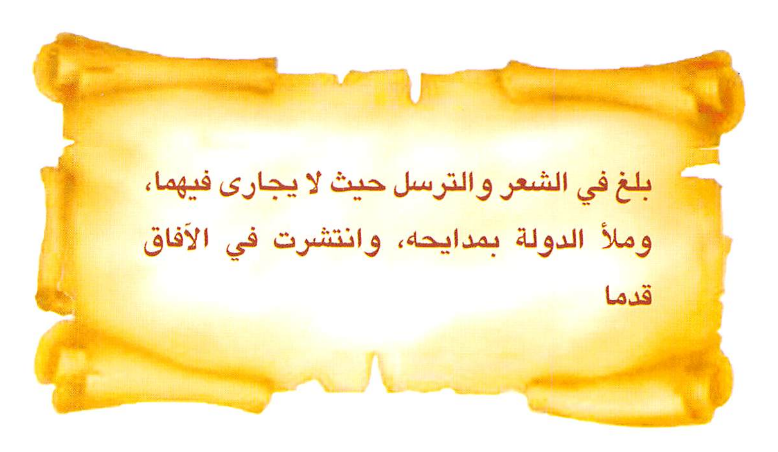




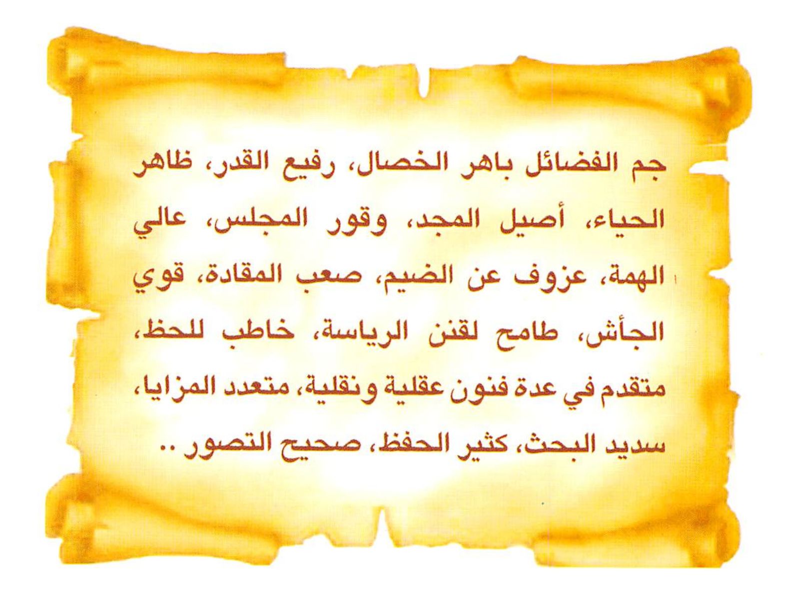
قصور الحمراء – غرناطة



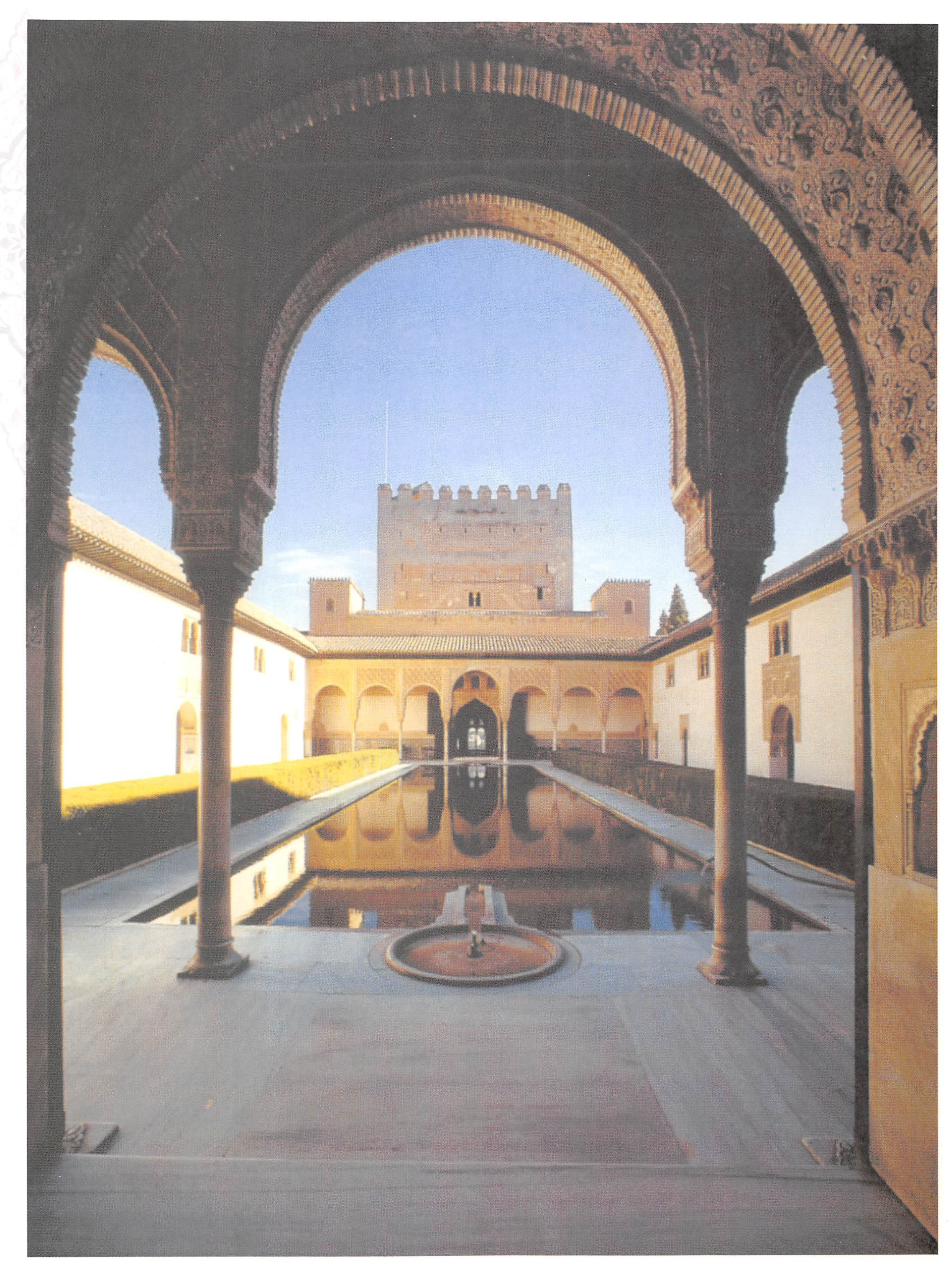
كان ابن خلدون يشغل في دول المغرب نفس المركز الذي كان يشغله ابن الخطيب في الأندلس، وقد استأثر في المغرب بزعامة التفكير والكتابة التي كان يستأثر بها ابن الخطيب في الأندلس. وقد جمعت بين الرجلين أواصر الحب والصداقة، وفرقت بينهما عوامل الغيرة والتنافس، وكان كل منهما رغم ذلك يحترم صاحبه ويجله، ويكبر مواهبه وخلاله، وقد ترجم كل منهما للآخر، وذكره بما ينم عن خالص التقدير والإجلال، فيقول لنا ابن خلدون في ترجمته لابن الخطيب أنه:


بلغ في الشعر والترسل حيث لا يجارى فيهما، وملأ الدولة بمدايحه، وانتشرت في الآفاق قدما

ثم ينوه بعد ذلك بروعة رسائله السلطانية، وبعد همته في الإدارة والحكم. ويصف ابن الخطيب، ابن خلدون في ترجمته إياه بأنه:


جم الفضائل باهر الخصال، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، وقور المجلس، عالي الهمة، عزوف عن الضيم، صعب المقادة، قوي الجأش، طامح لقنن الرياسة، خاطب للحظ، متقدم في عدة فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور ..

حيث يبدي كلا الرجلين فيما تبادلا من رسائل لصاحبه مثل هذا التقدير والإجلال.



قصور الحمراء، بهو الريحان - غرناطة

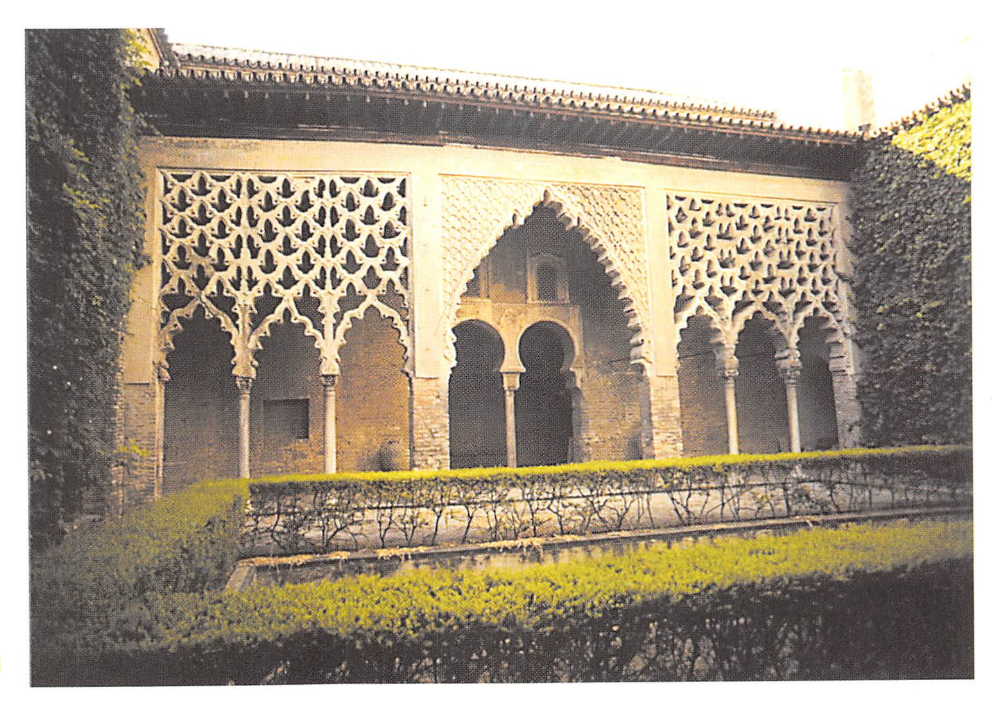
في عام 765هـ أي في العام التالي لنزوله غرناطة، أوفده السلطان محمد الغني بالله سلطان غرناطة إلى أشبيلية سفيرًا من قبله إلى بطرس القاسي ملك قشتالة، فاستقبله الملك بالترحيب والإكرام، حيث عاين آثار أسرته بأشبيلية، حيث سطع نجم بني خلدون، ويصف ابن خلدون رحلته إلى أشبيلية قائلا:

وسفرت عنه (أي السلطان محمد الغني بالله) سنة خمس وستين إلى الطاغية ملك قشتالة يومئذ بطرة بن الهنشه بن أدفونش (بطرس القاسي) لإتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدوة (المغرب)، بهدية فاخرة، من ثياب الحرير، والجياد المقربات بمراكب الذهب الثقيلة، فلقيت الطاغية بأشبيلية، وعاينت آثار سلفي بها، وعاملني من الكرامة بما لا مزيد عليه، وأظهر الاغتباط بمكاني، وعلم أولية سلفنا بأشبيلية، وأثنى علي عنده طبيبه إبراهيم بن زرزر اليهودي، المقدم في الطب والنجامة، وكان لقيني بمجلس السلطان أبي عنان، وقد استدعاه يستطبه، وهو يومئذ بدار ابن الأحمر بالأندلس، ثم نزع بعد مهلك رضوان القائم بدولتهم إلى الطاغية، فأقام عنده، ونظمه في أطبائه، فلما قدمت أنا عليه، أثنى علي عنده، فطلب الطاغية مني حينئذ المقام عنده، وأن يرد على تراث سلفي بأشبيلية، وكان بيد زعماء دولته، فتفاديت من ذلك بما قبله، ولم يزل على اغتباطه إلى أن انصرفت عنه، فزودني وحملني، واختصني ببغلة فارهة بمركب ثقيل، ولجام ذهبيين، أهديتهما إلى السلطان

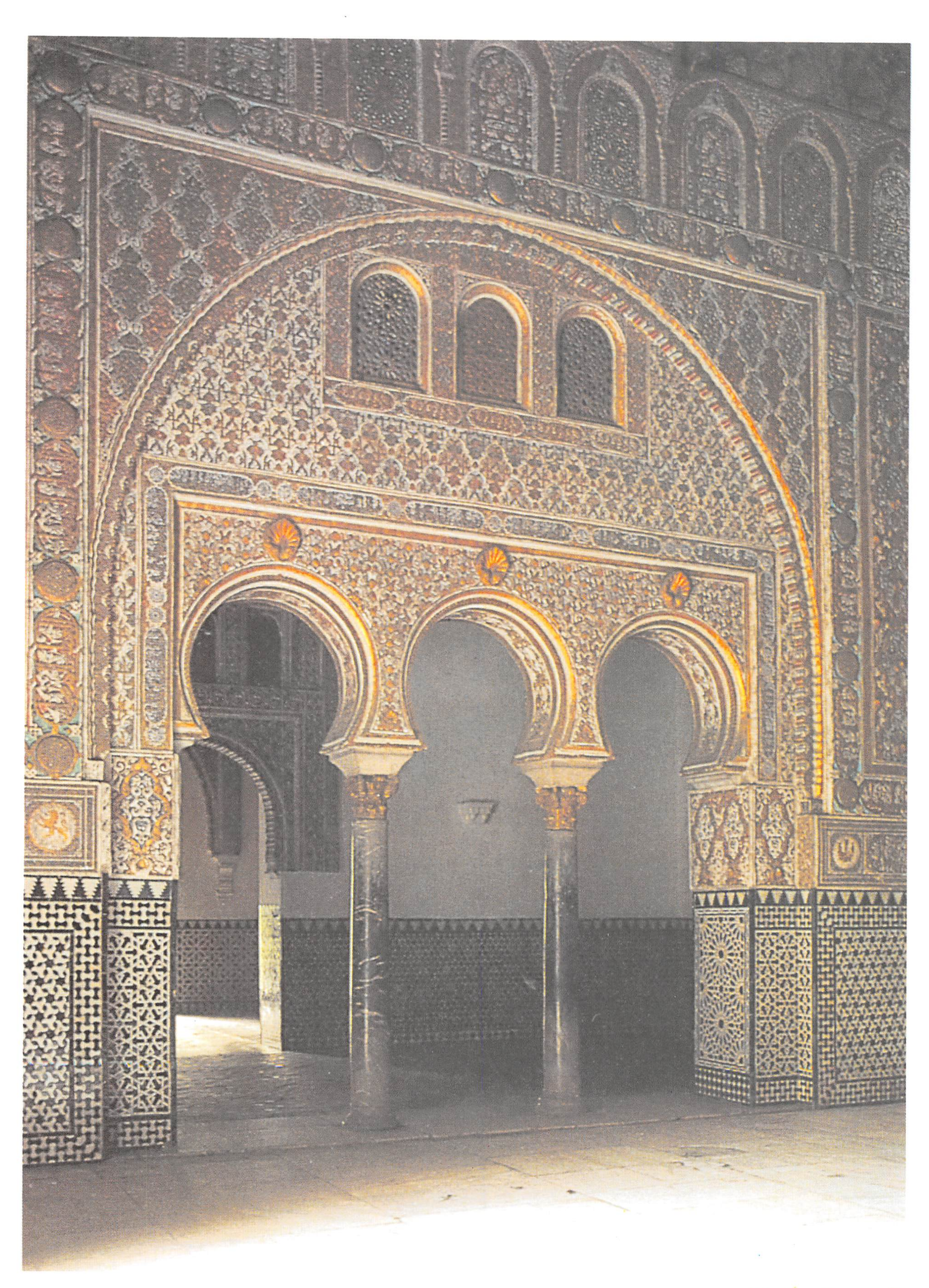
أدى ابن خلدون مهمته بنجاح، عاد بعدها إلى غرناطة فأكرمه السلطان وأقطعه قرية البيرة بمرج غرناطة، كما استقدم أسرته من قسنطينة.

ولما استقر الأمر، واطمأنت الدار، وكان من السلطان الاغتباط والاستئثار، وكثر الحنين إلى الأهل والتذكار، أمر باستقدام أهلي من مطرح اغترابهم بقسنطينة، فبعث عنهم من جاء بهم إلى تلمسان، وأمر قائد الأسطول بالمرية، فسار لإجازتهم في أسطوله، واحتلوا بالمرية، واستأذنت السلطان في تلقيهم، وقدمت بهم على الحضرة، بعد أن هيأت لهم المنزل والبستان، ودمنة الفلح، وسائر ضرورات المعاش

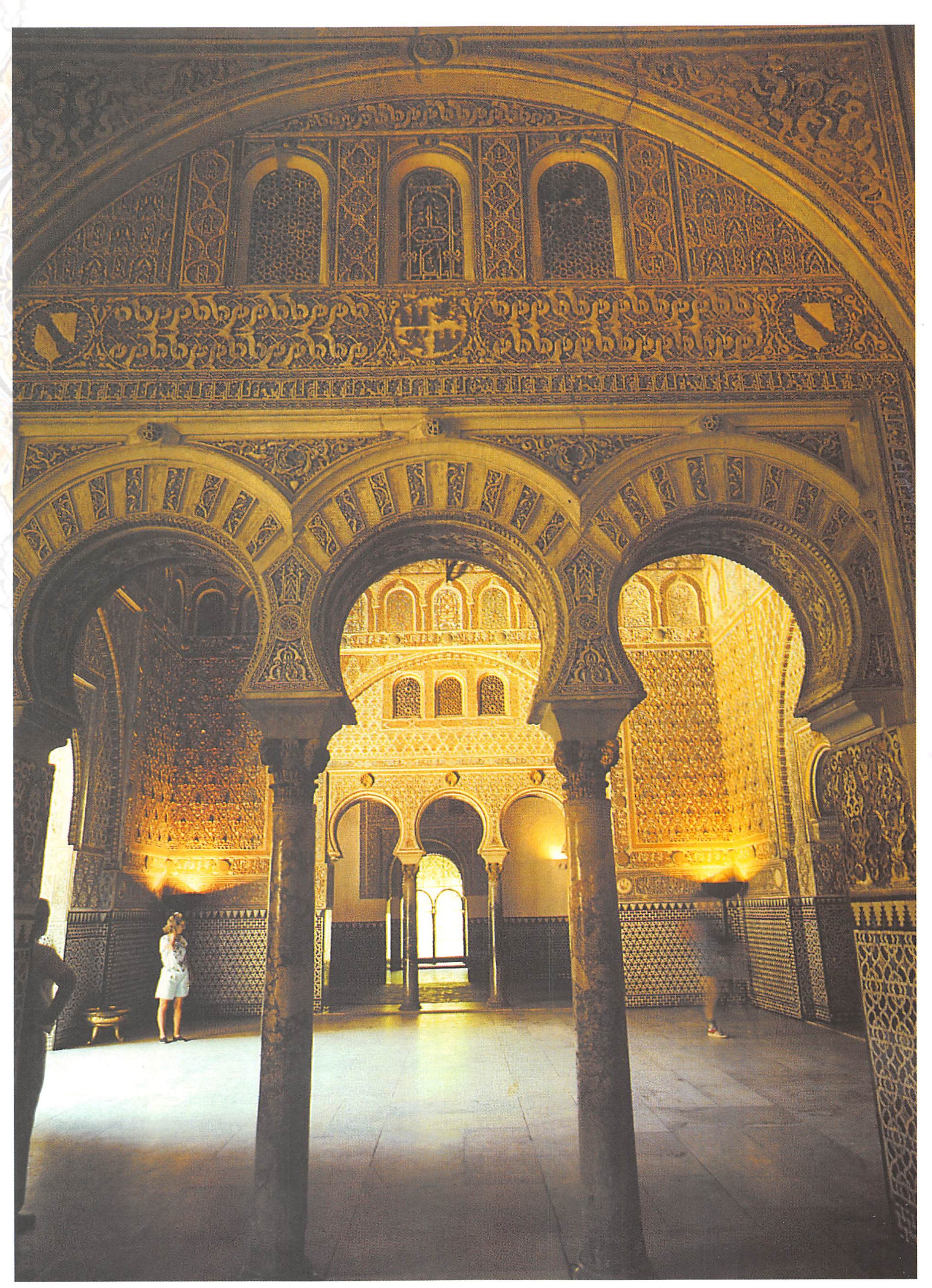
غير أن العلاقة فترت بين ابن خلدون وسلطان غرناطة ووزيرها ابن الخطيب، فقرر الرحيل من الأندلس. فركب البحر من ساحل مدينة ألمرية إلى مدينة بجاية سنة 766هـ.



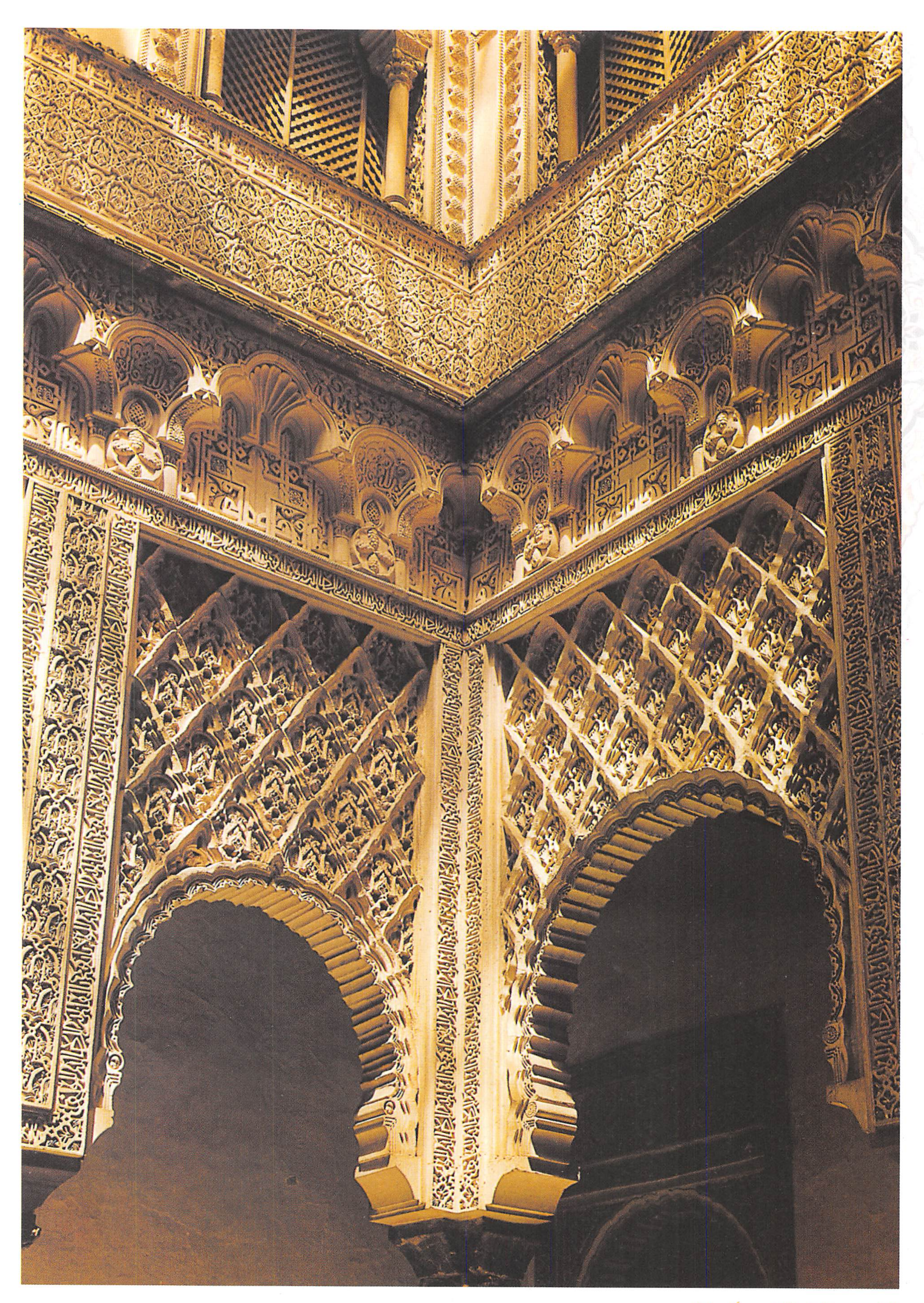
القصر– أشبيلية



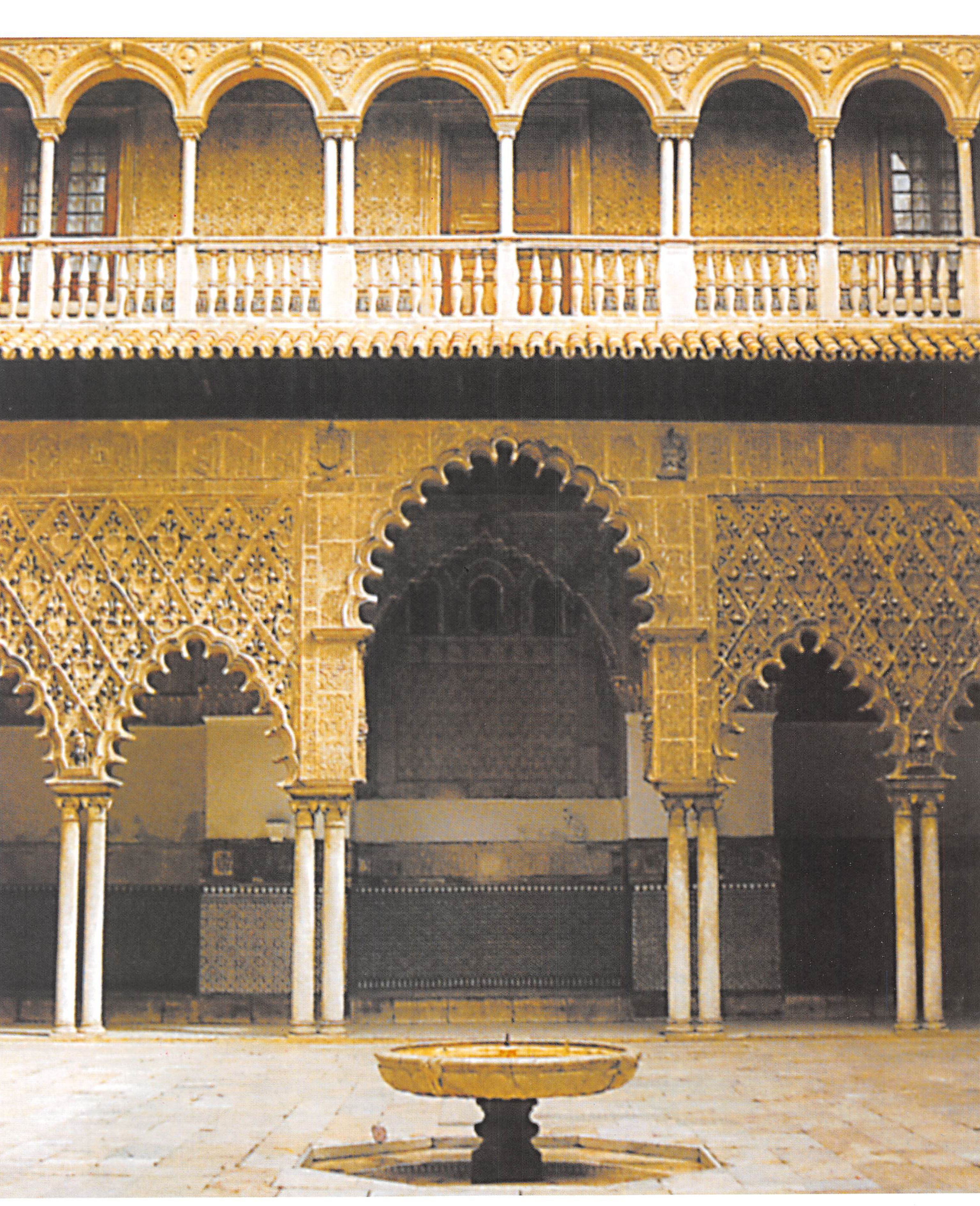
القصر، مدخل - أشبيلية



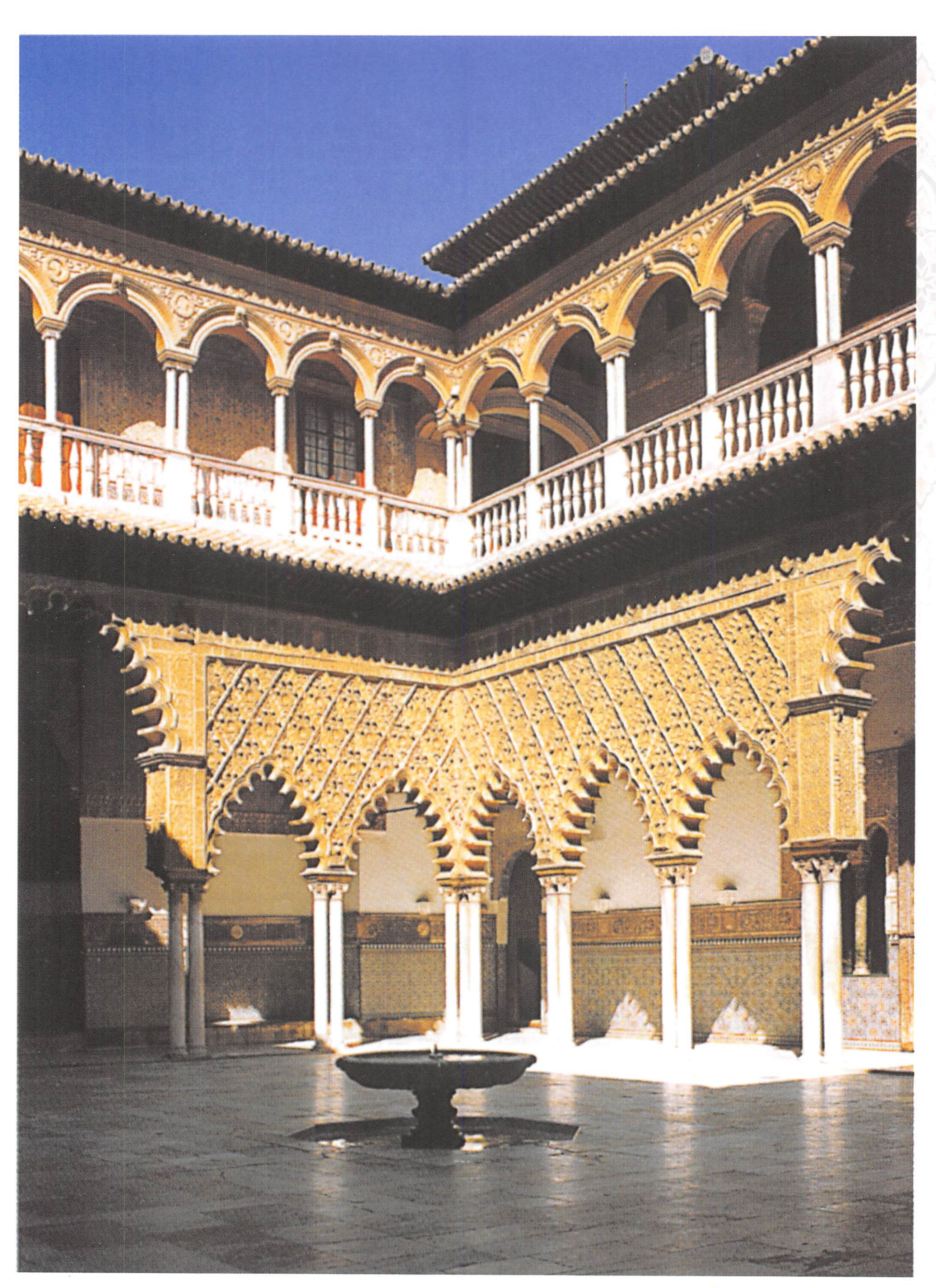
القصر، إحدى القاعات– أشبيلية



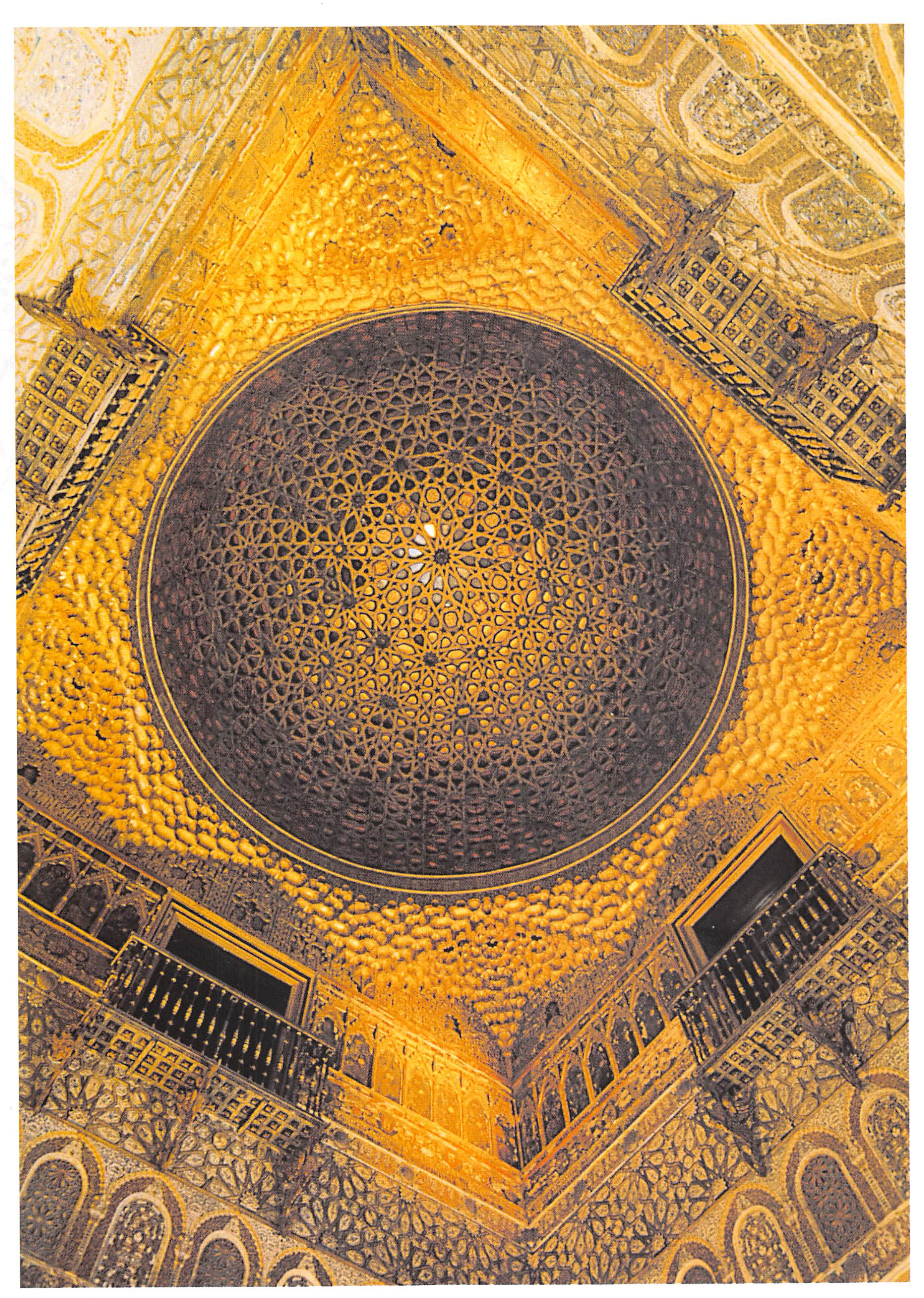
القصر، زخارف العقود – أشبيلية



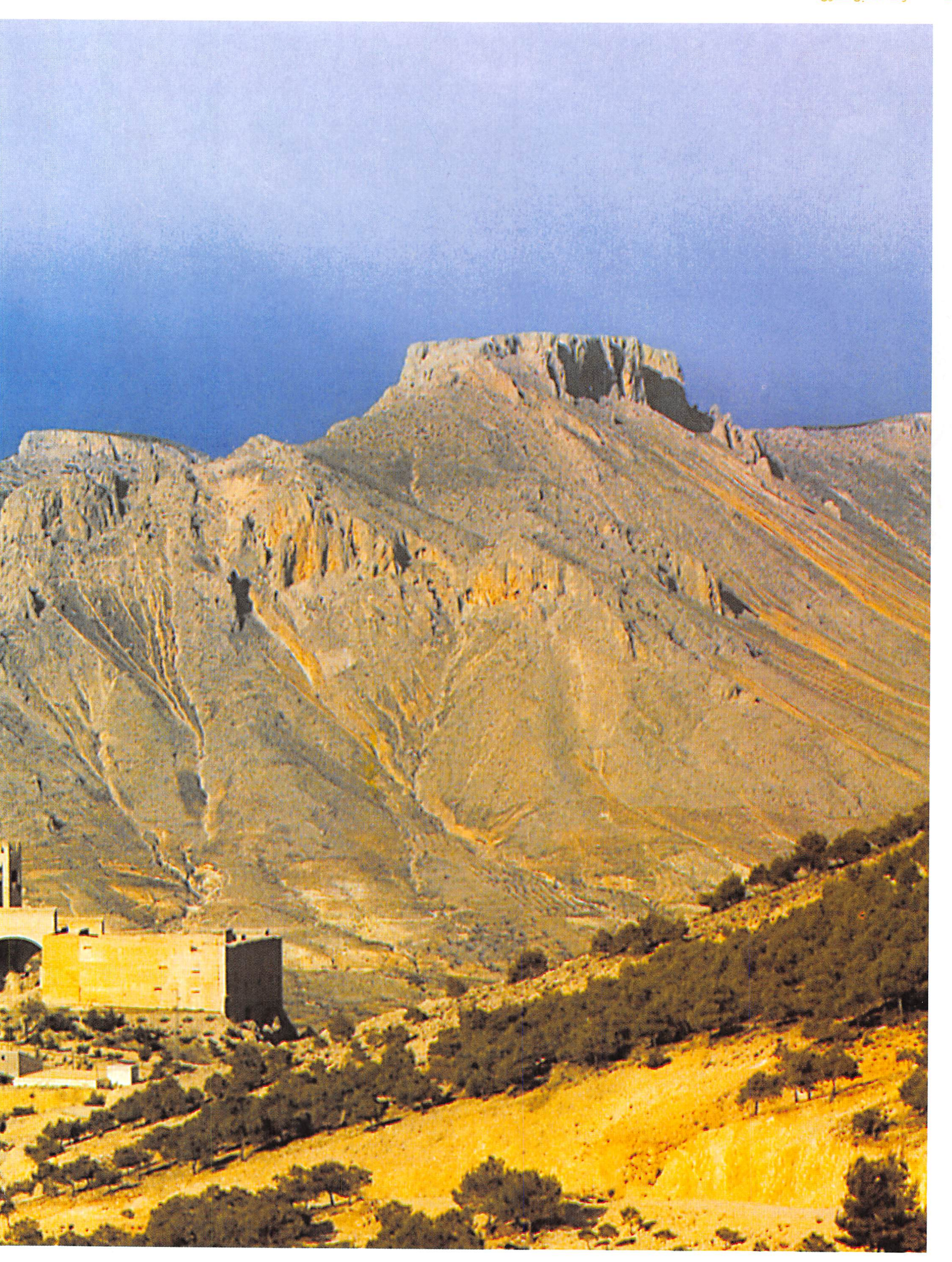
القصر، فناء – أشبيلية



القصر، صحن أحد القصور – أشبيلية



القصر، القبة – أشبيلية



التحصينات القديمة – ألمرية



في قصور بجاية وتلمسان...

تلقى ابن خلدون رسالة من صديقه الأمير أبي عبد الله محمد أمير بجاية يخبره بأنه استرد ملكه، ويستدعيه لمعاونته، فقرر ابن خلدون الرحيل من الأندلس، التي غادرها في منتصف سنة 766هـ، متوجهًا إلى مدينة بجاية، حيث ولاه الأمير أبي عبدالله الحجابة وفاء للوعد الذي قطعه على نفسه، فأظهر كفاءة كبيرة في تدبير شئون البلاد، كما قدمه للخطابة والتدريس بجامع القصبة.

لم يدم الأمر طويلاً للأمير أبي عبد الله محمد فقتل على يد ابن عمه السلطان أبو العباس صاحب مدينة قسنطينة، الذي نجح في دخول مدينة بجاية، وكعادة ابن خلدون في الانزواء إلى جانب الظافر، دخل في طاعة أمير بجاية الجديد، فأكرمه حينًا، لكنه سرعان ما تنكر له، ففر ابن خلدون إلى مدينة بسكرة لصداقة بينه وبين أميرها أحمد بن يوسف بن مزني.

أرسل أبو حمّو موسى بن عبد الرحمن سلطان تلمسان صهر أمير بجاية المقتول الأمير أبا عبد الله محمد، إلى ابن خلدون تقليدًا بالحجابة، ذيله بخط يده بما نصه:

الحمد لله على ما أنعم، والشكر لله على ما وهب، ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبدالرحمن بن خلدون، حفظه الله، على أنك تصل إلى مقامنا الكريم، لما اختصصناكم به من الرتبة المنيعة، والمنزلة الرفيعة، وهو قلم خلافتنا، والانتظام في سلك أوليائنا، أعلمناكم بذلك، وكتب بخط يده عبد الله، المتوكل على الله، موسى بن يوسف لطف الله به وخار له

فاعتذر ابن خلدون عنها، حيث تملكته رغبة في الاعتكاف طلبًا للعلم والدرس والقراءة، والإعراض عن ميدان السياسة والخدمات السلطانية.

رغم رفض ابن خلدون تولي الحجابة لأمير تلمسان، إلا أنه أخذ في شحذ همم القبائل لنصرته، ولكن أبا حمو هزم أمام خصومه سنة 771هـ، وارتد ابن خلدون إلى مدينة بسكرة، يستأنف جهوده لحشد القبائل إلى جانب أبي حمو، وإحكام الصلة بينه وبين أبي إسحاق



المسجد الجامع - تلمسان

سلطان تونس. وفي العام نفسه سار ابن خلدون في وفد من الرؤساء لزيارة أبي حمو والتفاهم معه على تدبير الخطة اللازمة، فلقيه بالجزائر، وبقي لديه وقتًا. ولكن ولاء ابن خلدون لأمير تلمسان لم يطل أمده فانقلب إلى عدوه أبي العباس، يؤلب الجموع عليه بعد أن كان يؤلبها لتأييده.



في تلك الأثناء خرج السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن المريني، في جيوشه لغزو تلمسان، وانتزاعها كرة أخرى من قبضة بني عبد الواد. وكان ابن خلدون يقيم عندئذ في ضيافة أبي حمو، فلما بلغه مقدم ملك المغرب، ورأى الطريق إلى مدينة بسكرة قد سدت في وجهه، وسرت الفتنة إلى كل ناحية، خشي العاقبة على نفسه واستأذن أبا حمو في السفر إلى الأندلس، فأذن له وبعث معه برسالة إلى ملك غرناطة، وأسرع ابن خلدون إلى مرسى هنين ليركب البحر منها، ولكن الخبر نما إلى ملك المغرب بأن ابن خلدون في هنين وأنه يحمل ودائع لأبي حمو، فأمر بالقبض عليه، حيث حمل إلى السلطان في ظاهر تلمسان، فعنفه لانسلاخه عن طاعة بني مرين، فوعده ابن خلدون بمعاونته في جمع القبائل على كلمته وفتح مدينة بجاية، فارتاح السلطان لذلك وأطلق سراحه لليلة من اعتقاله، فارتد إلى مكان في الصحراء يعرف برباط أبي مدين ونزل به حينًا يشتغل في عزلته بالقراءة والدرس.

خوذة لأحد المقاتلين الأسبان- أسبانيا

بعد استيلاء السلطان عبد العزيز على مدينة تلمسان سنة 772هـ، أرسل إلى ابن خلدون وعهد إليه ببث دعوته بين القبائل لخلع طاعة أبي حمو، حيث نجح في ذلك، ثم قصد السلطان عبد العزيز في مدينة تلمسان فأحسن استقباله وأكرم مثواه.

عودة إلى فاس...

لبث ابن خلدون مقيماً في مدينة بسكرة فترة من الزمن، لكنه أحس بتغير أميرها عليه فعزم على السفر إلى مدينة فاس، وفي الطريق اعترضت قافلته فرقة من الأشقياء، فنهبت متاع المسافرين، ونجا ابن خلدون وأسرته من الأسر بأعجوبة.

وصل ابن خلدون إلى مدينة فاس، فأكرمه وزيرها ابن غازي، فأقام بها موقرًا مبجلا، حتى وشى به البعض عند الوزير ابن غازي، عندئذ لم يجد ابن خلدون أمامه إلا الرحيل إلى الأندلس طلبًا للاستقرار والعلم.



راحلة جمال

الرحيل إلى الأندلس...

جاز ابن خلدون البحر إلى الأندلس في شهر ربيع سنة 776هـ، لكن بلاط فاس طلب من سلطان غرناطة الغني بالله محمد بن الأحمر تسليم ابن خلدون لتآمره على الدولة، فأبى السلطان تسليمه، ولكنه ارتضى أن يجيز ابن خلدون إلى تلمسان، ويحكي ابن خلدون أحداث هذه المحنة التي كادت تلم به قائلا:

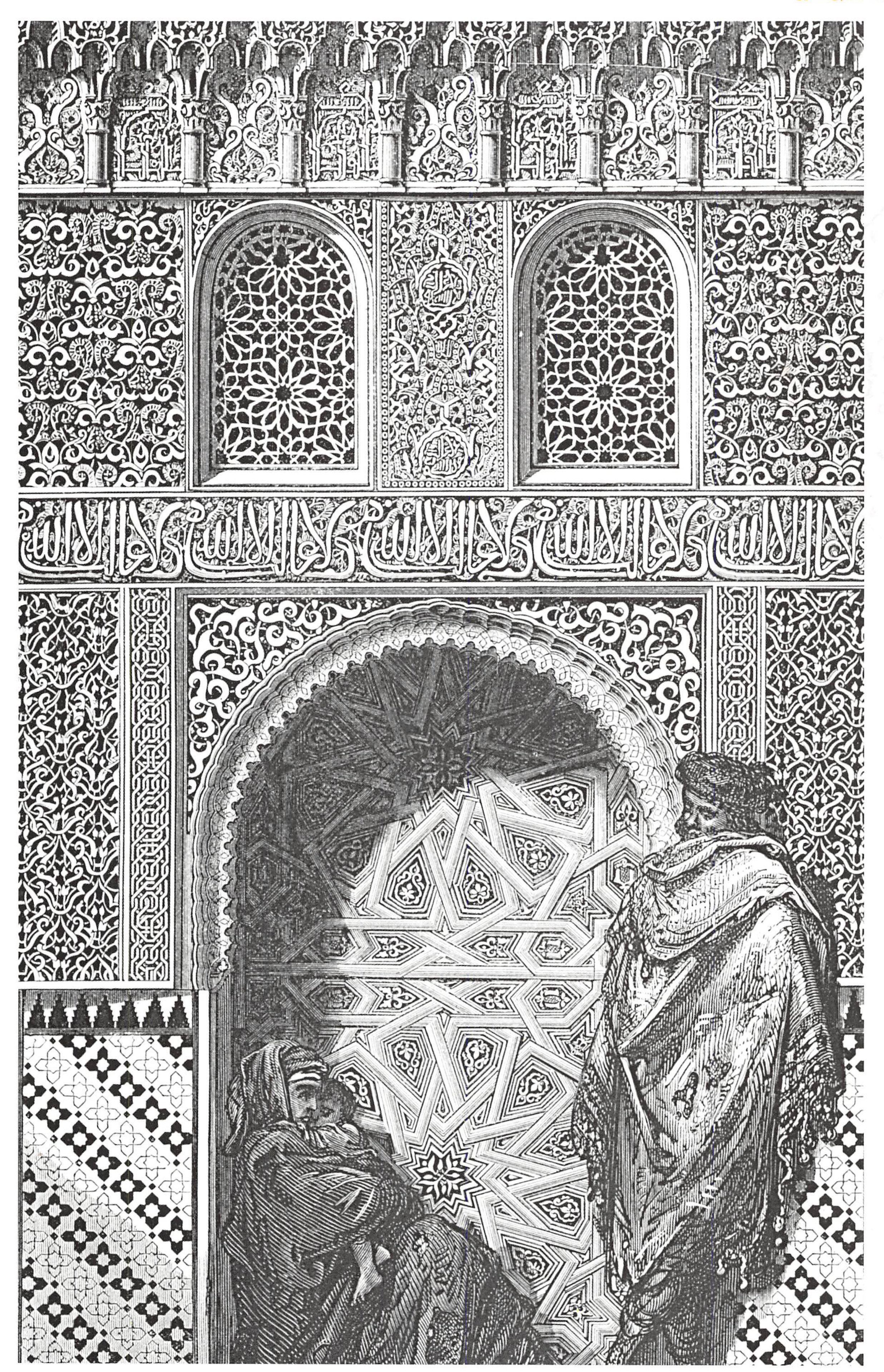
وأجزت إلى الأندلس في ربيع سنة ست وسبعين، ولقيني بجبل الفتح كاتب السلطان ابن الأحمر، من بعد ابن الخطيب، الفقيه أبا عبد الله بن زمرك، ذاهبًا إلى فاس في غرض التهنئة، وأجاز إلى سبتة في أسطوله، وأوصيته بإجازة أهلي وولدي إلى غرناطة، فلما وصل إلى فاس، وتحدث مع أهل الدولة في إجازتهم، تنكروا لذلك، وساءهم استقراري بالأندلس، واتهموا أني ربما أحمل السلطان ابن الأحمر على الميل إلى الأمير عبدالرحمن، الذي اتهموني بملابسته، ومنعوا أهلي من اللحاق بي، وخاطبوا السلطان ابن الأحمر في أن يرجعني إليهم، فأبى من ذلك، فطلبوا منه أن يجيزني إلى عدوة تلمسان



قصور الحمراء، شعار بني نصر - غرناطة



قصور الحمراء، مجلس السلطانة - غرناطة



قصور الحمراء - غرناطة



عودة إلى تلمسان ...

جاز ابن خلدون البحر من الأندلس إلى مدينة تلمسان، فوصل إلى مرسى هنين (مدينة عنابة حاليًا) على مقربة من مدينة تلمسان في سنة 776هـ، التي طلب أميرها منه الدعوة له بين القبائل، لكن ابن خلدون كان قد ركن إلى السلام طالبًا للعلم، فنزح إلى البطحاء ومنها إلى مدينة منداس حيث نزل في أحياء بني عريف قبالة جبل كزول، حيث أكرموه وأنزلوه مع أسرته في "قصر أبي بكر بن عريف" أحد قصورهم في قلعة ابن سلامة من بلاد توجين، فقطع ابن خلدون في ذلك المقر النائي مدى أربعة أعوام، نعم خلالها بالاستقرار بعيدًا عن غمار السياسة والدسائس السلطانية، وألفى لأول مرة فرصة واسعة للبحث والدرس.

كتابة المقدمة والتاريخ...

في قلعة بني سلامة بدأ ابن خلدون في كتابة مؤلفه التاريخي الذي عرف بمقدمة ابن خلدون، وكان يومئذ في نحو الخامسة والأربعين من عمره، قضى منها ابن خلدون نحو ربع قرن في معارك سياسية ودسائس تحاك من وراء الستار وفي بلاط الملوك، وانتهى من كتابتها لأول مرة في منتصف سنة 779هـ واستغرق في كتابتها خمسة أشهر فقط ثم نقحها وهذبها بعد ذلك.

شرع ابن خلدون بعد إتمام المقدمة في كتابة تاريخه، فكتب منه تاريخ العرب والبربر وزناتة، ولم يكن في برنامج ابن خلدون أن يكتب تاريخًا عامًا للخليقة بل كان قصده الأساسي أن يكتب تاريخ المغرب والدول البربرية، ولكنه عاد فعدل برنامجه، ورأي أن يكتب تاريخًا عامًا للخليقة، ولما كان ينقصه في مقامه المنعزل كثير من المراجع والتحقيق. وكان ذلك في منتصف سنة 780هـ بعد أن أكمل المقدمة والأقسام المتعلقة بتاريخ العرب والبربر، يقول ابن خلدون:

> **وتشوقت إلى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد إلا بالأمصار، بعد أن أمليت الكثير من حفظي، وأردت التنقيح والتصحيح .... فحدث عندي ميل إلى مراجعة السلطان أبي العباس، والرحلة إلى تونس، حيث قرار آبائي، ومساكنهم، وآثارهم، وقبورهم**

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبار الدول المزاحمة لدولة بني العباس ومن بعدهم لدولة الادارسة بالمغرب

قد تقدم لنا ذكر شيعة اهل البيت لعلي بن ابي طالب وبنيه رضي الله عنهم وما كان
من شانهم بالكوفة وموجدتهم على الحسن في تسليم الامر لمعاوية واضطراب الامر على زياد
بالكوفة من اجلهم حتى قتل المتولون كبير ذلك منهم حجر بن عدي واصحابه ثم استدعوا
الحسين بعد وفاة معاوية وكان من قتله بكربلا ما هو معروف ثم ندم الشيعة على قعودهم
عن مناصرته فخرجوا بعد وفاة يزيد وبيعة مروان وخروج عبيد الله بن زياد عن الكوفة وسموا
انفسهم التوابين وولوا عليهم سليمان بن صرد ولقيتهم جيوش بن زياد باطراف الشام فاستلحموهم
ثم خرج المختار بن ابي عبيد بالكوفة طالبا بدم الحسين عليه السلام وداعيا لمحمد بن الحنفية وتبعه
على ذلك جموع من الشيعة وسماهم شرطة الله وزحف اليه عبيد الله بن زياد فهزمه المختار وقتله
وبلغ محمد بن الحنفية من احوال المختار ما نقم عليه فكتب اليه بالبراءة منه فصار الى الدعاء لعبد الله
ابن الزبير ثم استدعوا الشيعة من بعد ذلك زيد بن علي بن الحسين الى الكوفة ايام هشام بن عبد
الملك فقتله صاحب الكوفة يوسف بن عمر وصلبه وخرج ابنه يحيى بالجوزجان من خراسان فقتل
وصلب كذلك وكلت دماء اهل البيت في كل ناحية وقد تقدم ذلك كله في اخبار الدولتين ثم اختلف
الشيعة وافترقت مذاهبهم في مصير الامامة الى العلوية وذهبوا طرائق قددا فمنهم الامامية
القائلون بوصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بالامامة ويسمونه الوصي بذلك ويتبرؤون من
الشيخين لما منعوه حقه بزعمهم وخاصموا زيدا بذلك حين دعا بالكوفة ولم يتبرا من الشيخين
فرفضوه وسموا من اجل ذلك الرافضة ومنهم الزيدية القائلون بامامة بني فاطمة لفضل علي وبنيه
على سائر الصحابة وعلى شروط يشترطونها وامامة الشيخين عندهم صحيحة وان كان علي افضل وهذا
مذهب زيد واتباعه وهم جمهور الشيعة وابعدهم عن الانحراف والغلو ومنهم الكيسانية
نسبة الى كيسان يذهبون الى امامة محمد بن الحنفية وبنيه من بعد الحسن والحسين ومن هؤلاء كانت
شيعة بني العباس القائلون بوصية ابي هاشم بن محمد بن الحنفية الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
بالامامة وانتشرت هذه المذاهب بين الشيعة وافترق كل مذهب منها الى طوائف بحسب اختلافهم
وكان الكيسانية شيعة بني الحنفية اكثرهم بالعراق وخراسان ولما صار امر بني امية الى الاختلال اجتمع
اهل البيت بالمدينة وبايعوا بالخلافة سرا لمحمد بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن بن علي وسلم
له جميعهم وحضر هذا العقد ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو المنصور وبايع
فيمن بايع له من اهل البيت واجمعوا على ذلك لتقدمه فيهم بما علموا له من الفضل عليهم ولهذا كان
مالك وابو حنيفة رحمهما الله يحتجان اليه حين خرج من الحجاز ويريان ان امامته اصح من امامة ابي جعفر
لانعقاد هذه البيعة من قبل وربما صار اليه الامر من عند الشيعة بانتقال الوصية من زيد بن علي وكان
ابو حنيفة يقول بفضله ويحتج الى حقه فتأدت اليهما المحنة بسبب ذلك ايام ابي جعفر المنصور حتى
ضرب مالك على الفتيا في طلاق المكره وحبس ابو حنيفة على القضاء. ولما انقرضت دولة بني امية
وجاءت دولة بني العباس وصار الامر الى ابي جعفر المنصور سعي عنده ببني حسن وان محمد بن عبد الله يروم
الخروج وان دعاته ظهروا بخراسان فحبس المنصور لذلك بني حسن عبد الله بن حسن واخوته حسن وابراهيم
وجعفر وعلي العابد وابنه موسى بن عبد الله وسليمان وعبد الله ابني اخيه داود ومحمد واسماعيل واسحاق
بني عمه ابراهيم بن الحسن في خمسة واربعين من اكابرهم وحبسوا بقصر ابن هبيرة بظاهر الكوفة حتى

١٧٣

اميرها فرجع الى كرسيه وكان السلطان تمر قريبا في قومه يعرف بغياث الدين وقرابته
لطقتمش صاحب صراي وانحرافه بالانتقام على تمر وامده بالاموال والعساكر فعاث في تلك
البلاد وبلغ خبره الى تمر منصرفه من فتح توريز فكر راجعا وعظمت حروبه معه فتمر
الوزير الوالي غلبه وحسم علته وصرف وجهه الى نشانه الاول فسار الى خجند الى طقتمش
وهاربه طقتمش للغاية ومعه اغلان بلاط من اهل بيته فر ادخله تمر وجماعة معه من الامرا
واضطراب بهم طقتمش وقد حان اللقا وتماقوا للحرب فصدم ناحية من عسكر تمر
وفتك بمن لقي فيها وانهزم عن المعركة ثم ارتاب تمر ايضا فرجع الى بلاده وسار
اغلان بلاط الى صراي فاستخرج جمعها وهرب اغلان بلاط الى القرم فملكها وزحف اليه
طقتمش في العساكر فحاصرها وخالفه ابن ايرم الى صراي فتغلب عليها فرجع طقتمش
وانتزعها من يده ولم تزل عساكره تتغلب على القرم وتعاودها بالحصار الى ان ملكها
وظفر باغلان بلاط فقتله وكان السلطان تمر بعد فراغه مع طقتمش سار الى اصبهان
فملكها ثم تخطى الى فارس فملكها ايضا واستوعب ملوك بني المظفر بالناحيتين
بالقتل وانتظم اهلهم جميعا في مملكته ثم زحف الى بغداد فملكها من يد احمد
ابن اويس سنة خمس وتسعين كما مر ذكره ولحق احمد بالسلطان الظاهر مستنجدا فجابه
فخرج في العساكر وانتهى الى الفرات وقد سار تمر عن بغداد الى ماردين فحاصرها
وملكها وامتنعت عليه قلعتها فعاج من هنالك الى حصون الاكراد ومر بها الى بلاد
الارمن ثم الى بلاد الروم وبعث السلطان الظاهر العساكر مع احمد بن اويس فسار الى بغداد
وبها شرذمة من عسكر تمر فملكها من ايديهم ورجع الملك الظاهر الى مصر وقواعد الشام
ورجع تمر الى اعماله فاقام في عمل قراباغ وما بين اذربيجان وهمذان والابواب ثم بلغ الخبر
بان تمر سار من مكانه ذلك الى محاربة طقتمش وعميت انباؤهم مدة ثم بلغ الخبر اخر
سنة سبع وتسعين بان تمر ظفر بطقتمش وقتله واستولى على سائر اعماله والله غالب
على امره

ملوك غزنة وباميان من بني دوشي خان

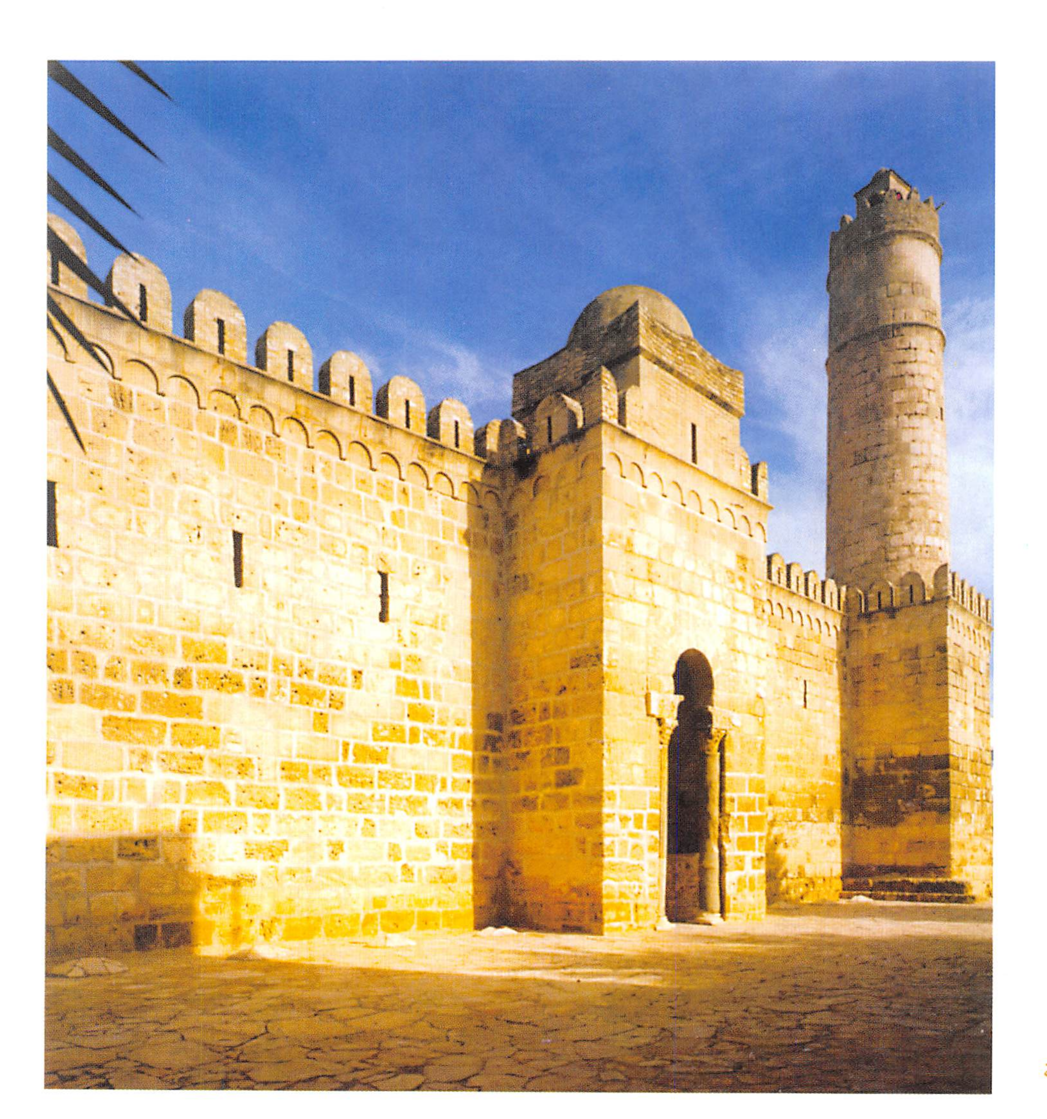
كانت اعمال غزنة وباميان هذه من حصة دوشي خان وهي من اعمال ما وراء النهر من جانب الجنوب
وانما عد السجستان وبلاد الهند وكانت في مملكة بني خوارزم شاه فملكها التتر الاول
وملكها جنكزخان لابنه دوشي خان وصارت لابنه اردنو ثم لابنه اقيجي بن اردنو بن دوشي خان
وهلك على راس المائة السابعة وخلف من الولد بيانا وكبلك ومنغطاي وانقسمت الاعمال بينهم
وكان كبيرهم بيان في غزنة وقام بالملك بعد اقيجي ابنه كبلك وانتقض عليه اخوه بيان
واستمد بطقطاي صاحب صراي فامده باخيه بزلك واستمر كبلك بغزنة وقاومه ولم يغن عنه
وانهزم ومات سنة تسع وسبعمائة واستولى بيان على الاعمال واقام بغزنة وزحف اليه
قوشناي بن اخيه كبلك واستمد بخندو وغلب عمه بيانا على غزنة ولحق بيان بطقطاي واستقر
قوشناي بغزنة ويقال ان الذي غلب بيانا انما هو اخوه منغطاي ولم نقف بعد ذلك على شيء
من اخبارهم انتهى السفر الخامس من كتاب قاضي القضاة ابن خلدون المسمى بالعبر وقال ناسخه
محمد بن محمد الملقب بالمغيلي بن يوسف الحنفي الباجي دارا قد استوعب في الجمع لولا ما فيه من
التكرار الممل وربما نبه بلطف وكان الفراغ من نسخ هذا الجزء الخامس من تاريخ ابن خلدون ويقال
ان هذا التاريخ ثمانية اجزاء يوم الجمعة من شهر ذي الحجة سنة ثمانين وماية والف والله ينفعنا
به وبجميع المومنين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله خاتم النبيين والمرسلين

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين
وبغية عفوك يا مولانا اني ذاكرك
وذاكر حمدك سيدنا محمد
بكل حرف كتبته في هذا
الجزء ذخيرة للدنيا
والاخرة امين
امين امين
امين

كان على عرش تونس عندما قرر ابن خلدون العودة إليها، لاستكمال تاريخه السلطان أبو العباس الذي استولى على المدينة سنة 771هـ ثم استولى من بعدها على جميع ثغور إفريقية، وقامت الدولة الحفصية مرة أخرى قوية وطيدة الدعائم.

الرحيل إلى تونس ...

غادر ابن خلدون أحياء بني عريف في شهر رجب سنة 780هـ، واجتاز الصحراء، فمر في طريقه بقسنطينة، ثم لحق بالسلطان أبي العباس بظاهر ثغر سوسة، فأكرمه السلطان وأمر بنقله إلى مدينة تونس حيث توفرت له وسائل الراحة، ونزل ابن خلدون تونس، وطنه ومسقط رأسه، لأول مرة منذ فارقها حدثًا دون العشرين في سنة 753هـ، واستقدم أسرته مرة أخرى من أحياء بني عريف، وأقام في دعة وأمن وسعة، عاكفًا على الدرس والبحث. ولما توفرت



مدخل ومئذنة الرباط – سوسة

لدى المؤرخ وسائل البحث والمراجعة، عكف على إتمام مؤلفه وتنقيحه وتهذيبه، حتى أتم منه نسخة أولى رفعها إلى مولاه السلطان أبي العباس في أوائل سنة 784هـ، وكانت هذه النسخة الأولى تشمل المقدمة وأخبار البربر وزناتة، وتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، وتاريخ الدول الإسلامية المختلفة. وقد انتهى ابن خلدون فيما كتبه عن أخبار الدول المغربية في عصره حتى استرجاع السلطان أبي العباس لتَوزَر في سنة 783هـ. ولكن هذه النسخة الأولى أكملت بعدئذ وأضيفت إليها أقسام كبيرة أخرى في تاريخ الدول الإسلامية في المشرق، وتاريخ الدول القديمة والدول النصرانية.

في نفس اليوم الذي رفع فيه ابن خلدون النسخة الأولى من كتابه للسلطان أبي العباس، أنشده قصيدة طويلة في نحو مائة بيت، يشيد فيها بسيرته وأعماله، ويستدر عطفه ورعايته، وينوه بكتابه.

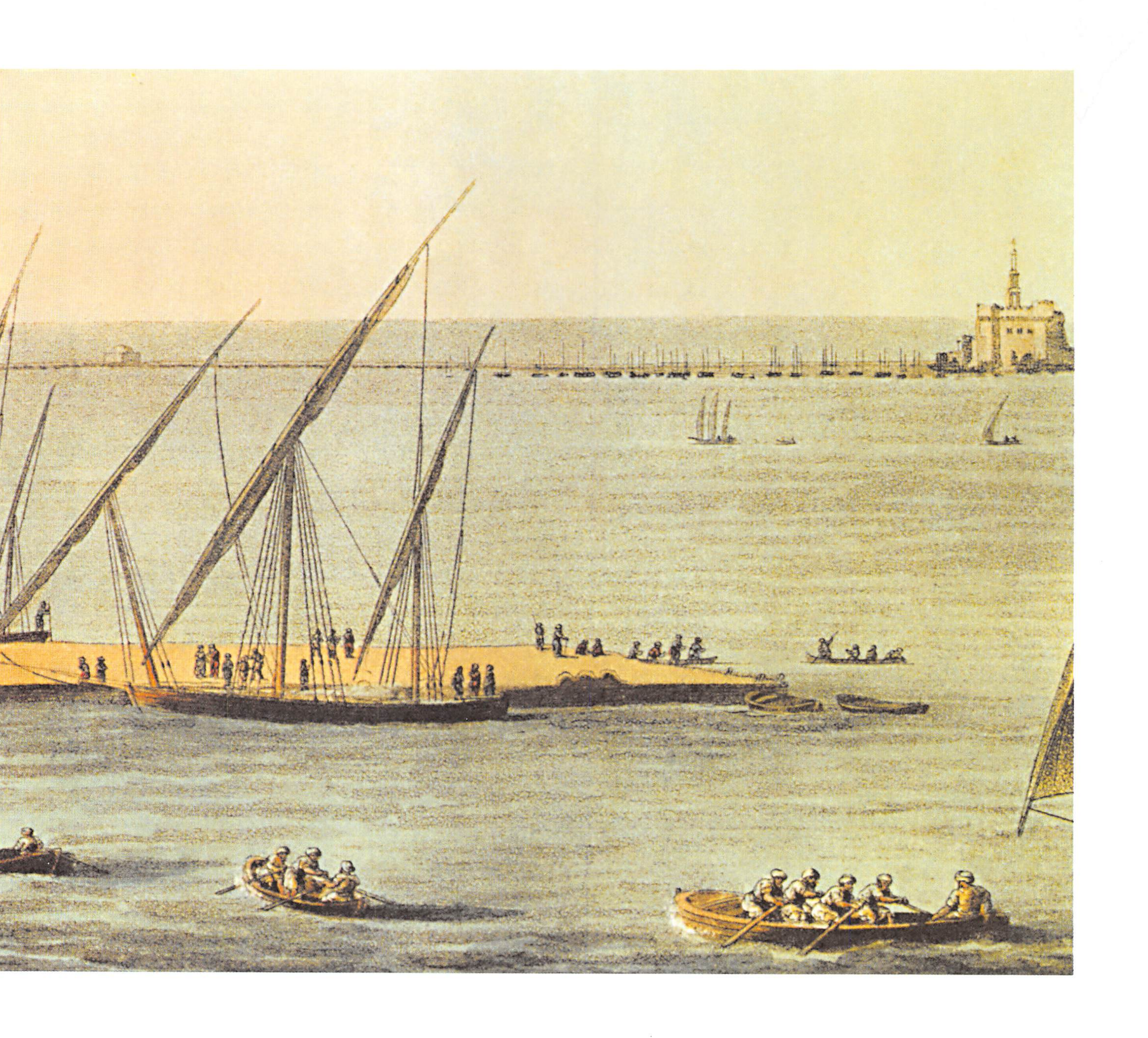
غير أن هذه الدعة التي تمتع بها ابن خلدون، ما لبث أن غشيها الكدر، نتيجة لوشايات الوزير ابن عرفة، لكن هذه الوشايات لم تثمر عن حرمان المؤرخ من عطف مليكه، ولكنها أثمرت عن إزعاجه، فقد كانت نفسه قد عافت أحداث السياسة، فاعتزم عندئذ مغادرة تونس، وخطرت له فكرة الحج، فتضرع إلى السلطان أن يأذن له في قضاء الفريضة، فأذن له، وغادر ابن خلدون وطنه ومسقط رأسه مرة أخرى، فكانت الهجرة الأبدية، وخرج إلى مرسى السفن، في حفل مؤثر من الأعيان والأصدقاء والتلاميذ يودعونه بين مظاهر الحزن والأسى، وركب البحر إلى المشرق في منتصف شعبان سنة 784هـ، ويصف ابن خلدون لحظات رحيله عن مدينة تونس قائلا:

وكانت بالمرسى سفينة لتجار الإسكندرية قد شحنها التجار بأمتعتهم وعروضهم، وهي مقلعة إلى الإسكندرية، فتطارحت على السلطان، وتوسلت إليه في تخلية سبيلي لقضاء فرضي، فأذن لي في ذلك، وخرجت إلى المرسى، والناس متسائلون على أثري من أعيان الدولة والبلد وطلبة العلم، فودعتهم، وركبت البحر منتصف شعبان من السنة، وقوضت عنهم بحيث كانت الخيرة من الله سبحانه، وتفرغت لتجديد ما كان عندي من آثار العلم، والله ولي الأمور سبحانه

في مصر والشام والحجاز

الوصول إلى الإسكندرية...

غادر ابن خلدون مدينة تونس في منتصف شعبان سنة 784هـ، فوصل إلى مدينة الإسكندرية في يوم عيد الفطر بعد رحلة بحرية شاقة، حيث لبث في الإسكندرية شهرًا يعد العدة للحج، ولكن لم يُتَح له يومئذ أن يحقق هذه الغاية، يقول ابن خلدون:

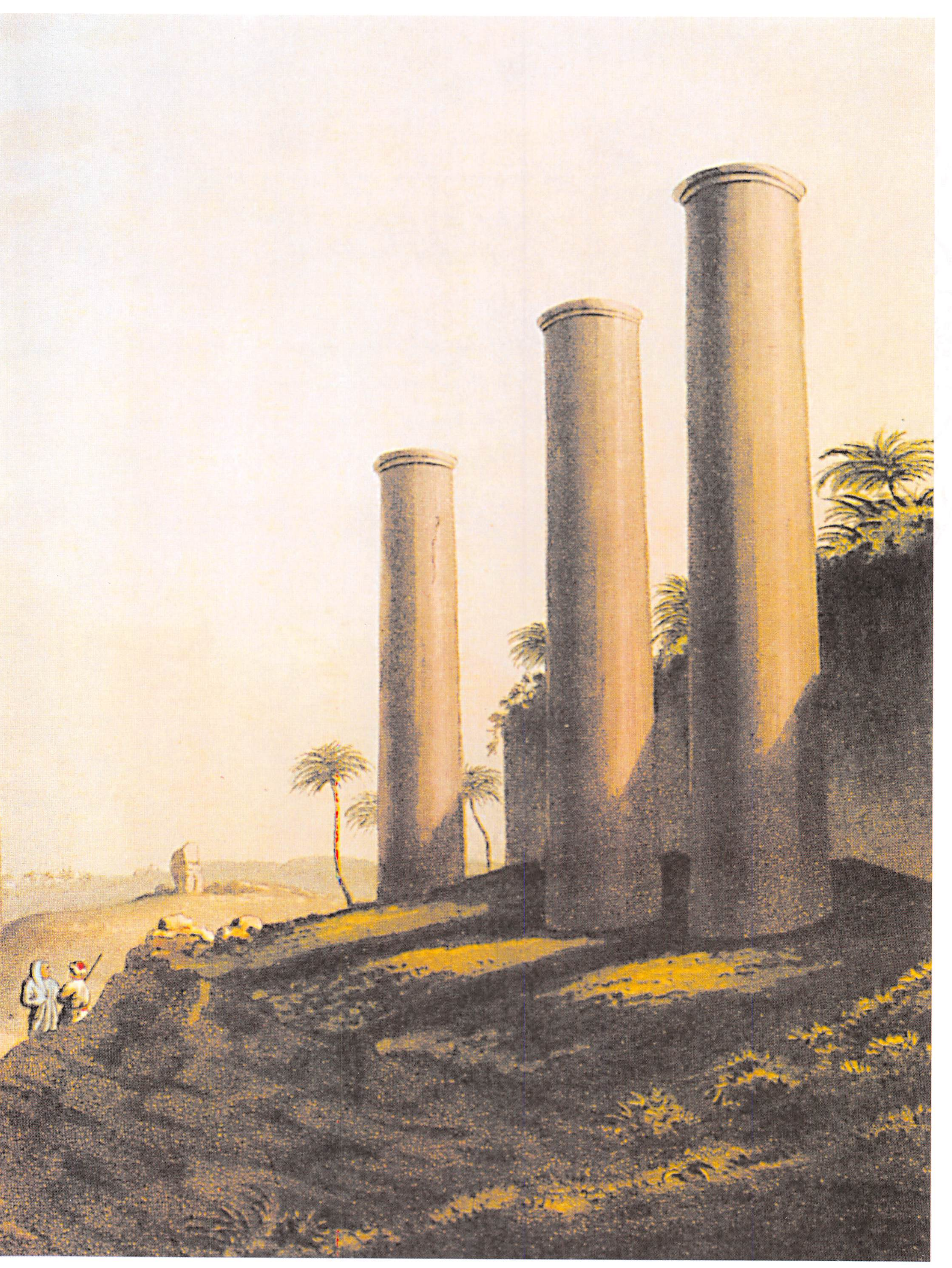


ولما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين، وأقمنا في البحر نحوًا من أربعين ليلة، ثم وافينا مرسى الإسكندرية يوم عيد الفطر

لم تكن فريضة الحج سوى حجته الظاهرة في مغادرة مدينة تونس، حيث كان هذا نوعًا من الفرار من البطش والمحنة. وكان يرجو بلا ريب أن يقضي أيامه بمصر في هدوء ودعة، وأن ينعم بالاستقرار الذي لم تهيئه له بالمغرب حياة النضال والمغامرة، وكان يومئذ في الثانية والخمسين، ولكنه كان وافر النشاط والقوة، يتطلع دائمًا إلى مراتب النفوذ والعزة.

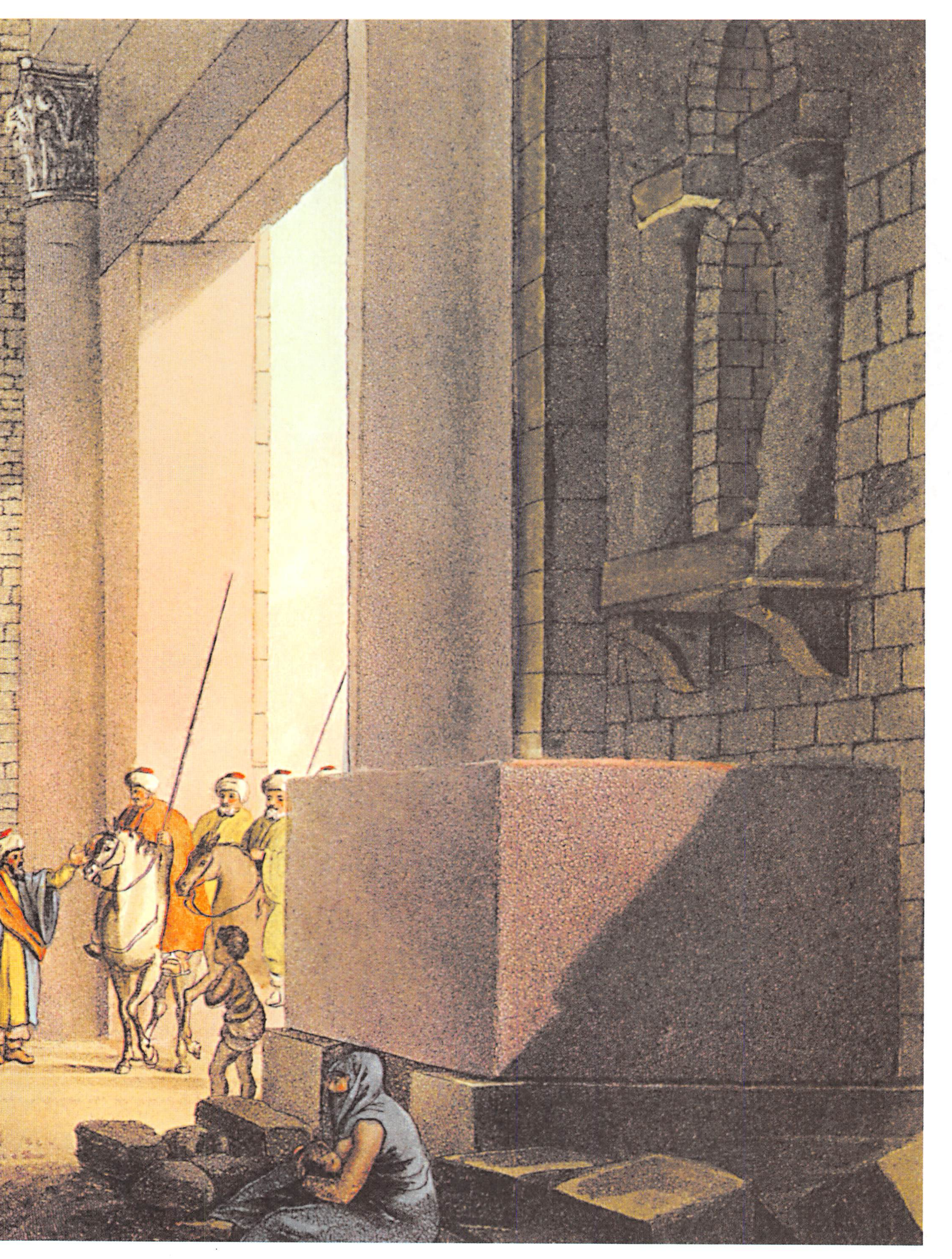
الميناء الشرقي - الإسكندرية





المسجد الجامع - الإسكندرية



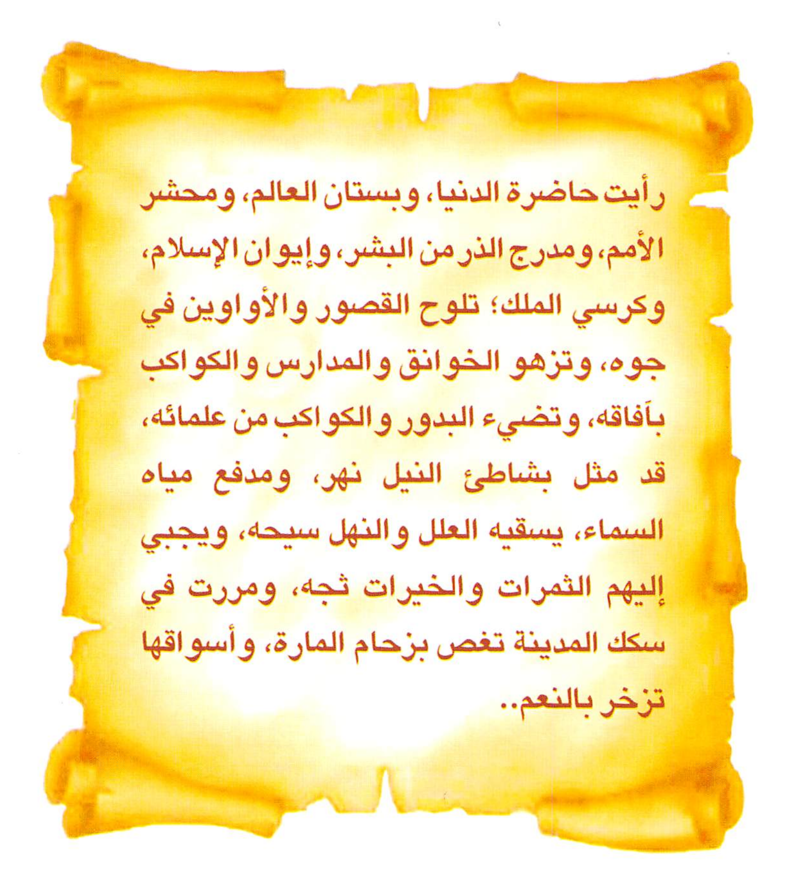


باب رشيد – الإسكندرية



ابن خلدون في القاهرة ...

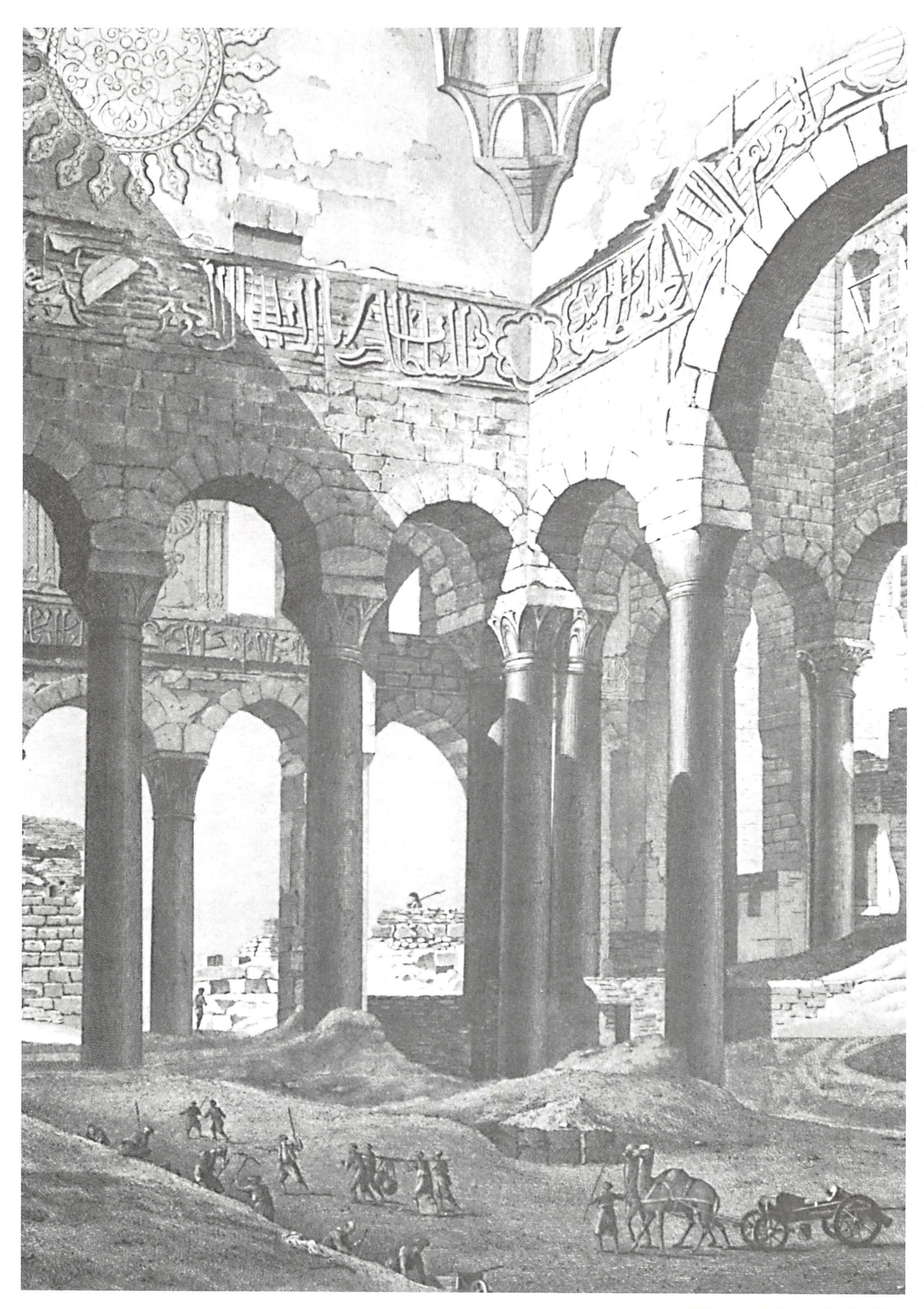
وصل ابن خلدون إلى مدينة القاهرة في أول ذي القعدة سنة 784هـ، فبهرته ضخامتها وعظمتها وبهاؤها، كما بهرت سلفه ومواطنه الرحالة ابن بطوطة قبل ذلك بنصف قرن، ولا غرو فإن المؤرخ لم ير بالمغرب سوى تلك المدن الصحراوية المتواضعة، ولم ير بالأندلس حيث قضى ردحًا من الزمن مدينة في عظمة القاهرة وروعتها. وهو يهتف للقاهرة أثر مقدمه ويحييها بحماسة تنم عن عميق إعجابه وسحره وتأثره، فقد وصفها قائلا:



كانت القاهرة يوم أن نزلها ابن خلدون موئل التفكير الإسلامي في المشرق والمغرب، ولبلاطها شهرة واسعة في حماية العلوم والآداب، فكان يرجو أن ينال قسطه من هذه الرعاية والحماية.

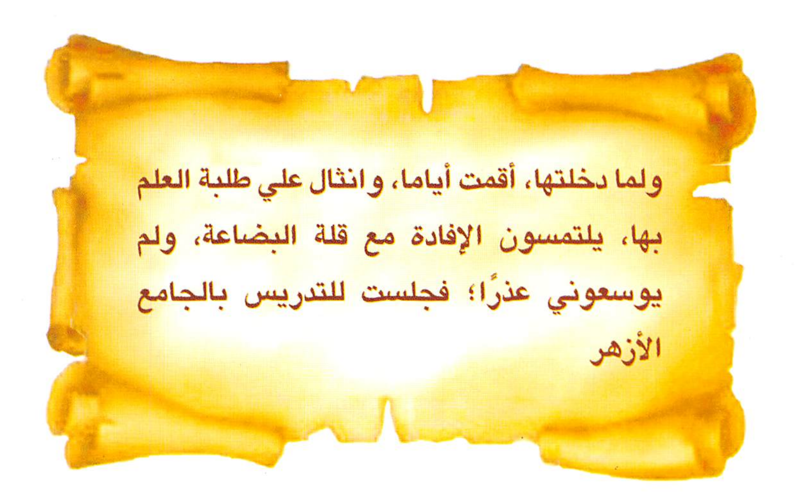


وصول ابن خلدون - القاهرة



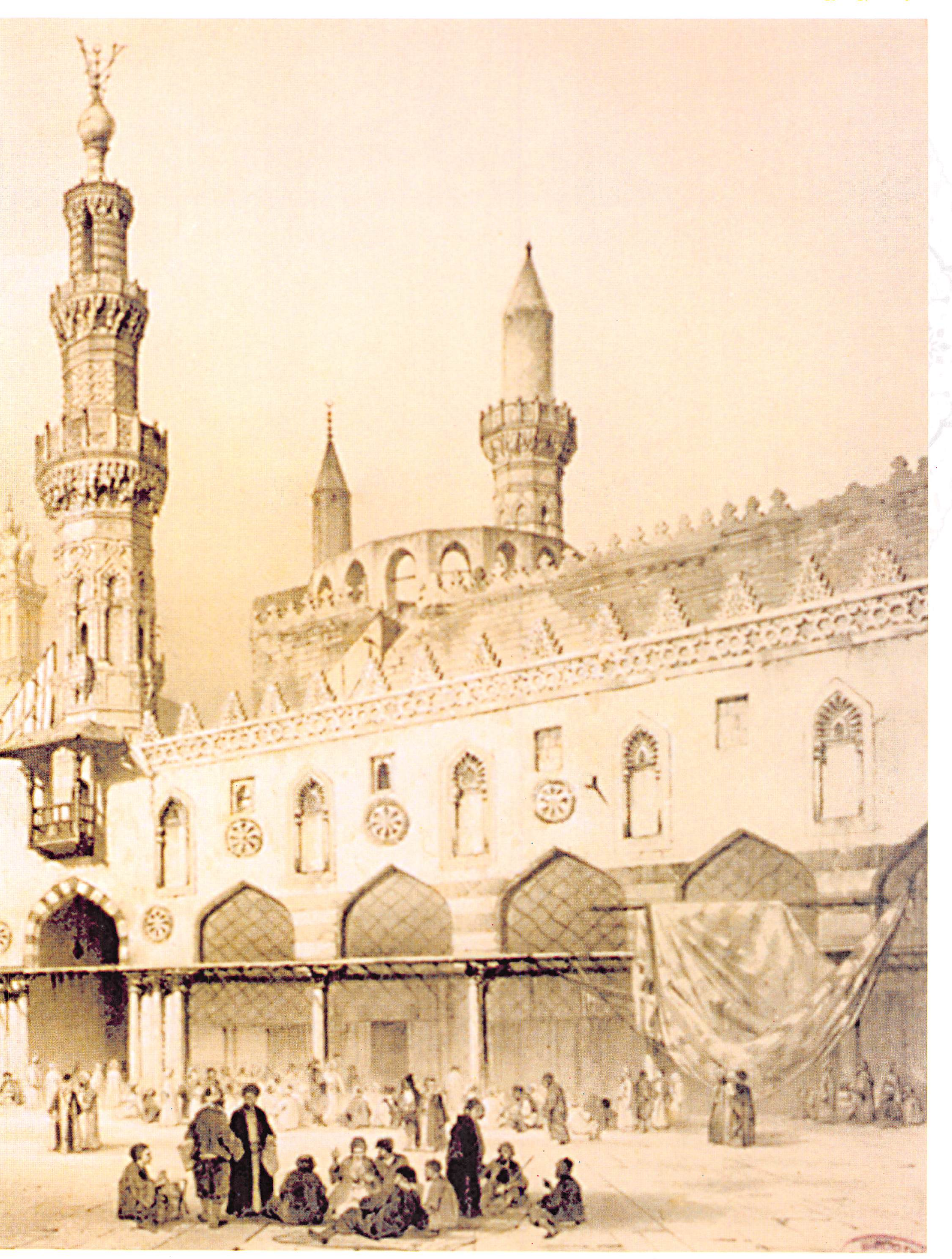
قلعة الجبل، الإيوان الناصري – القاهرة

لم يكن ابن خلدون نكرة في مصر، فقد كان المجتمع القاهري يعرف الكثير عن شخصه ومسيرته، وكان مؤلفه الضخم ولاسيما مقدمته الشهيرة قد سبقه، وذاعت نسخه الأولى قبل ذلك بقليل في مصر، فلم يكد يحل بالقاهرة حتى أقبل عليه العلماء والطلاب من كل صوب، يقول ابن خلدون:



جلس ابن خلدون للتدريس بالجامع الأزهر، والظاهر أنه كان يدرس الحديث والفقه المالكي، ويشرح نظرياته في العمران والعصبية وأسس الملك ونشأة الدول وغيرها مما عرض إليه في مقدمته. وكانت هذه الدروس خير إعلان عن غزير علمه، وساحر بيانه، وكان ابن خلدون محدثًا بارعًا رائع المحاضرة، يخلب ألباب سامعيه بمنطقه وذلاقته، وهو ما شهد له كل من شيخ مؤرخي الخطط المصرية تقي الدين المقريزي، والمؤرخ الموسوعي ابن حجر العسقلاني، اللذين سمعا ودرسا عليه.

استطاع ابن خلدون إذن أن يخلب ألباب المجتمع القاهري، وأن يستثير إعجابه وتقديره، وفي أثناء ذلك اتصل ابن خلدون بأمير من أمراء البلاط يدعى علاء الدين ألطبغا الجواني، فشمله برعايته وساعده على التقرب من السلطان الملك الظاهر برقوق، الذي ولي الملك قبيل مقدم ابن خلدون بأيام قلائل (أواخر رمضان سنة 784هـ)، فأكرم وفادة المؤرخ واهتم بأمره.



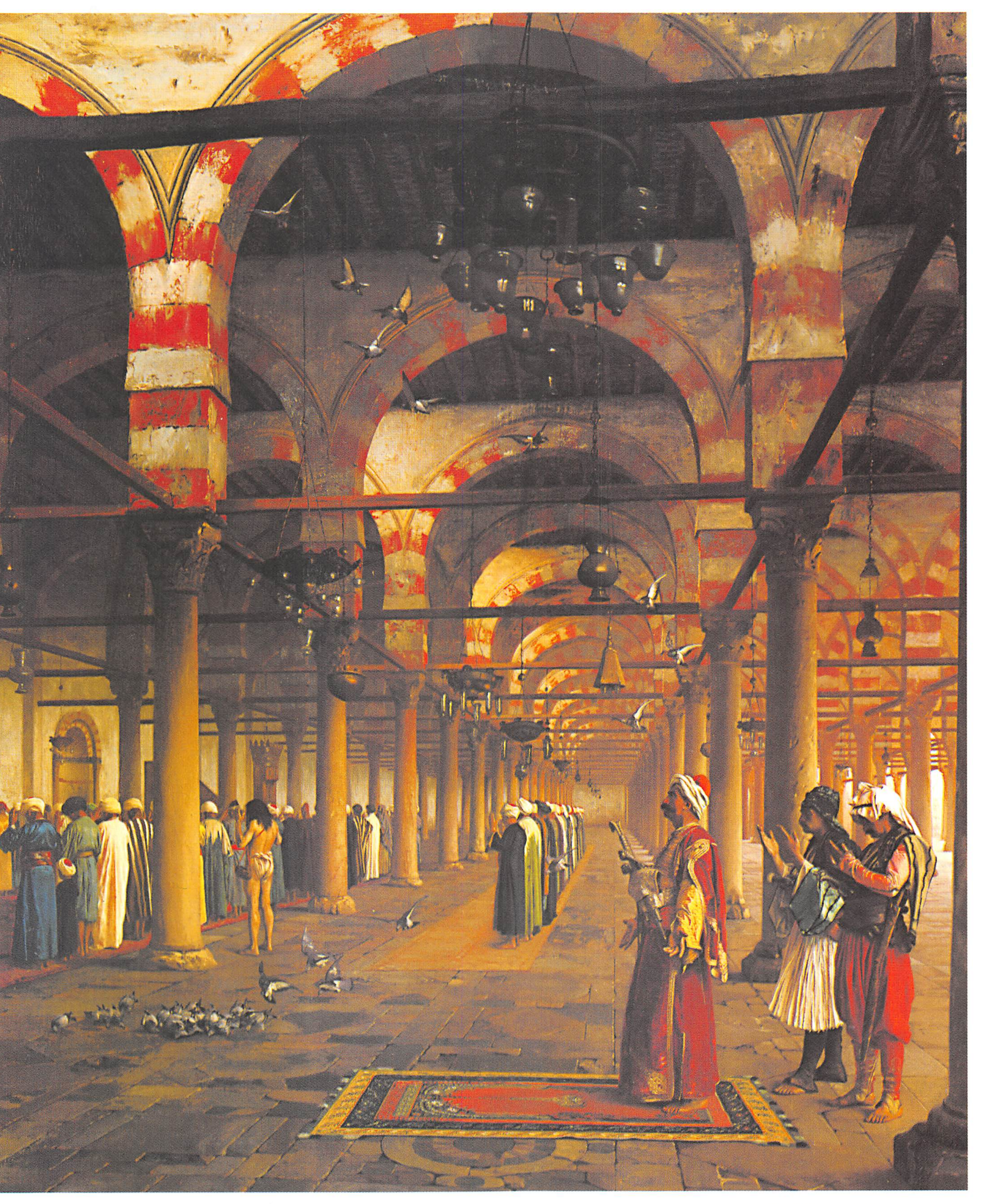
الجامع الأزهر – القاهرة



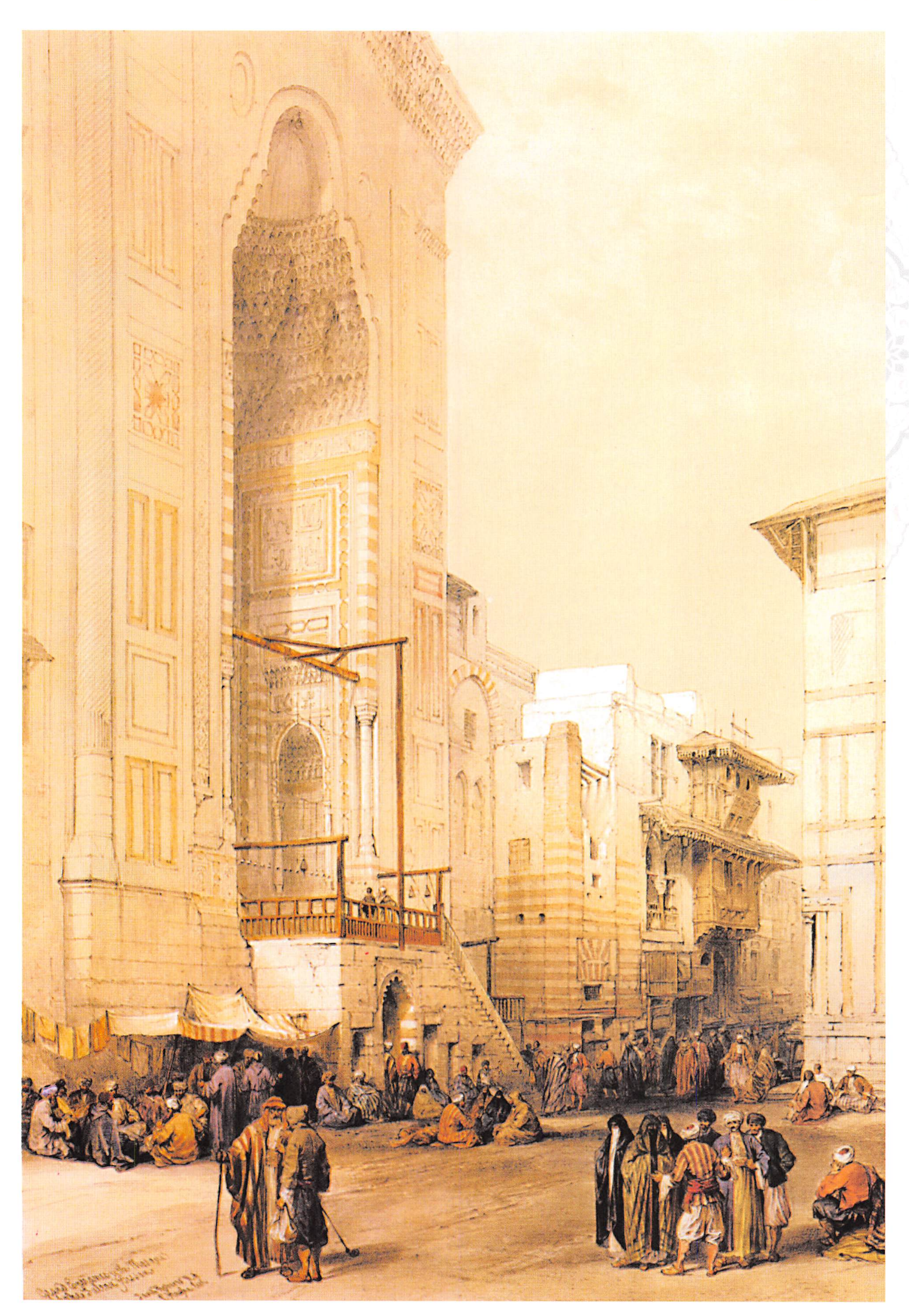


فارس مملوكي – القاهرة

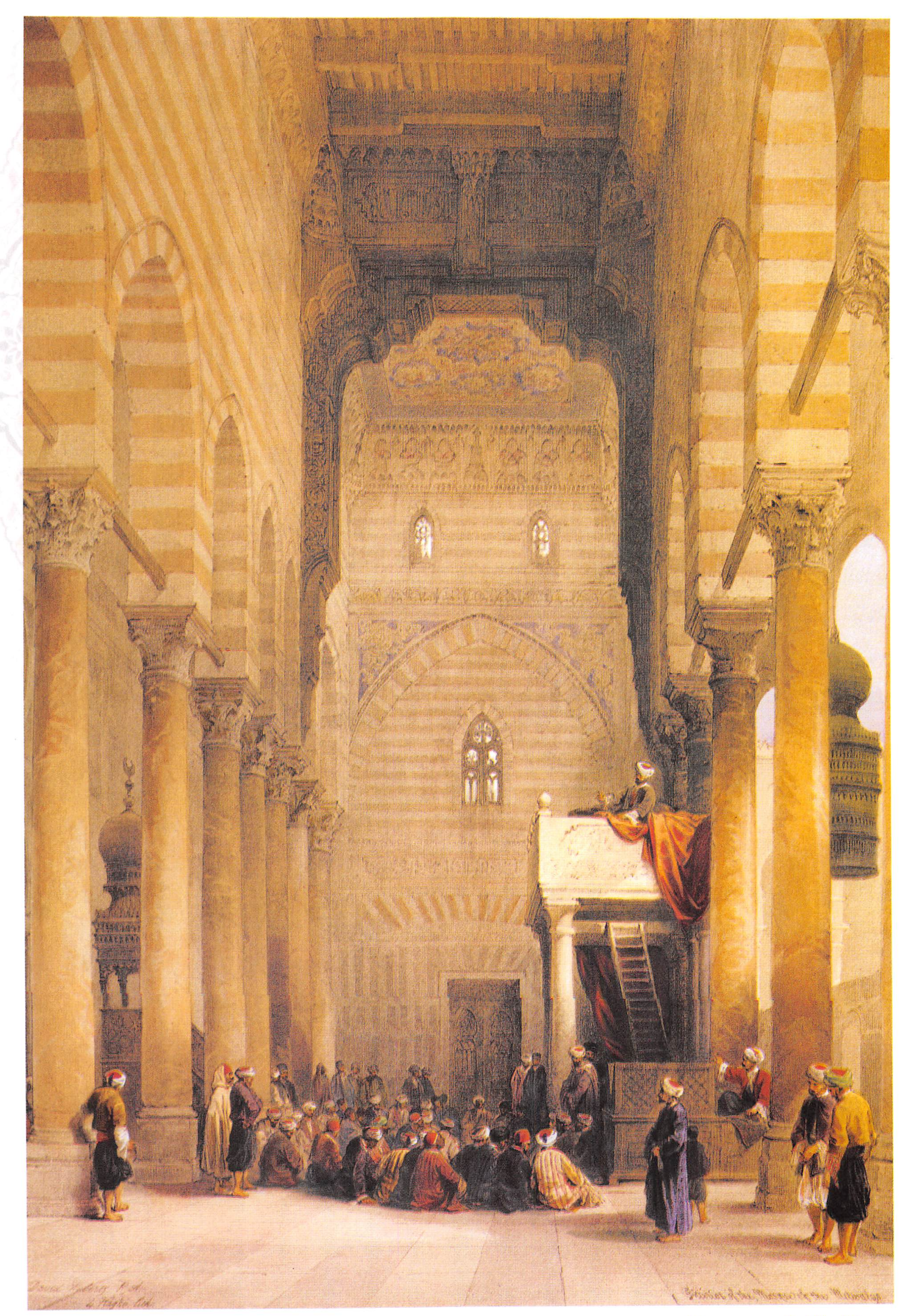
لم يمض قليل على ذلك حتى خلا منصب التدريس بالمدرسة القمحية، بجوار جامع عمرو، وهي من مدارس المالكية التي أقامها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فعينه السلطان الملك الظاهر برقوق فيه. ويصف ابن خلدون افتتاحه للدرس في تلك المدرسة، فقد شهده جمهرة من الأكابر أرسلهم السلطان لشهوده والتفوا حول المؤرخ، حيث تكلم ابن خلدون بعد الديباجة (الحمد والصلاة على النبي –ﷺ–) عن فضل العلماء في شد أزر الدولة الإسلامية، وعن تغلب الدول، ثم أشاد بما لدول السلاطين المصرية من فضل في نصرة الإسلام، وإعزازه، ومن همم في إنشاء المساجد والمدارس، ورعاية العلم والعلماء والقضاة، ثم دعا للملك الظاهر، وأشاد بعزمه وعدله وعقله، وعطف بعدئذ على نفسه، وما أوليه من شرف المنصب.



جامع عمرو بن العاص – القاهرة



مدرسة السلطان الناصر حسن – القاهرة

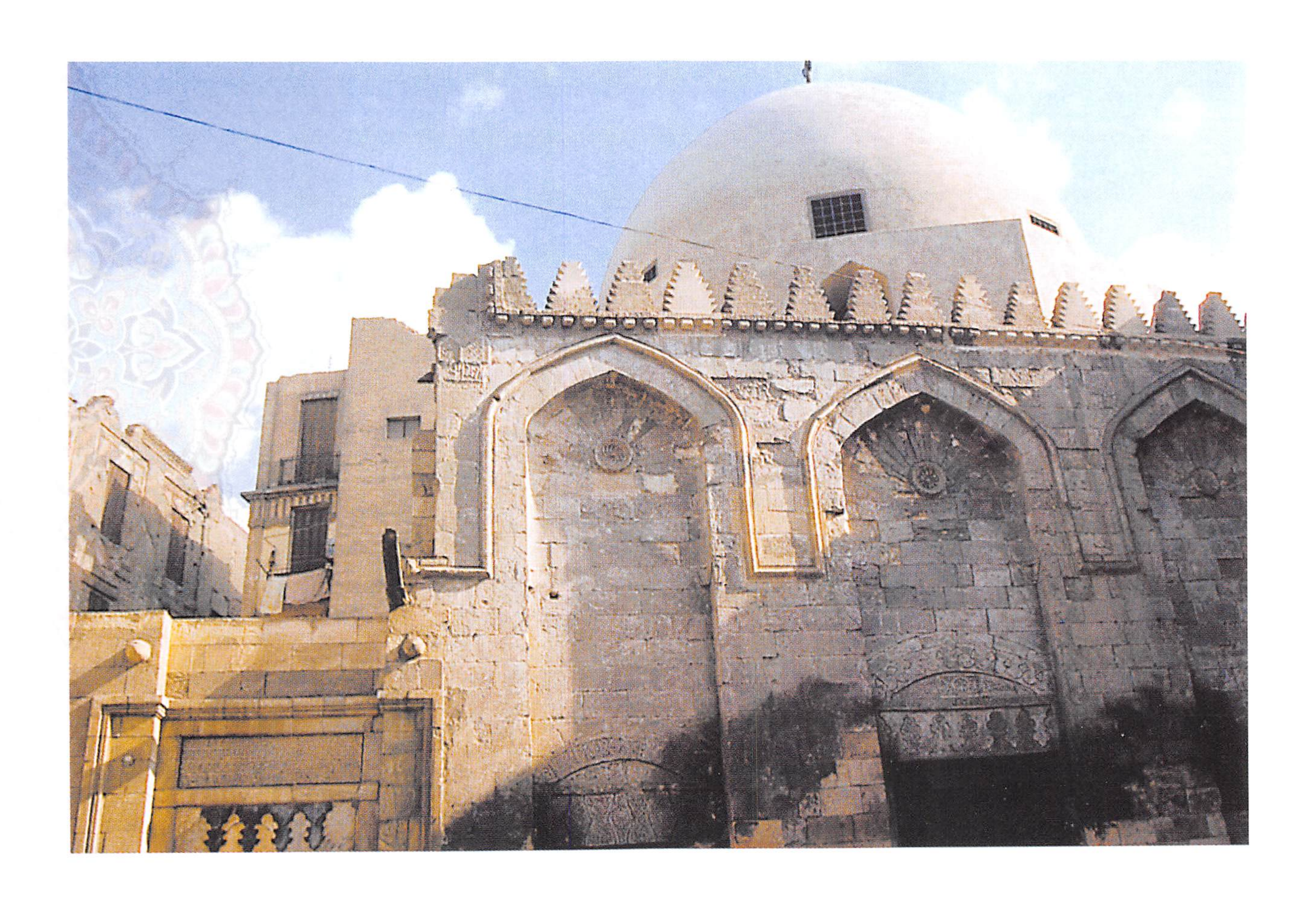


مدرسة السلطان المؤيد شيخ - القاهرة

كانت الخطوة الثانية في ظفر ابن خلدون بمناصب الدولة، تعيينه قاضيًا لقضاة المالكية في أواخر جمادى الآخرة سنة 786هـ، خلفًا للقاضي المعزول جمال الدين بن خير السكندري، وهو المنصب الذي يعد من أهم مناصب الدولة، كما لم يكن هذا الحادث حادثًا معتادًا، فقد كان ابن خلدون أجنبيا عن البلاد، وكان تقدمه في حظوة السلطان وفي نيل المناصب سريعا. وكان مناصب التدريس والقضاء دائمًا مطمح جمهرة الفقهاء والعلماء المحليين، ولم يكن مما يحسن وقعه لديهم أن يفوز بها الأجانب الوافدون دونهم. وإذن فقد تولى العلامة المغربي منصبه في جو يشوبه كدر الخصومة والحسد. وجلس بمجلس الحكم في المدرسة الصالحية بحي بين القصرين، فلم يمض سوى قليل حتى ظهرت من حوله بوادر الحقد والسعاية.

في ظل جو من الحقد والسعاية، فقد ابن خلدون حظوته وما كان يتمتع به من عطف ومؤازرة، وأصابته في ذلك الحين نكبة أخرى هي هلاك زوجته وولده وماله، وكان منذ مقدمه ينتظر لحاق أسرته به، ولكن سلطان تونس حجزها عن السفر ليرغمه على العودة إلى مدينة

منبر مملوكي - القاهرة

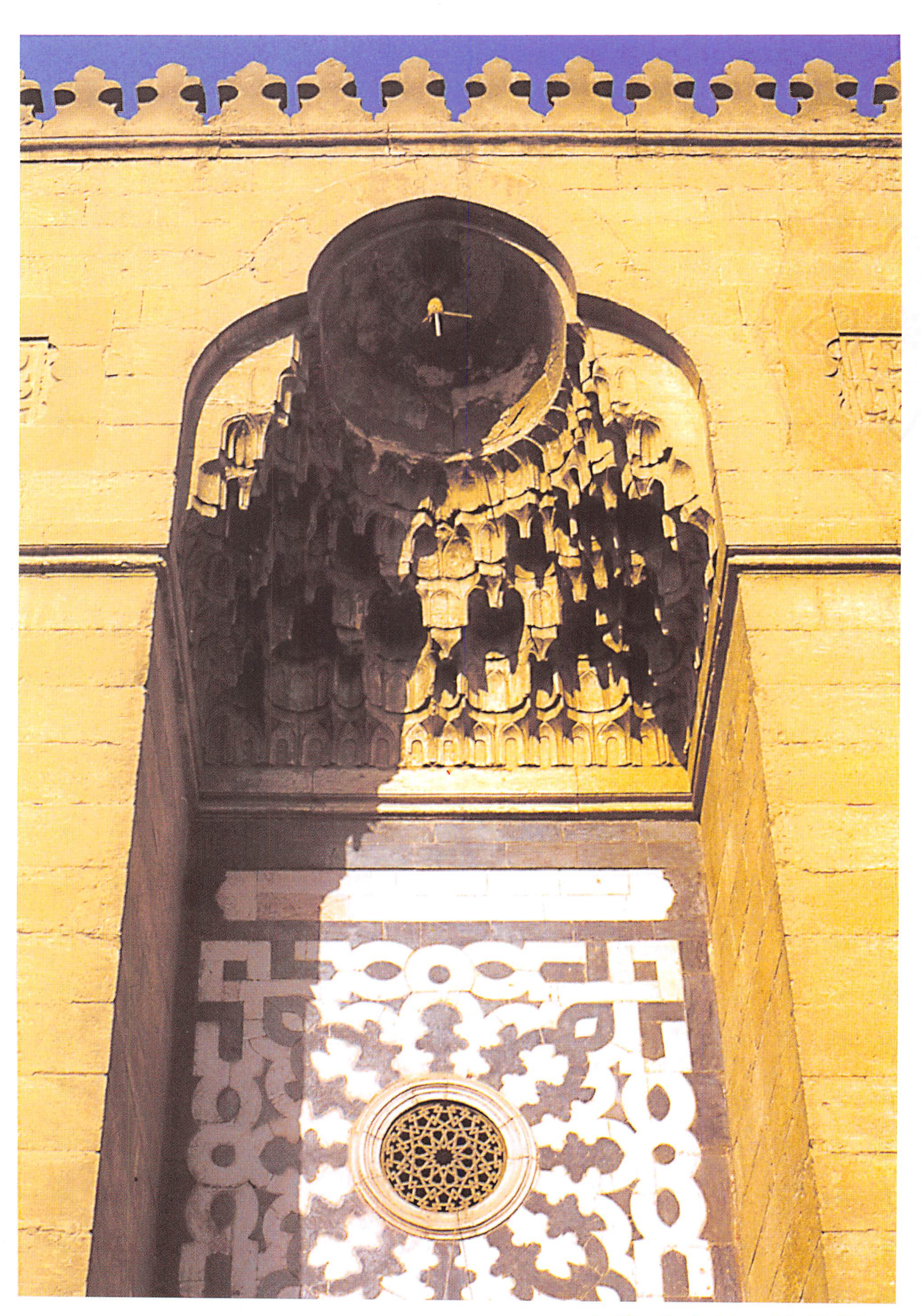


المدارس الصالحية
قاعة شيخ المالكية – القاهرة

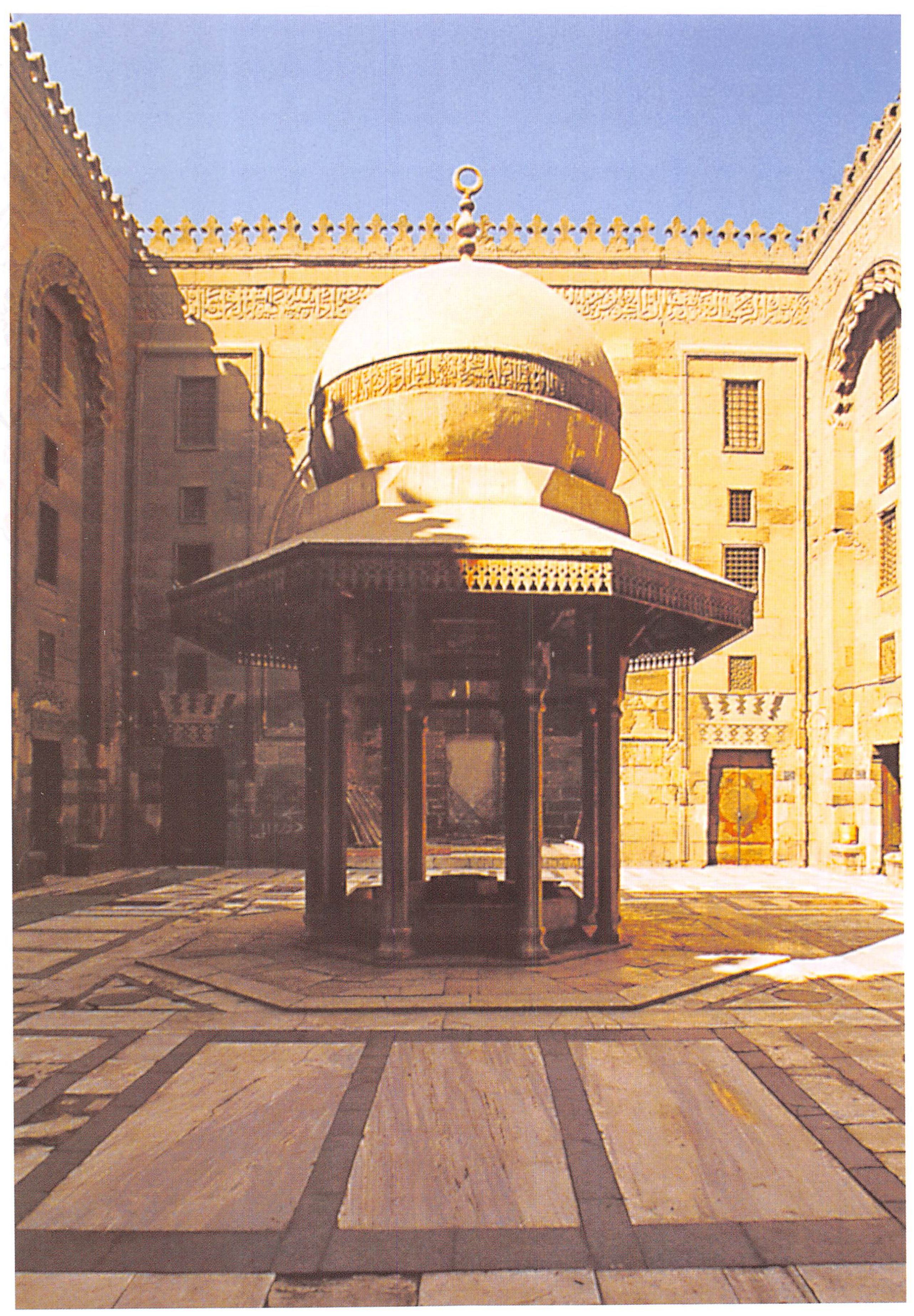
تونس، فتوسل إلى السلطان الظاهر برقوق أن يشفع لديه في تخلية سبيل أسرته ففعل، وأطلق سراح الأسرة وركبت البحر إلى مصر، غير أن السفينة وتعرف بـ "ربع الدنيا" غرقت، وعلى متنها زوجة ابن خلدون وخمس بنات له ولم ينج له منها سوى ولدين هما محمد وعلي، وما لبث ابن خلدون أن عزل من منصب القضاء.

كان عزل ابن خلدون عن منصب القضاء لأول مرة في السابع من جمادى الأولى سنة 787هـ، بعد نحو عام فقط من ولايته، فانقطع إلى الدرس والتأليف كرة أخرى.

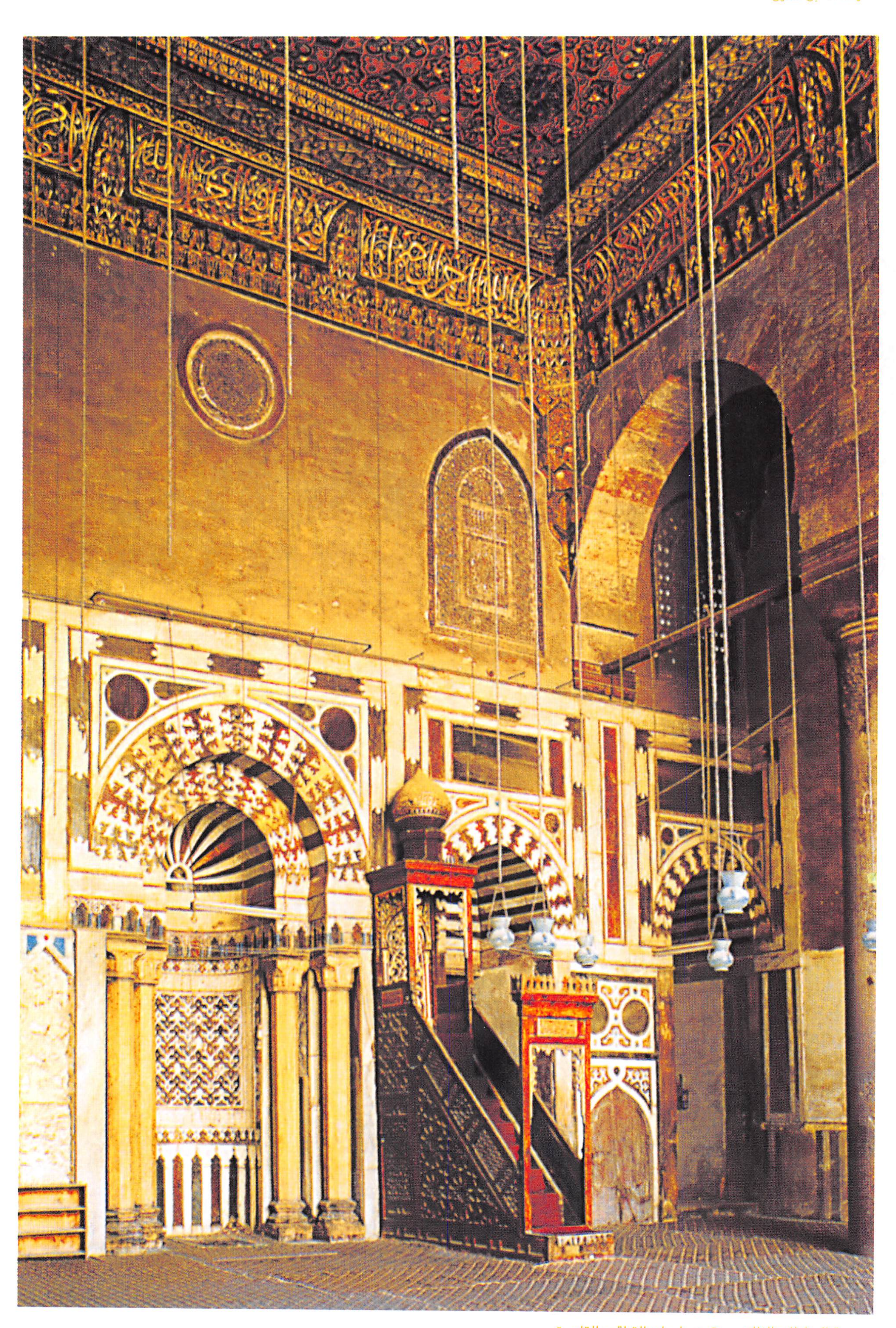
على أن عزل ابن خلدون من منصب القضاء، لم يكن إيذانًا بسخط السلطان ونقمته، فقد لبث ابن خلدون في منصب التدريس بالمدرسة القمحية، ولم يمض سوى قليل حتى عينه السلطان أيضا لتدريس الفقه المالكي بمدرسته الجديدة التي أنشاها في حي بين القصرين (المدرسة الظاهرية البرقوقية) سنة 788هـ. واحتفل ابن خلدون كعادته بالدرس الأول، وألقى خطابًا بليغًا يدعو فيه للسلطان، ويعتذر عن قصوره، في تواضع ظريف.



مدرسة السلطان الظاهر برقوق، المدخل – القاهرة



مدرسة السلطان الظاهر برقوق، الصحن – القاهرة

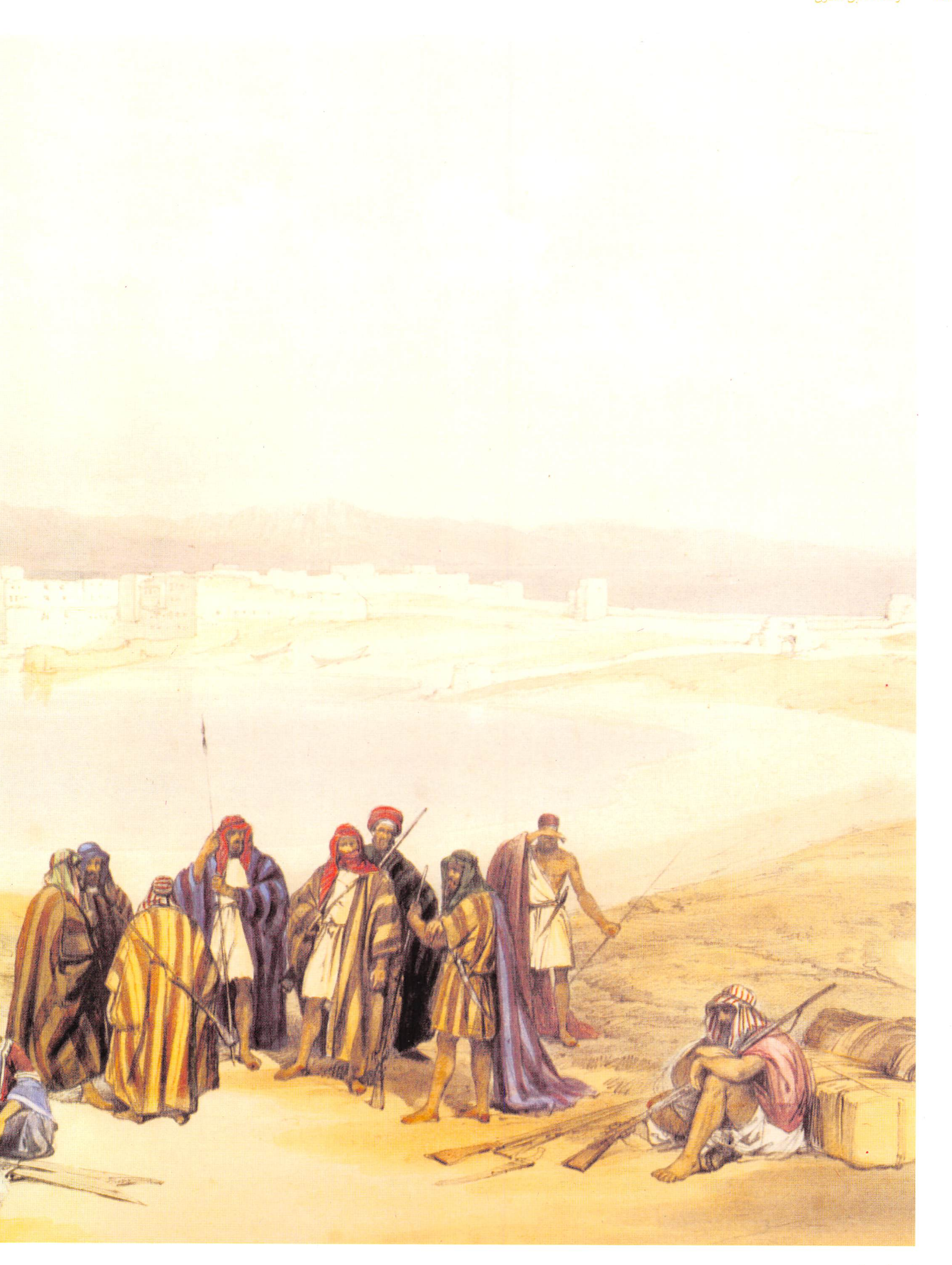


مدرسة السلطان الظاهر برقوق، إيوان القبلة – القاهرة

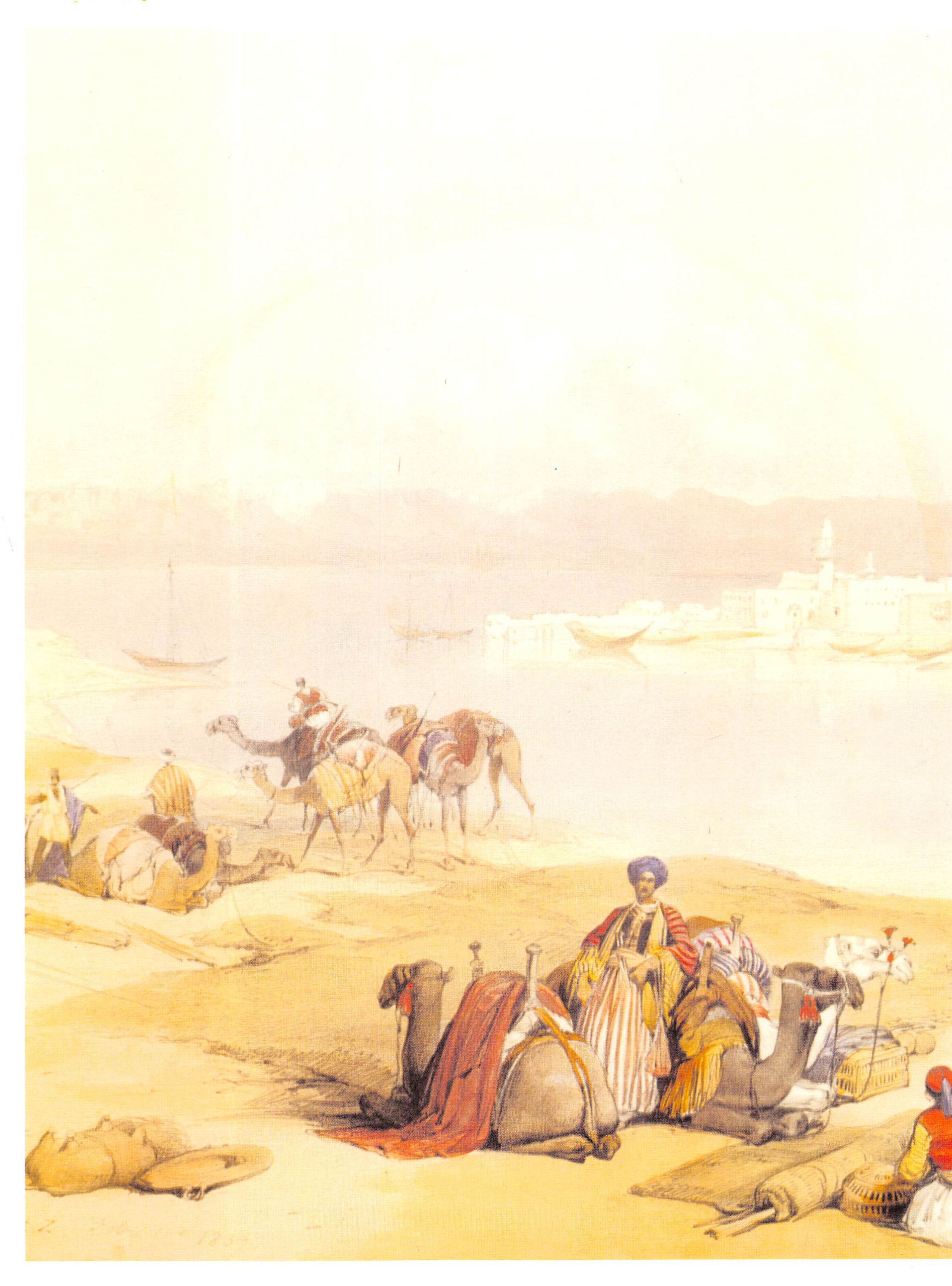
رحلة الحج ...

اشتغل ابن خلدون بالتدريس في المدرستين القمحية والظاهرية الجديدة (تمييزا لها عن مدرسة الظاهر بيبرس البندقداري) حتى كان موسم الحج عام 789هـ، فاعتزم عندئذ أداء الفريضة، وأذن له السلطان وغمره بعطائه، وغادر مدينة القاهرة في منتصف شعبان، وقصد إلى الحجاز بطريق بحر السويس من ميناء الطور إلى ينبع، ومنها مع المحمل إلى مكة المكرمة، ثم عاد بعد أداء الفريضة، بطريق البحر أيضا حتى القصير، ومنها إلى مدينة قوص، ثم اخترق الصعيد بطريق بحر النيل، فوصل القاهرة في جمادى الأولى سنة 790هـ، وقصد السلطان توًّا وأخبره بأنه دعا له في الأماكن المقدسة، فتلقاه بالعطف والرعاية، وقد وصف ابن خلدون هذه الرحلة قائلا:

وخرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع وثمانين، إلى مرسى الطور بالجانب الشرقي من بحر السويس، وركبت البحر من هنالك، عاشر الفطر، ووصلنا إلى الينبع لشهر، فوافينا المحمل، ورافقتهم من هنالك إلى مكة، ودخلتها ثاني ذي الحجة، فقضيت الفريضة في هذه السنة، ثم عدت إلى الينبع، فأقمت به خمسين ليلة حتى تهيأ لنا ركوب البحر، ثم سافرنا إلى أن قاربنا مرسى الطور، فاعترضنا الرياح، فما وسعنا إلا قطع البحر إلى جانبه الغربي ونزلنا بساحل القصير، ثم بذرقنا مع أعراب تلك الناحية إلى مدينة قوص قاعدة الصعيد، فأرحنا بها أيامًا، ثم ركبنا في بحر النيل إلى مصر، فوصلنا إليها لشهر من سفرنا، ودخلتها في جمادى سنة تسعين، وقضيت حق السلطان في لقائه، وإعلامه بما اجتهدت فيه من الدعاء له، فتقبل ذلك مني بقبول حسن، وأقمت فيما عهدت من رعايته وظل إحسانه



الميناء – السويس





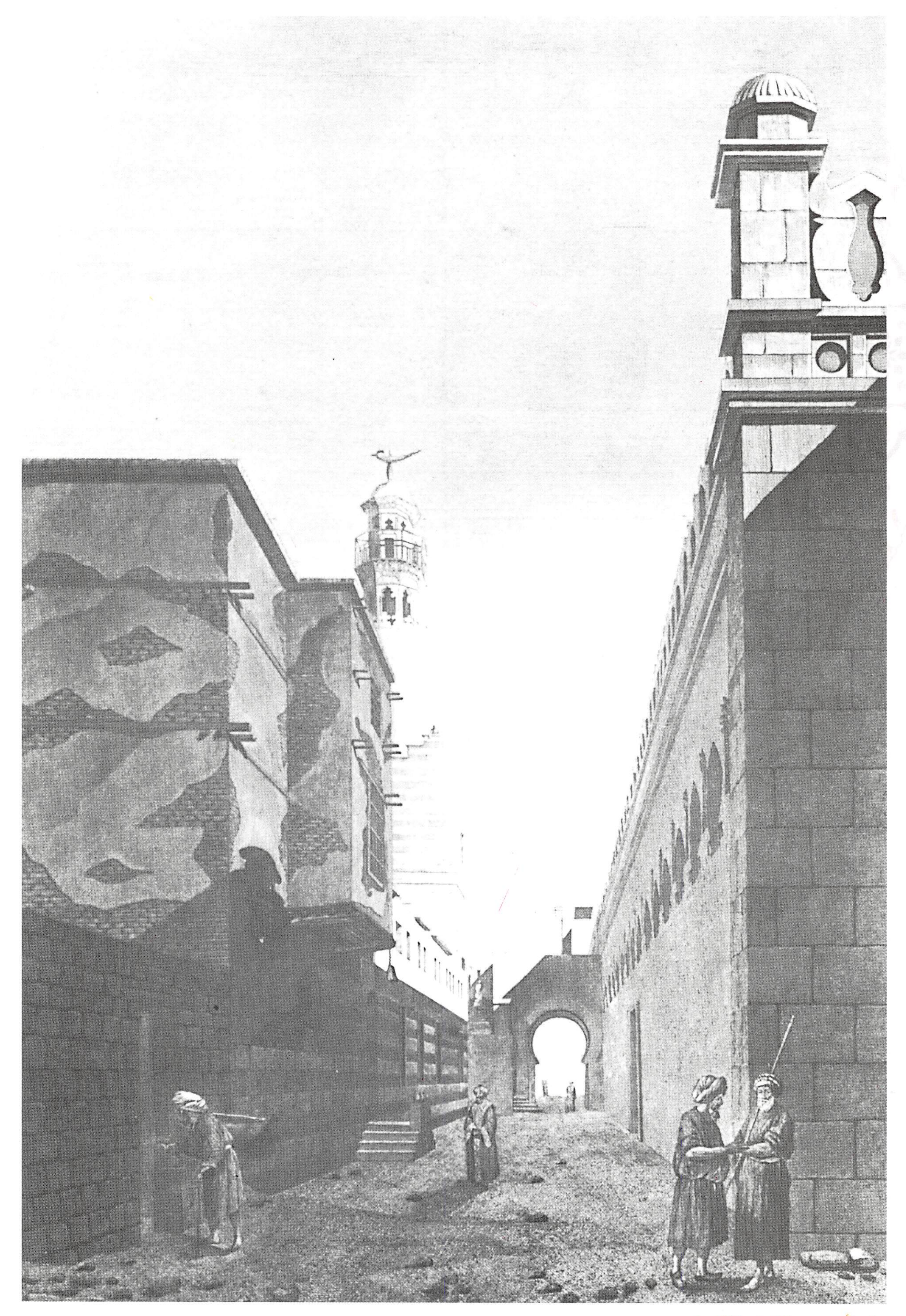
مقامات الحريري، الحج إلى مكة - القاهرة

عودة إلى القاهرة ...

عاد ابن خلدون إلى القاهرة بعد رحلة الحج، وقد خلا كرسي الحديث في مدرسة صرغتمش بجوار جامع ابن طولون، فولاه السلطان الظاهر برقوق إياه بدلاً من تدريس الفقه بالمدرسة السلطانية (مدرسة الظاهر برقوق)، وجلس للتدريس فيها في المحرم سنة 791هـ، وألقى خطاب الافتتاح كعادته في حفل فخم، وأعلن أنه قد قرر للقراءة في هذا الدرس كتاب الموطأ للإمام مالك، حيث تكلم في موضوع درسه الأول عن الإمام مالك ونشأته وحياته وكيفية ذيوع مذهبه.

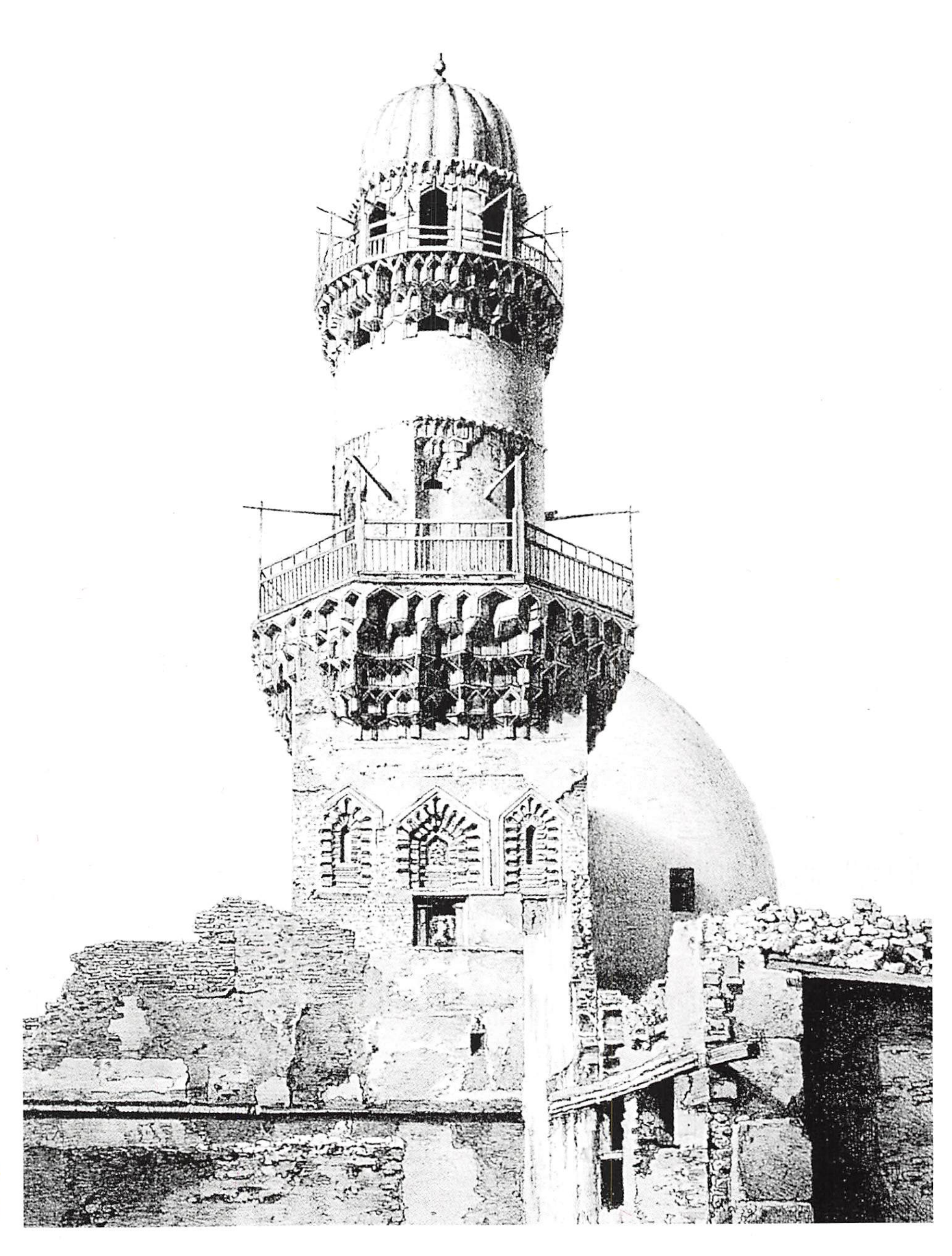


جامع أحمد بن طولون – القاهرة



جامع أحمد بن طولون – القاهرة

بعد نحو ثلاثة أشهر من تعيينه في كرسي الحديث بالمدرسة الصرغتمشية، عين ابن خلدون في السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة 791هـ في وظيفة أخرى هي مشيخة (نظارة) خانقاه بيبرس (خانقاه بيبرس الجاشنكير)، بعد وفاة شيخها شرف الدين عثمان الأشقر، وهي يومئذ أعظم الخوانق أو ملاجئ الصوفية، فزادت جرايته، واتسعت موارده، ولكن أمد سكينته لم يطل، فقد نشبت فتنة خطيرة أودت بعرش الملك الظاهر برقوق، دبرها الأمير يلبغا الناصري نائب حلب، حيث سار يلبغا إلى القاهرة في أتباعه وتحول أنصار الظاهر برقوق عنه، ففر من القلعة، ودخل يلبغا الناصري القاهرة، وأعاد الملك الصالح حاجي (من أسرة قلاوون) المخلوع إلى



خانقاه السلطان بيبرس الجاشنكير – القاهرة

العرش، وقبض على برقوق وأرسله سجينًا إلى الكرك في جمادى الأولى سنة 791هـ، ولكن ثورة أخرى نشبت بقيادة أمير أخر يدعى منطاش، فقبض على يلبغا الناصري، وسار إلى مدينة دمشق لمحاربة برقوق الذي استطاع أن يفر من سجنه، فهزمه برقوق وعاد إلى القاهرة ظافرًا منصورًا، واسترد عرشه في صفر سنة 792هـ. وقد عانى ابن خلدون من جراء هذه الفتنة، ففقد مناصبه وأرزاقه كلها أو بعضها بسقوط الحزب الذي يتمتع بعطفه ورعايته، فلما عاد الظاهر برقوق إلى العرش ردت إليه.



تدريبات المماليك – القاهرة

لبث ابن خلدون بعيدًا عن منصب القضاء زهاء أربعة عشر عاما، نتيجة وشايات بعض أفراد البلاط السلطاني المملوكي، على حد زعم ابن خلدون ذاته، فلما ضعف هذا الحزب المعارض، رده السلطان الملك الظاهر برقوق إلى منصبه في منتصف رمضان سنة 801هـ، على إثر وفاة ناصر الدين التنسي قاضي المالكية، وكان ابن خلدون عندئذ بالفيوم في ضيعته يحصد قمح ضيعته التي يستحقها من أوقاف المدرسة القمحية، فاستدعاه السلطان وولاه القضاء للمرة الثانية.

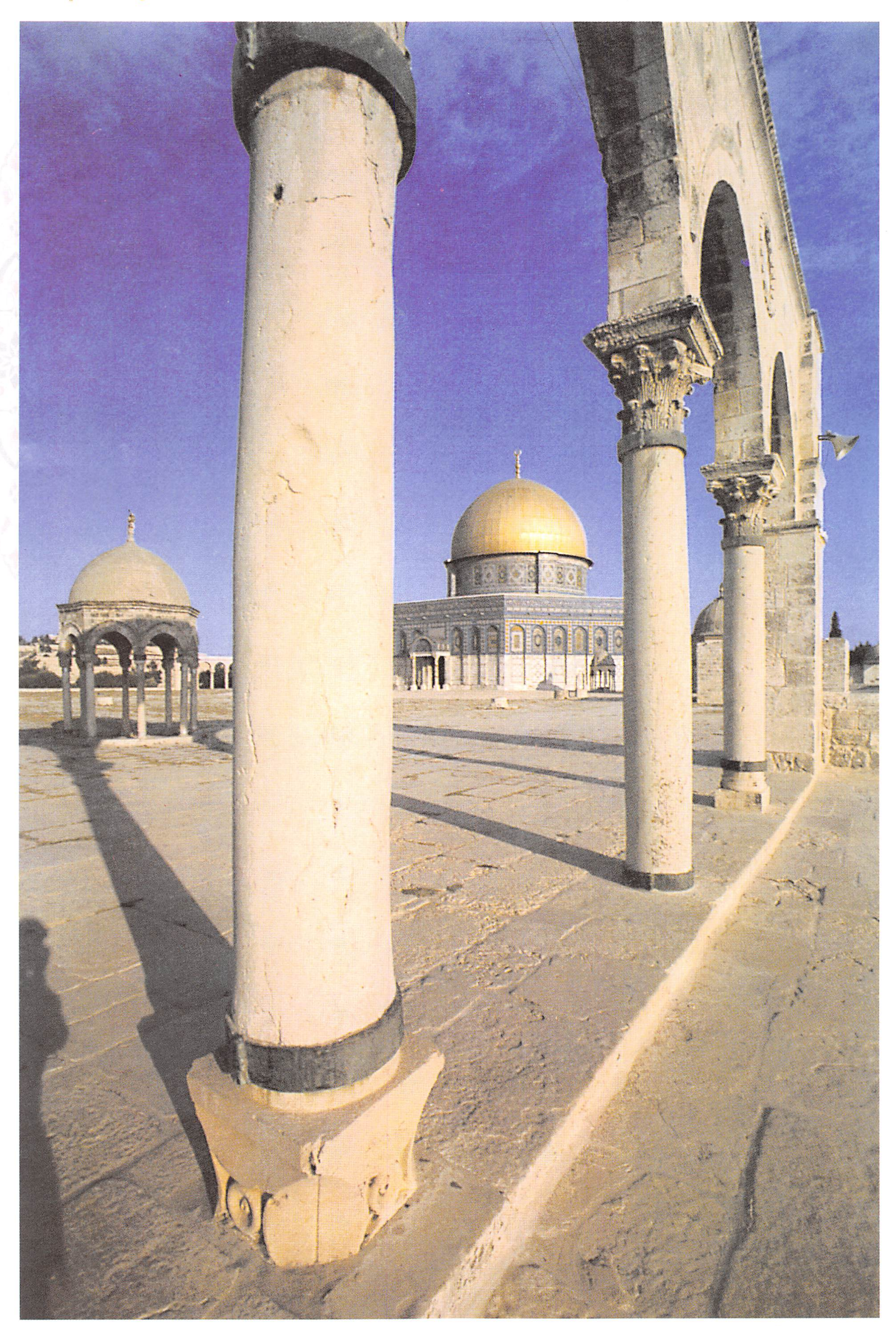
أحد مجالس حل المنازعات – القاهرة



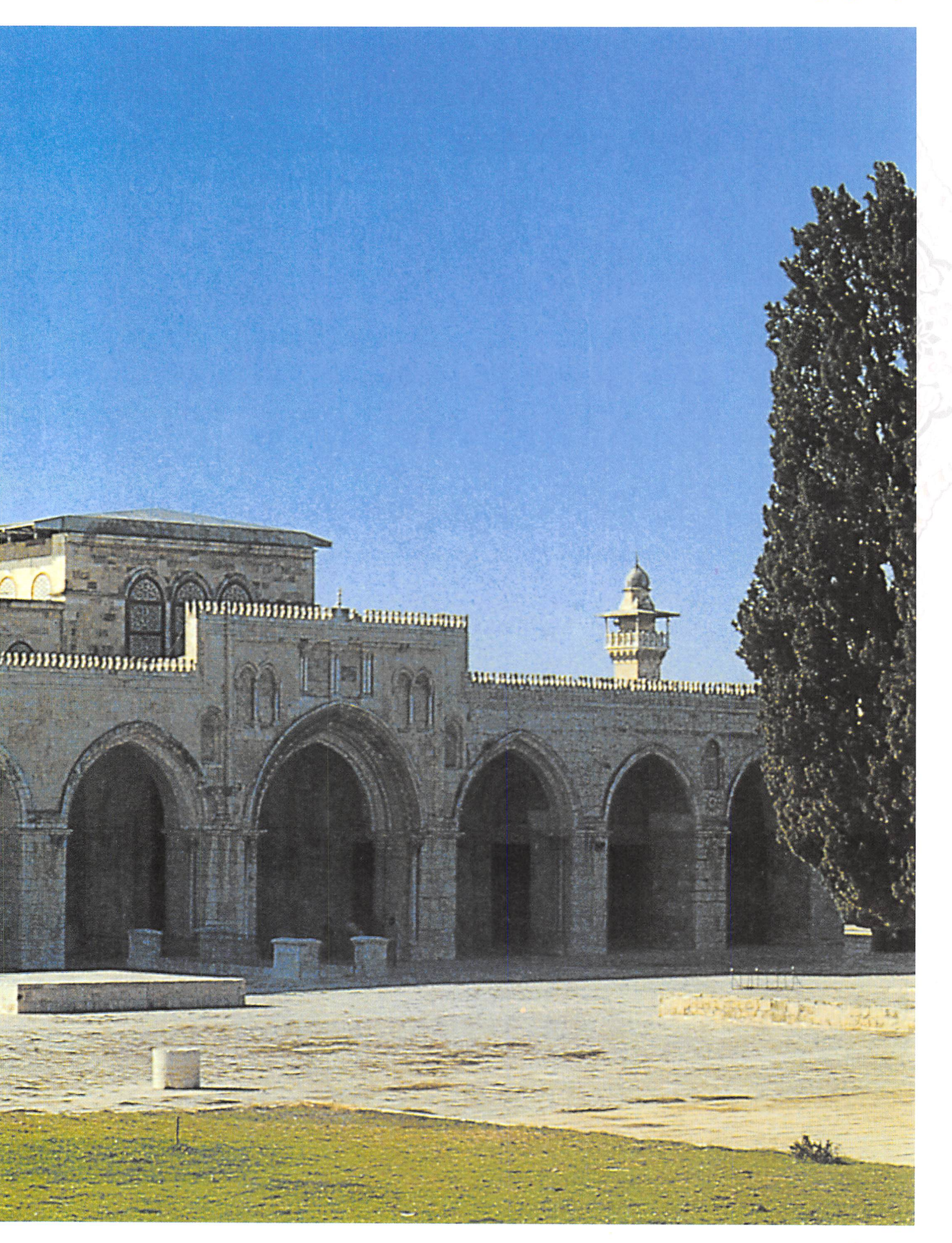
الرحلة إلى بيت المقدس ...

في منتصف شوال سنة 801هـ، توفي السلطان الملك الظاهر برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة (البرجية)، فخلفه ولده الملك الناصر فرج، وسرى الاضطراب إلى شئون الدولة، واضطرمت الفتن والثورات المحلية حينًا. فلما استقرت الأمور نوعًا، استأذن ابن خلدون السلطان فرج بن برقوق في السفر إلى بيت المقدس فأذن له، وطاف ابن خلدون في المدينة المقدسة، يتفقد آثارها الخالدة، وشاهد المسجد الأقصى، وقبر الخليل، وأثار بيت لحم، ولكنه أبى الدخول إلى كنيسة القيامة (قبر المسيح)، ثم كر عائدًا إلى مصر فوصل إلى مدينة غزة، ووافى ركاب السلطان إثر عودته من الشام في ظاهر مصر، ودخل معه القاهرة أواخر رمضان سنة 802هـ، وقد وصف ابن خلدون هذه الرحلة قائلا:

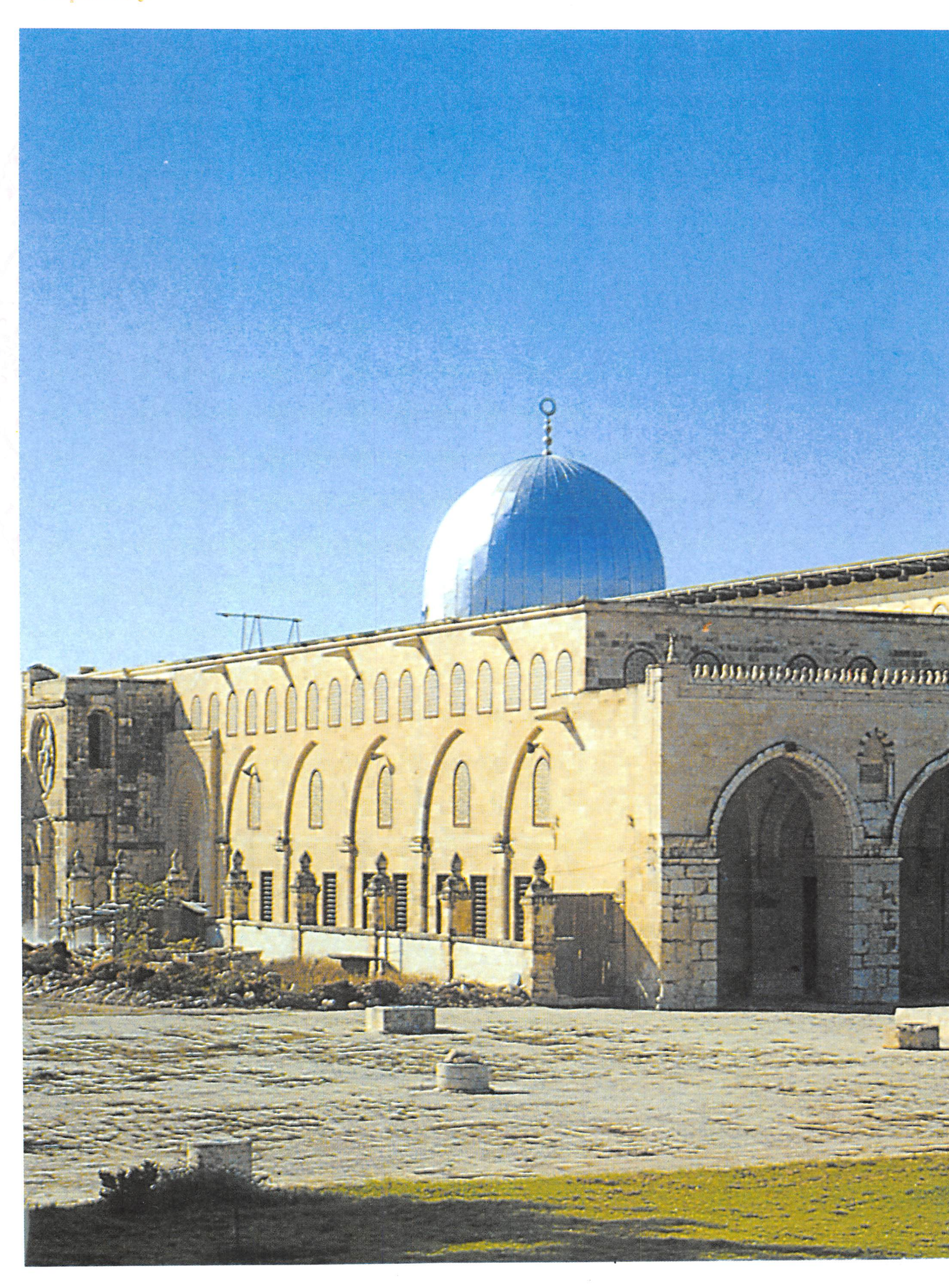
وكنت استأذنت في التقدم إلى مصر بين يدي السلطان (فرج ابن برقوق) لزيارة بيت المقدس فأذن لي في ذلك، ووصلت إلى القدس ودخلت المسجد، وتبركت بزيارته والصلاة فيه، وتعففت عن الدخول إلى القمامة (كنيسة القيامة) لما فيها من الإشادة بتكذيب القرآن، إذ هو بناء أمم النصرانية على مكان الصليب بزعمهم، فنكرته نفسي، ونكرت الدخول إليه، وقضيت من سنن الزيارة ونافلتها ما يجب، وانصرفت إلى مدفن الخليل عليه السلام، ومررت في طريقي إليه ببيت لحم، وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح، شيدت القياصرة عليه بناء بسماطين من العمد الصخور، منجدة مصطفة، مرقومًا على رؤوسها صور ملوك القياصرة، وتواريخ دولهم، ميسرة لمن يبتغي تحقيق نقلها بالتراجمة العارفين لأوضاعها، وقلد يشهد هذا المصنع بعظم ملك القياصرة وضخامة دولتهم، ثم ارتحلت من مدفن الخليل إلى غزة، وارتحلت منها، فوافيت السلطان بظاهر مصر، ودخلت في ركابه أواخر شهر رمضان سنة اثنين وثمانمائة



ساحة المسجد الأقصى وقبة الصخرة – بيت المقدس



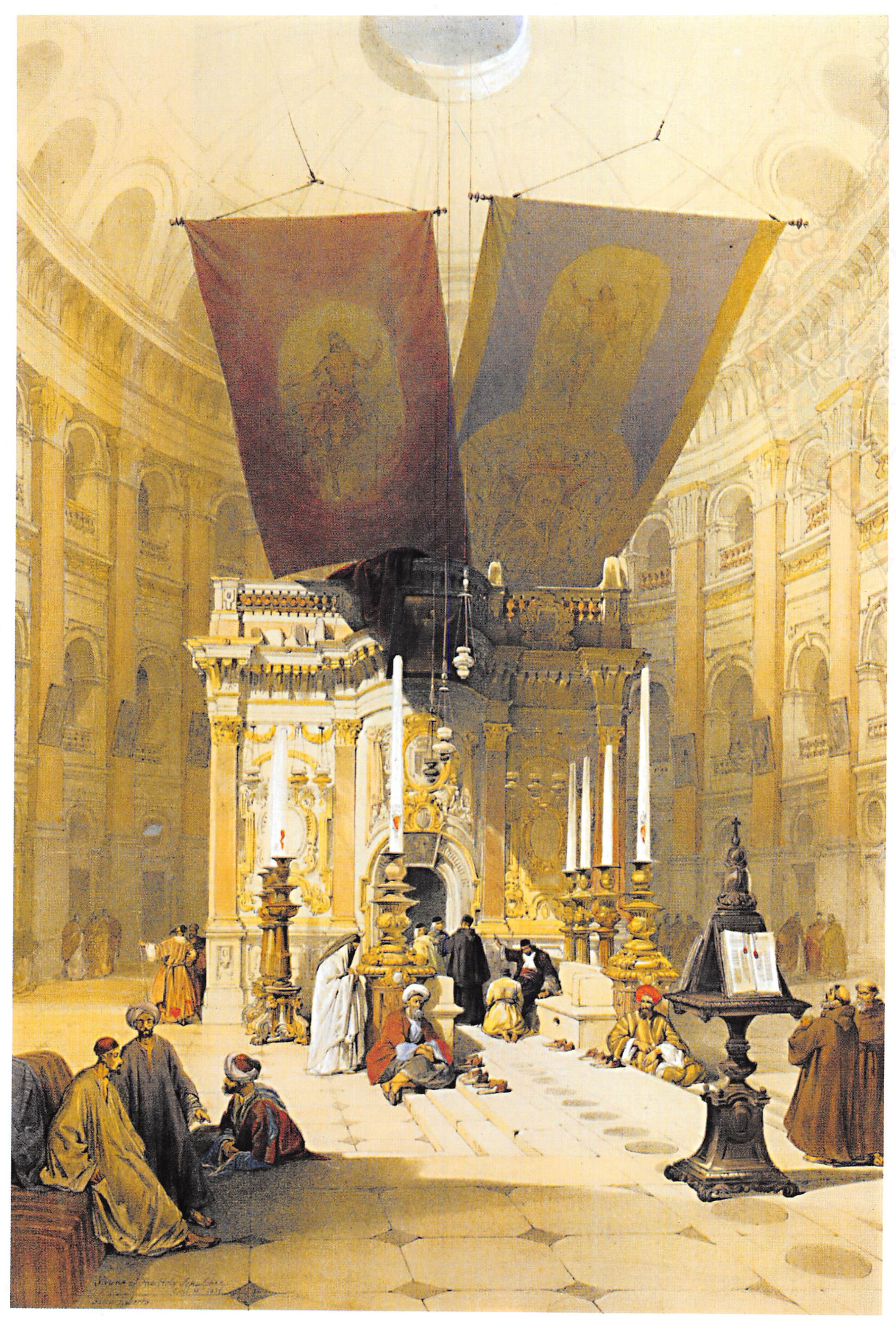
المسجد الأقصى – بيت المقدس





باب الذهب – بيت المقدس





كنيسة القيامة – بيت المقدس

ابن خلدون وتيمور لنك ...

عاد ابن خلدون من بيت المقدس إلى القاهرة، فولي منصب القضاء، غير أنه سرعان ما عزل منه للمرة الثانية في المحرم سنة 803هـ، ولم يمض قليل على ذلك حتى جاءت الأنباء بأن تيمور لنك قد انقض بجيوشه على الشام واستولى على مدينة حلب في مناظر هائلة من السفك والتخريب، ثم اخترق الشام جنوبًا إلى مدينة دمشق، فروعت مصر لهذه الأنباء، واضطرب البلاط السلطاني أيما اضطراب، وهرع الناصر فرج بجيوشه لملاقاة الفاتح التتري ورده، واصطحب معه القضاة الأربعة وجماعة من الفقهاء ومنهم ابن خلدون، ولا ريب أن ابن خلدون لم ترقه هذه المفاجأة التي ذكرته بما عانى بالمغرب من تلك المهام السلطانية الخطيرة. وصل ابن خلدون مع الحملة إلى دمشق في جمادى الأولى سنة 803هـ، ونزل مع جمهرة الفقهاء والعلماء في المدرسة العادلية، واشتبك جند مصر توا مع جند تيمور لنك في ظاهر دمشق في معارك ثبت فيها المصريون، وبدأت مفاوضات الصلح بين الفريقين، ولكن خلافًا حدث في معسكر السلطان، وغادره بعض الأمراء خفية إلى مصر، وعلم السلطان أنهم دبروا مؤامرة لخلعه، وتولية أمير آخر يدعى لاجين، فترك دمشق لمصيرها، وارتد مسرعًا إلى القاهرة فوصلها في جمادى الآخرة. وعلى إثر ذلك وقع خلاف بين القادة والرؤساء حول تسليم المدينة، لم يجد ابن خلدون أمام ذلك وخشية أن تسقط دمشق في يد تيمور لنك فيكون نصيبه الموت أو النكال، ورأى أن يعتصم بالجرأة، وأن يغادر جماعة المترددين إلى معسكر تيمور لنك، فيستأمنه على نفسه ومصيره. وانتهى ابن خلدون بإقناع زملائه فأدلوه من السور، وألفى عند الباب جماعة من بطانة تيمور لنك وابنه شاه ملك الذي عينه لولاية دمشق عند تسليمها فانضم إليهم، والتمس منهم مقابلة تيمور، فساروا به إلى المعسكر وأدخل في الحال إلى خيمة تيمور لنك، فأجلسه وتحدث معه طويلا عن أحواله وأخباره وسبب مقدمه إلى مصر وما وقع له بها، ثم سأله عن المغرب ومدنه وأحواله وسلاطينه، وطلب إليه أن يكتب له رسالة في وصف المغرب. وحدثه ابن خلدون بأنه كان يسمع به يتمنى لقاءه منذ أربعين سنة منذ تألق نجمه وبزغ مجده، ولا ريب أن مفاوضة في شأن المدينة وقعت أيضا بين ابن خلدون وتيمور لنك، واستطاع ابن خلدون أن

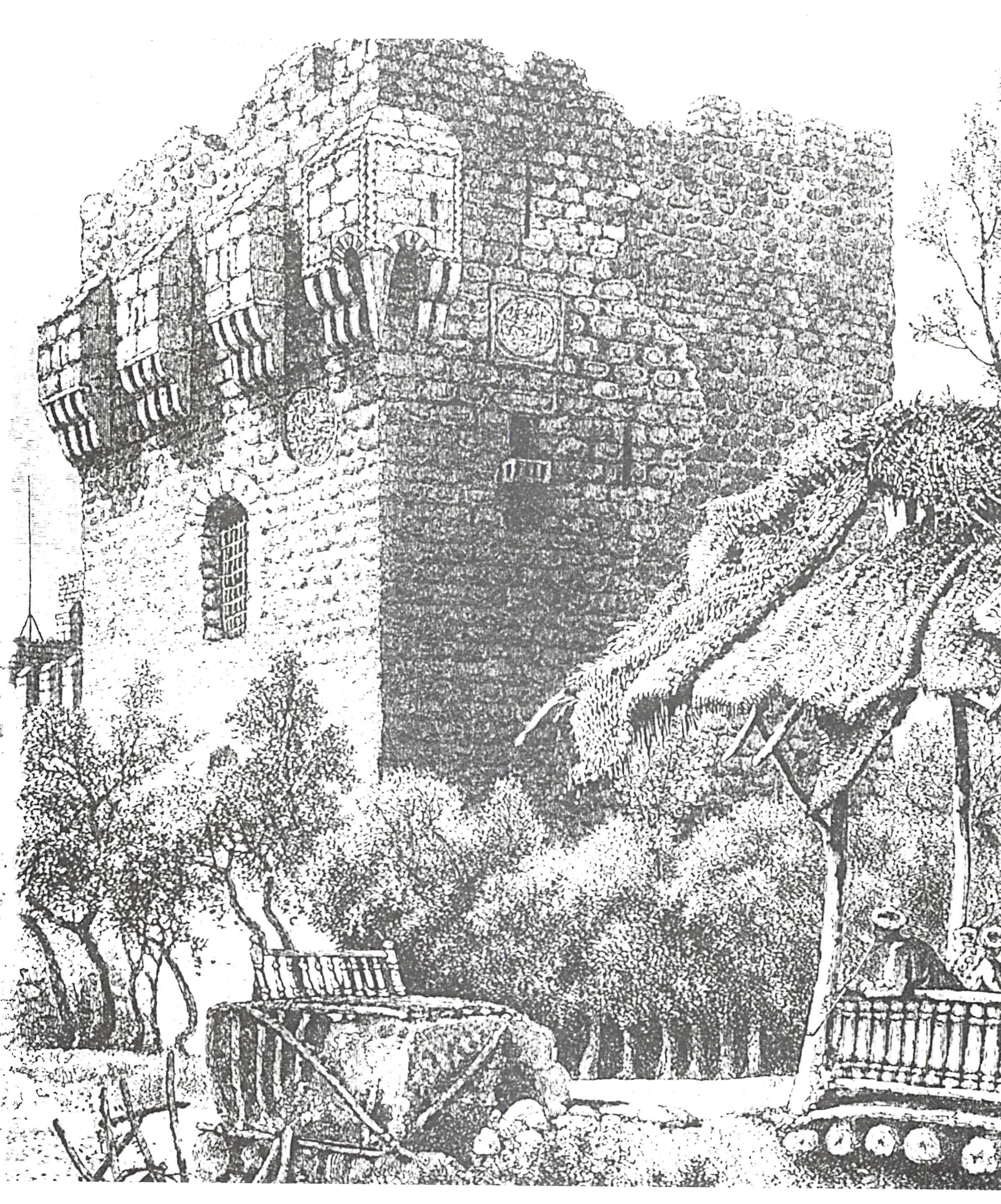
تيمور لنك – سمرقند

يقنع الرؤساء والفقهاء بالتسليم، فقد فتحت دمشق أبوابها للفاتح المغولي على إثر ذلك، وجاء القضاة والرؤساء وعلى رأسهم ابن خلدون إلى معسكر تيمور لنك يقدمون له الخضوع والطاعة. غير أن دمشق لم تنج من بطش تيمور لنك، فقد احتج باستمرار القلعة في المقاومة، فشددوا عليها الحصار حتى سلمت، ثم اقتحموا المدينة وصادروا أهلها وأوقعوا فيها السفك والعيث والنهب، وأضرموا النار في معظم أحيائها، وتكررت المناظر المروعة التي وقعت في حلب. ورغم ما فعله التتار بدمشق إلا أن العلاقة بين ابن خلدون وتيمور لنك لم تنقطع، حيث نجد ابن خلدون يقدم إلى تيمور لنك هدية عبارة عن مصحف رائق وسجادة أنيقة ونسخة من بردة البوصيري وأربع علب من حلاوة مصر الفاخرة، ولما قدمها إليه وضع تيمور لنك المصحف فوق رأسه بعد أن عرف أنه القرآن الكريم، ثم سأله عن البردة وذاق الحلوى، ووزع منها على الحاضرين في مجلسه، والتمس ابن خلدون منه في هذا المجلس أمانًا للقضاة والرؤساء والعمال، فأجابه إلى طلبه وأصدر الأمان. ولعل ابن خلدون كان يعلق على صلته بتيمور لنك آمالا أخرى غير ما وفق إليه في شأن دمشق وشأن زملائه العلماء والقضاة، ولعله كان يرجو الانتظام في بطانة الفاتح والحظوة لديه والتقلب في ظل رعايته ونعمائه. على أنه لم يوفق بلا ريب إلى تحقيق مثل هذه الأمنية، فلم تمض أسابيع قلائل حتى سئم البقاء في دمشق، وذهب إلى تيمور لنك يستأذنه في العودة إلى مصر، فأذن له وطلب إليه في تلك المقابلة أن يقدم إليه بغلة إذا استطاع فأهداه ابن خلدون إياها، وبعث إليه تيمور لنك ثمنها فيما بعد عقب وصوله إلى مصر، وغادر ابن خلدون دمشق في رجب سنة 803هـ، ودهمه اللصوص أثناء الطريق فسلبوه ماله ومتاعه، ولكنه وصل سالمًا إلى القاهرة في أوائل شعبان سنة 803 هـ.

المدرسة الصابونية – دمشق



منظر لأحدى معارك تيمورلنك – سمرقند



أبراج القلعة – دمشق

النهاية ...

ما كاد ابن خلدون يستقر في القاهرة حتى أخذ يسعى للعودة إلى منصب القضاء، لما لهذا المنصب من سلطة ونفوذ، رغم انه قد بلغ حين ذاك الرابعة والسبعين، وبالفعل عين ابن خلدون قاضي لقضاة المالكية للمرة الثالثة في أوائل رمضان سنة 803هـ بعد عزل القاضي جمال الدين الإقفهسي، فلبث في منصبه زهاء عام، عزل بعده في 14 رجب سنة 804هـ، وولي مكانه جمال الدين البساطي، لمدة ثلاثة أشهر، عاد بعده ابن خلدون للمرة الرابعة إلى منصبه وذلك في 16 ذي الحجة سنة 806هـ، واستمر في هذا المنصب عامًا وشهرين، عزل بعدها في ربيع الأول سنة 806هـ، وأعيد البساطي في الشهر نفسه، ثم عزل في شهر رجب سنة 807هـ، وأعيد ابن خلدون للمرة الخامسة في شعبان سنة 807هـ، ثم عزل بعد ثلاثة أشهر في ذي القعدة من نفس العام، وأعيد خصمه القديم جمال الدين البساطي فلبث ثلاثة أشهر، ثم عزل وخلفه جمال الدين التنسي لمدة يومين فقط، ثم أعيد البساطي في ربيع الأول سنة 808هـ وعزل في شعبان من العام ذاته، ثم أعيد ابن خلدون للمرة السادسة، فلبث في منصبه بضعة أسابيع فقط.

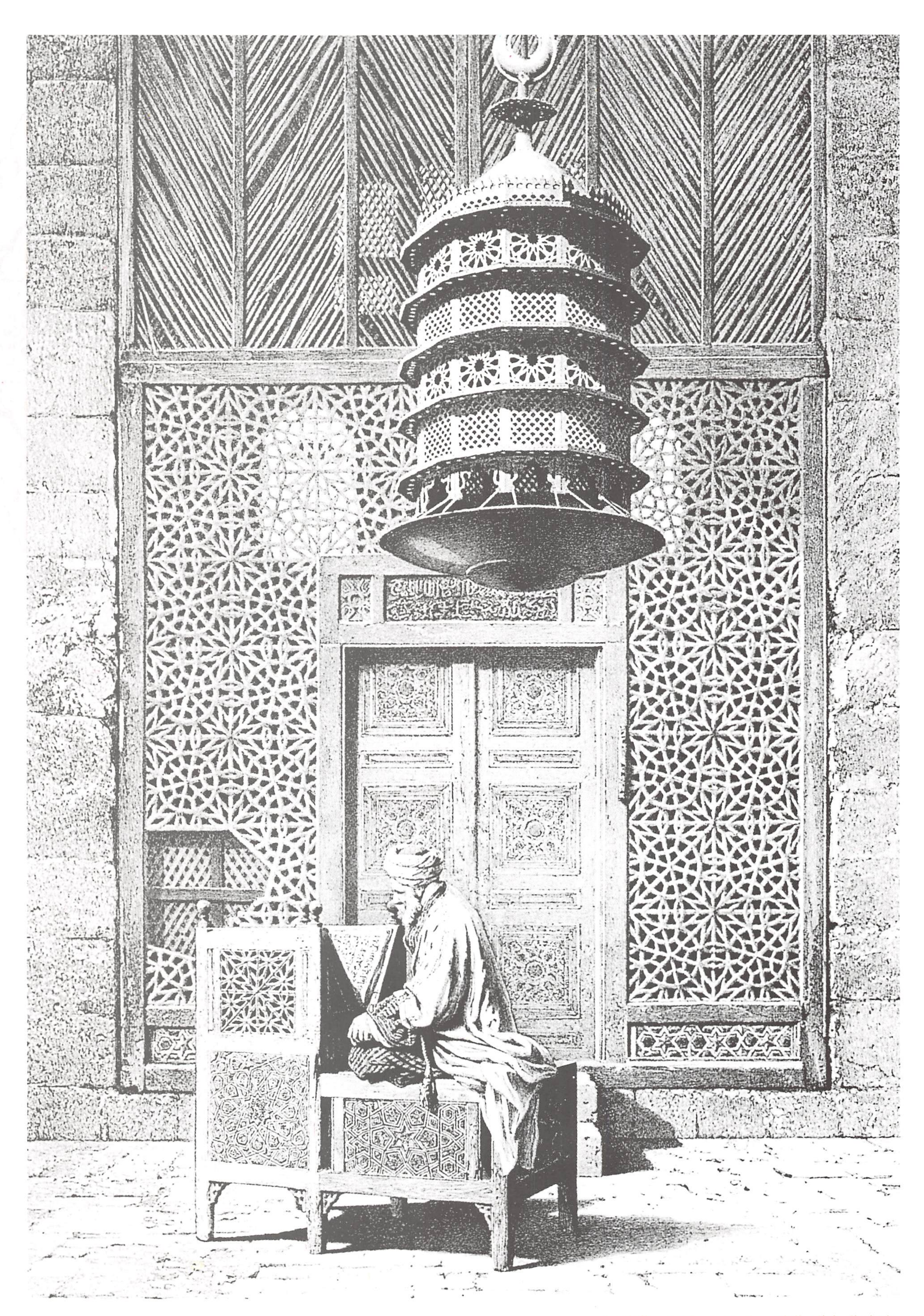
لم ينقطع ابن خلدون في أثناء إقامته الطويلة بمصر، التي استغرقت زهاء أربع وعشرين سنة هجرية، من مراجعة مؤلفه الكبير ومقدمته. فأضاف إلى تاريخه العبر عدة فصول، ووسع بوجه خاص أبحاثه المتعلقة بتاريخ الدول الإسلامية في المشرق وتاريخ الدول القديمة والدول النصرانية والأعجمية، ووصل في رواية حوادث المشرق والأندلس والمغرب إلى أواخر القرن الثامن الهجري، أي إلى ما قبل وفاته بأمد قصير، وأضاف كذلك بعض فصول وبعض فقرات إلى المقدمة نفسها، وحرر بعض فصولها تحريرًا آخر جديدًا، ونقح كتابه "التعريف" الذي سماه أولا "التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب" وذيل به كتابه العبر فأدخل عليه كثيرًا من التعديلات والتنقيحات والزيادات في المراحل التي عرض لتاريخها في وضعه الأول، وأضاف إليه تاريخ المراحل الأخيرة من حياته، ووصل في رواية حوادثه إلى نهاية سنة 807 هـ أي إلى ما قبل وفاته ببضعة أشهر.

نزل ابن خلدون القاهرة، واتخذها مستقرًا له ومقامًا بعد هجره لبلاد المغرب بلا رجعة أو رغبة، ولدينا عن منزل ابن خلدون في القاهرة نصان تاريخيان نقلهما المؤرخ ابن حجر العسقلاني عن الجمال البشبيشي أحد معاصري ابن خلدون في القاهرة، يتضح من خلالهما أن ابن خلدون اتخذ في القاهرة مسكنين، فيقول النص الأول:

أنه (أي الجمال البشبيشي) كان يومًا بالقرب من الصالحية (المدرسة) فرأى ابن خلدون وهو يريد التوجه إلى منزله ونوابه أمامه ..



مدرسة السلطان المنصور قلاوون – القاهرة



خانقاه السلطان الناصر فرج بن برقوق - القاهرة



شارع في منطقة بين القصرين - القاهرة

ويستفاد من هذه الإشارة أن ابن خلدون كان يقيم على مقربة من المدرسة الصالحية في الحي الذي تقع فيه هذه المدرسة، أي في حي بين القصرين أو في أحد الأحياء القريبة منه، وذلك لأن مركز وظيفته كقاض للقضاة كان بهذه المدرسة، ولأن إيوان الفقهاء المالكية كان يقع بجوارها. أما النص الثاني، فقد ورد في حوادث سنة 803هـ أي بعد عودة ابن خلدون من دمشق وولايته للقضاء، حيث يقول:

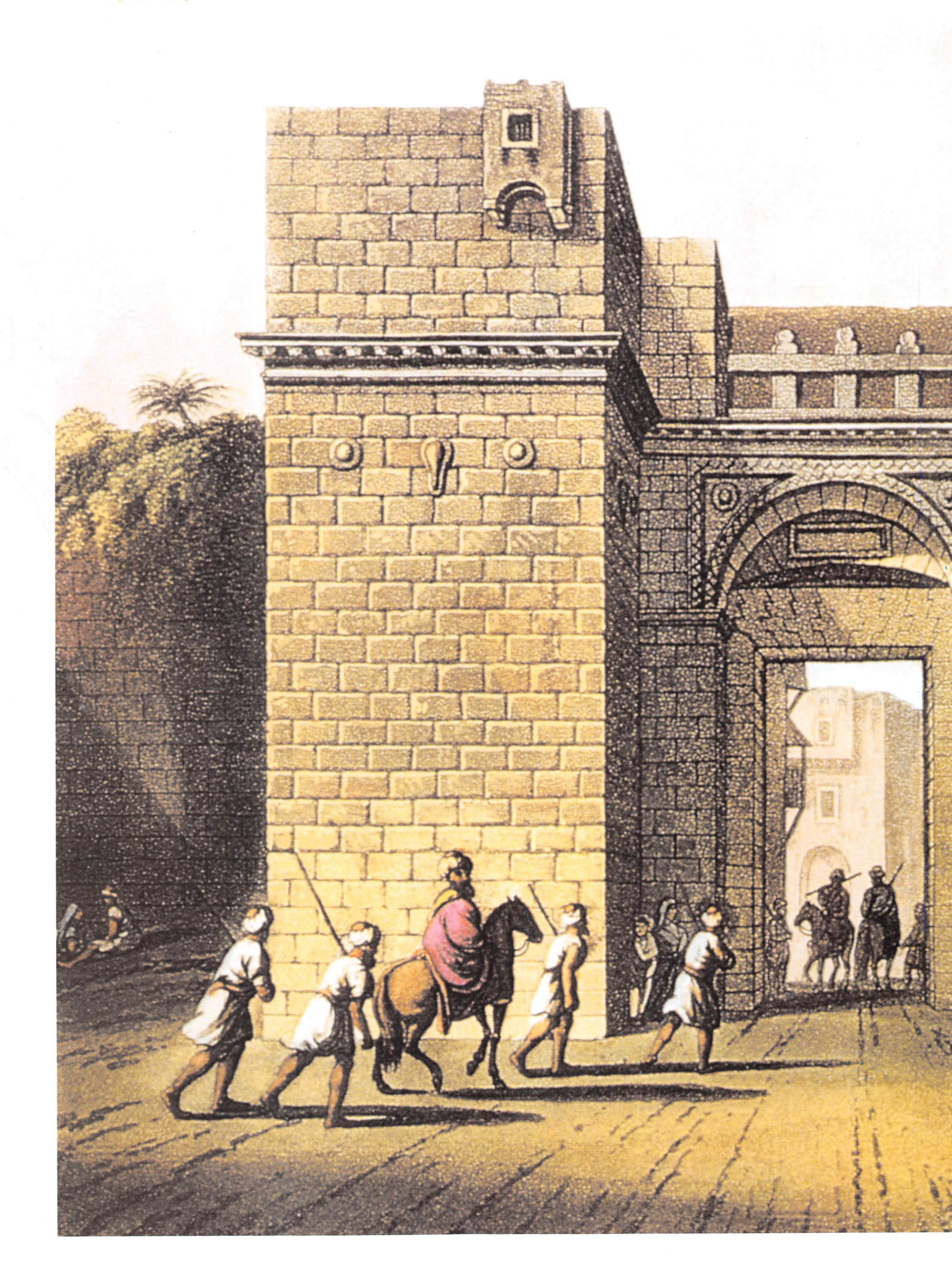


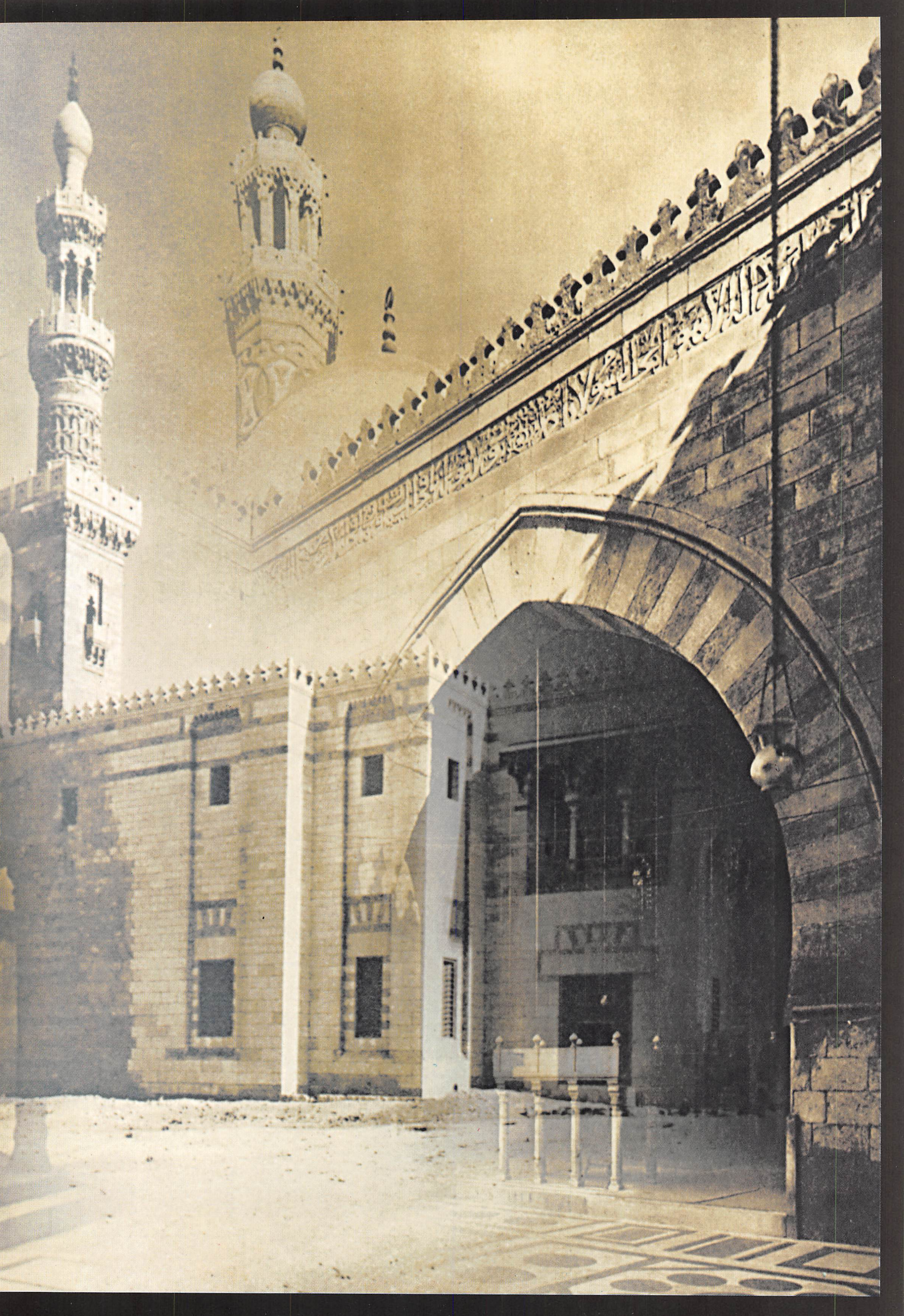
ويستفاد من ذلك أن ابن خلدون كان يعيم في تلك الفترة في أحد الأحياء الواقعة على النيل، ولعله جزيرة الروضة أو لعله بالضفة المقابلة لها من الفسطاط، حيث كانت لا تزال بقية من الأحياء الراقية التي قامت هناك منذ خطت جزيرة الروضة وعمرت وصارت منزل السلاطين والأمراء في أواسط القرن السابع، وسكن السراة والكبراء في الضفة المقابلة لها من الفسطاط، ويرجح هذا وجود المدرسة القمحية التي كان يدرس فيها ابن خلدون بالقرب من هذا الحي.

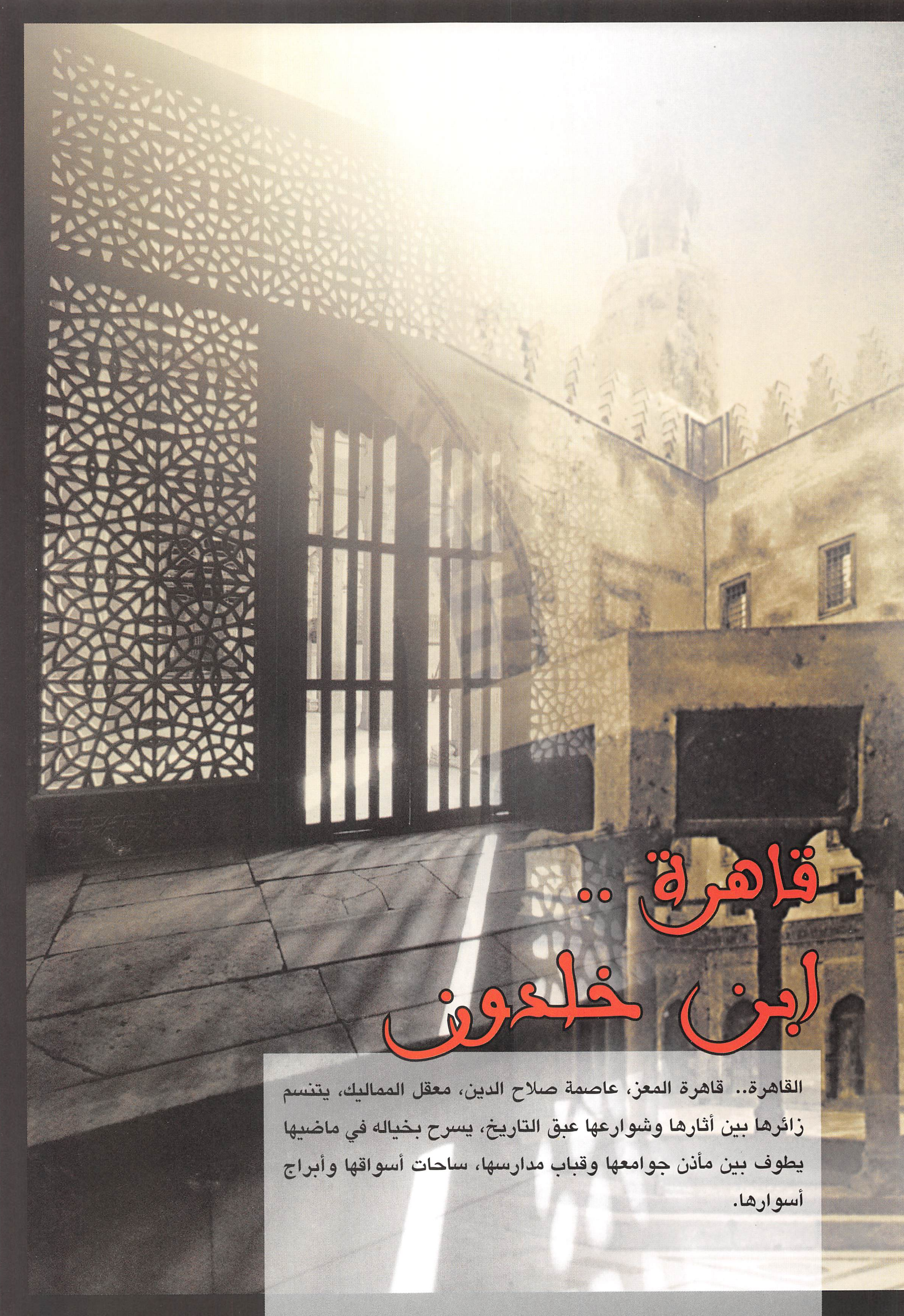
في السادس والعشرين من رمضان سنة 808هـ توفي ابن خلدون، المؤرخ والمفكر، وقاضي المالكية، وقد بلغ من العمر الثامنة والسبعين من حياة باهرة حافلة بجليل الحوادث، وروائع التفكير والابتكار، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر وهي يومئذ من مقابر العظماء والعلماء.



باب النصر – القاهرة







قاهرة .. ابن خلدون

القاهرة.. قاهرة المعز، عاصمة صلاح الدين، معقل المماليك، يتنسم زائرها بين أثارها وشوارعها عبق التاريخ، يسرح بخياله في ماضيها يطوف بين مأذن جوامعها وقباب مدارسها، ساحات أسواقها وأبراج أسوارها.

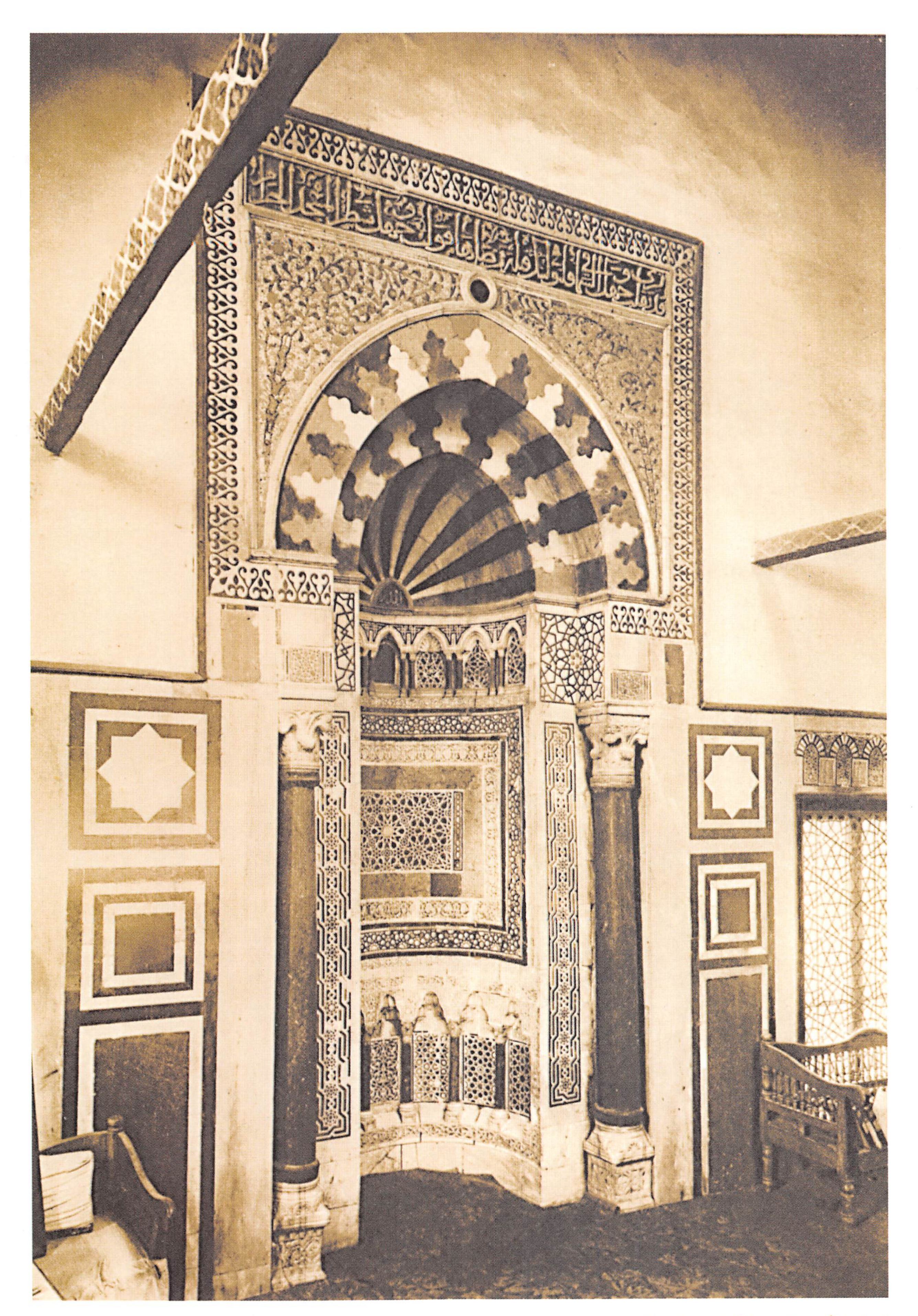
دخل ابن خلدون مدينة القاهرة فبهرته بجمال تخطيطها وعظمة أسوارها وقلعتها وروعة منشآتها فعبر عن ذلك قائلا:

أهل هذه الدولة التركية بمصر والشام معنيون على القدم منذ عهد مواليهم ملوك بني أيوب بإنشاء المدارس لتدريس العلم والخوانق لإقامة رسوم الفقراء في التخلق بآداب الصوفية السنية في مطارحة الأذكار، ونوافل الصلوات، أخذوا ذلك عمن قبلهم من الدول الخلافية، فيختطون مبانيها ويقفون الأراضي المغلة للإنفاق منها على طلبة العلم، ومتدربي الفقراء، وإن استفضل الريع شيئا عن ذلك، جعلوه في أعقابهم خوفًا على الذرية الضعاف من العيلة، واقتدى بسنتهم في ذلك من تحت أيديهم من أهل الرياسة والثروة، فكثرت لذلك من محاسن هذه الدولة التركية، وآثارها الجميلة الخالدة

ولا غرو في ذلك فقد كان سلاطين المماليك وأمرائهم بجانب أنهم محاربين شجعان تصدوا لهجمات المغول الهجمة تلو الهجمة، وطهروا بلاد الشام من بقايا الصليبيين، كانوا بنائين عظامًا تنافسوا فيما بينهم على إنشاء العمائر من مدارس ومساجد وخانقاوات وأسبلة ظلت باقية من بعدهم سنين، تشهد على عظمة دولتهم. من تلك المنشآت، منشآت ارتبطت بابن خلدون وحياته في القاهرة، منها:

الجامع الأزهر

بدأ في إنشائه القائد جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي عام 359هـ، وكان الفراغ منه عام 361هـ، منذ أنشئ هذا الجامع وهو يضطلع بمهمة علمية ودينية كبرى، فقد كان منذ العصر الفاطمي وحتى عصر ابن خلدون جامع وجامعة حرة مفتوحة للطلاب من كل مذهب تدرس فيه سائر العلوم النقلية والعقلية. في العصر الأيوبي منعت حلقات الدرس في الجامع، غير أنه مع بداية العصر المملوكي أعيدت صلاة الجمعة بالجامع

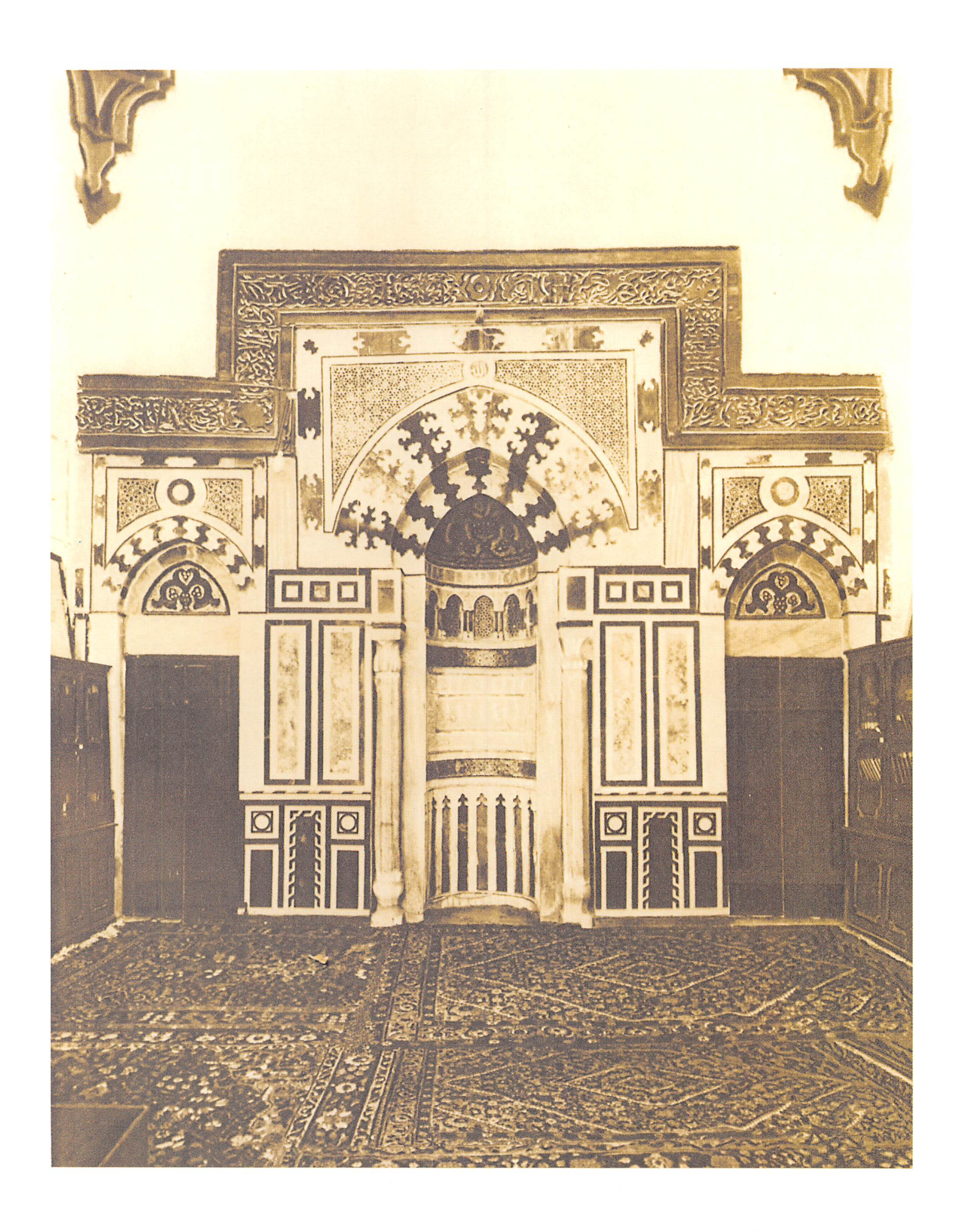


الجامع الأزهر، المدرسة الطيبرسية – القاهرة



الجامع الأزهر - القاهرة





الجامع الأزهر، المدرسة الأقبغاوية – القاهرة

الأزهر على عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري سنة 665هـ، كما شيد الأمير طيبرس نقيب الجيوش مدرسة به عام 709هـ، كما شيد الأمير اقبغا عبد الواحد شاد العمائر في دولة الناصر محمد بن قلاوون مدرسة أخرى سنة 740هـ، وشيد الأمير جوهر القنقبائي عام 844هـ مدرسة ثالثة؛ لتعاون في العملية التعليمية.

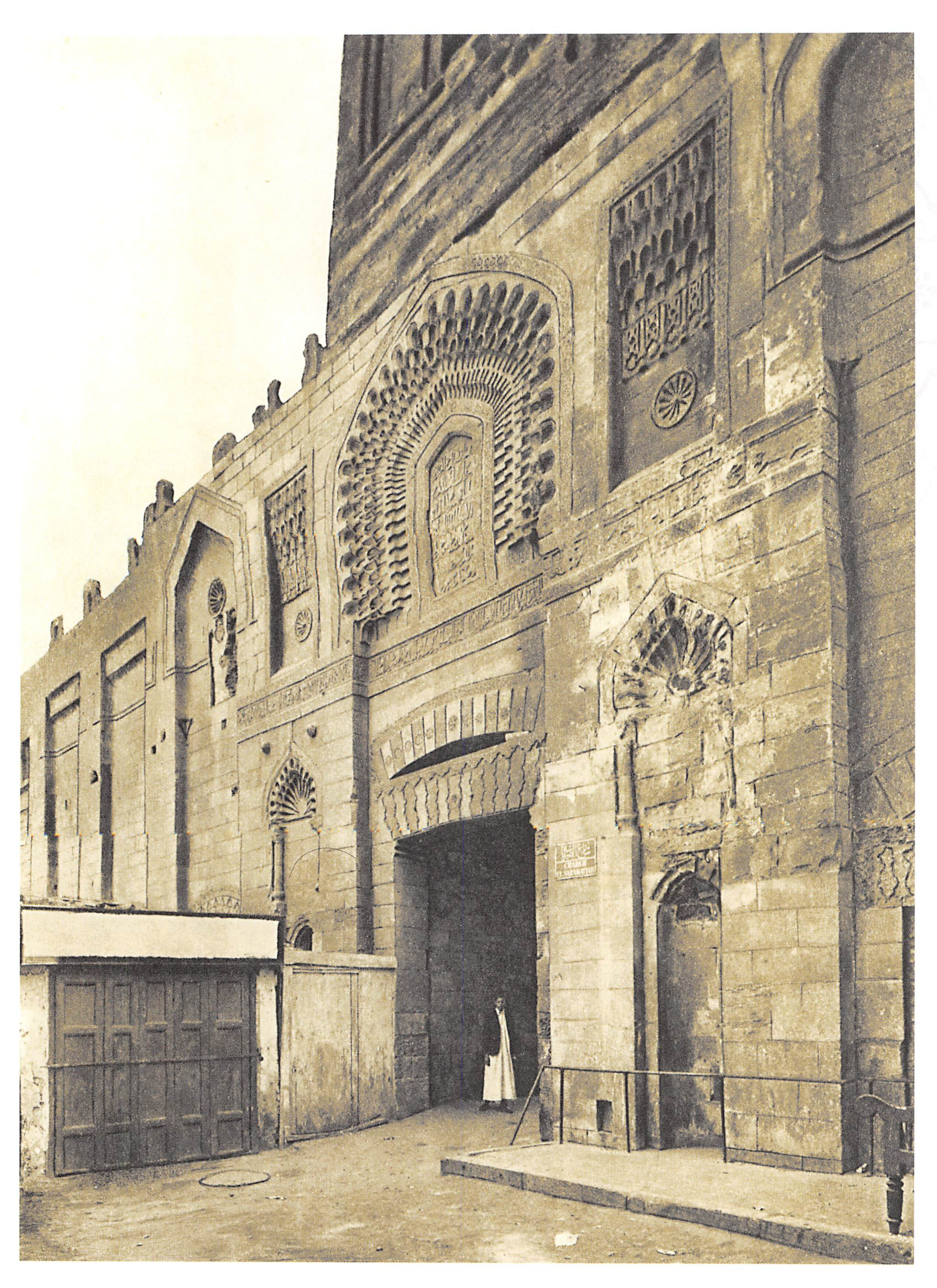
كان الأزهر عبر التاريخ محط أنظار المسلمين في كل بقاع الأرض، إليه وفد طلاب العلم والدين من كل مكان، خرج منهم أساتذة درسوا فيه: عالم البصريات الحسن بن الهيثم، وعبد اللطيف البغدادي الذي وفد على مصر عام 589هـ، والعلامة الطبيب موسي بن ميمون، والشاعر والأديب البوصيري صاحب بردة المديح الشهيرة، المؤرخ ابن فضل الله العمري صاحب كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المؤرخ ابن دقماق صاحب كتاب الانتصار بواسطة عقد الأمصار، وابن بطوطة، وابن خلدون، ومحمد تقي الدين الفاسي، وشمس الدين الأصفهاني، ومحمد بن يوسف بن حيان الغرناطي. وغيرهم الكثير ممن حمل شعلة العلوم في العصور الوسطي.

المدارس الصالحية

مع بداية العصر الأيوبي في مصر، ازدهرت عملية تشييد مدارس لتدريس الفقه السني على المذاهب الأربعة – الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي–، حتى بلغت 24 مدرسة، كانت الواحدة منها بمثابة معهد عالى أو كلية جامعية، غير أنه لم يتبقَّ منها سوى مدرستين: المدرسة الكاملية من عام 622هـ، والمدارس الصالحية من عام 641هـ.

أمر بإنشاء المدرسة الصالحية أو المدارس الصالحية وهو الاسم الأصح قولاً، لجمعها بين أربعة مدارس تدرس المذاهب السنية الأربعة، الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 641هـ.

تقع هذه المدرسة في شارع المعز لدين الله بجوار خان الخليلي، ولم يتبق منها سوى إيوان واحد، هو الإيوان الشمالي الغربي، وكذلك جزء من الواجهة الرئيسية حوالي 70م، تحتل هذه المدرسة جزءًا من القصر الشرقي الكبير، ويتكون تخطيطها من قسمين، كل قسم يتكون من إيوانين يغطي كل واحد منهما قبو مدبب، يوجد بينهما صحن سماوي يحف به من الجانبين صف من حجرات الطلاب، ويفصل بين القسمين دهليز طويل يتصدره مدخل المدرسة وهو عبارة عن مدخل بارز بروزًا خفيفًا، يعلوه لوحة تأسيسية خاصة بمجمع المدارس، ويعلو كتلة المدخل مئذنة تنتهى من أعلى بقمة على شكل جوسق مثمن يعلوه طاقية مضلعة، تعرف باسم المبخرة.



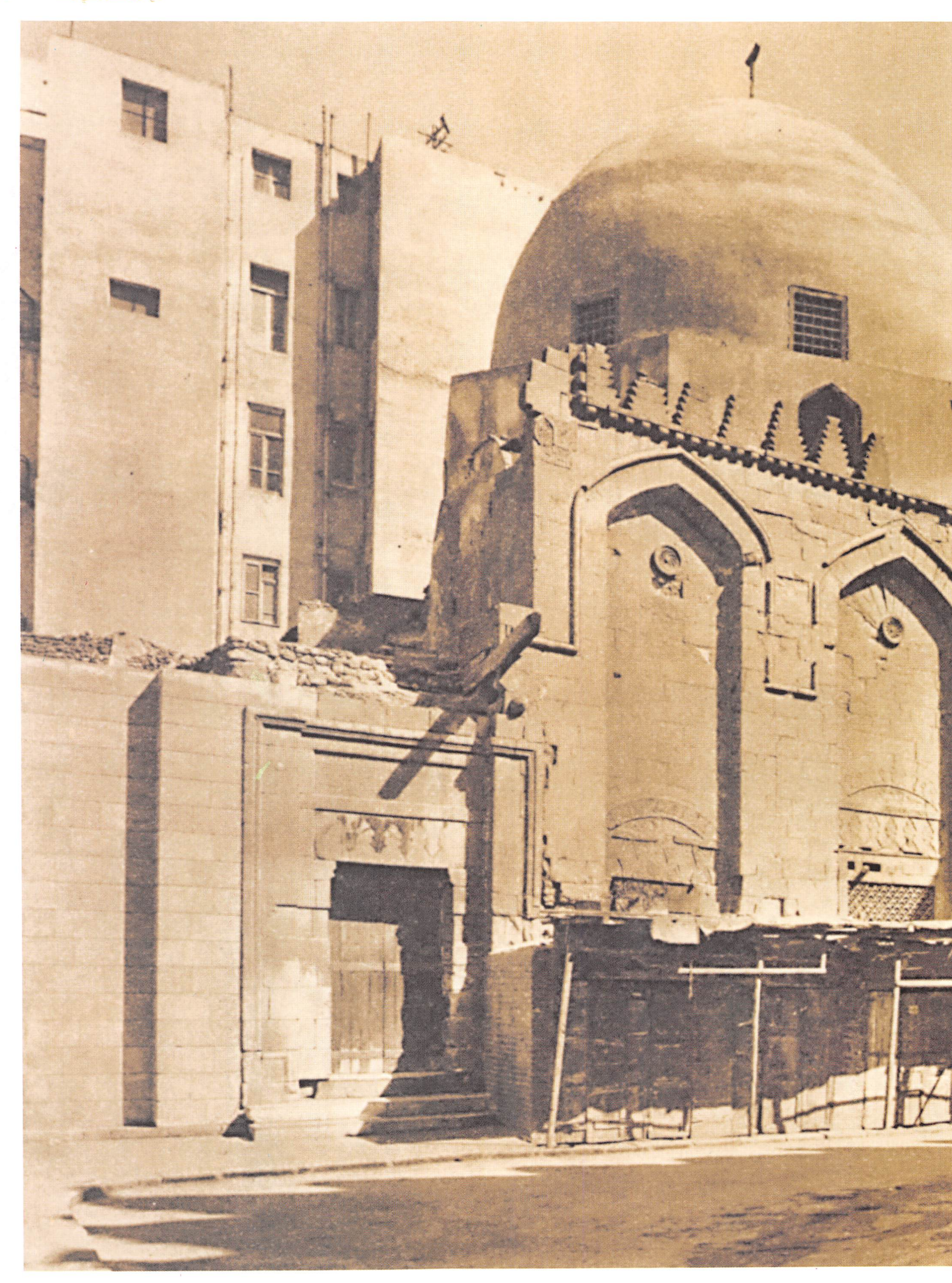
المدارس الصالحية، الواجهة – القاهرة



المدارس الصالحية، اللوحة التأسيسية – القاهرة

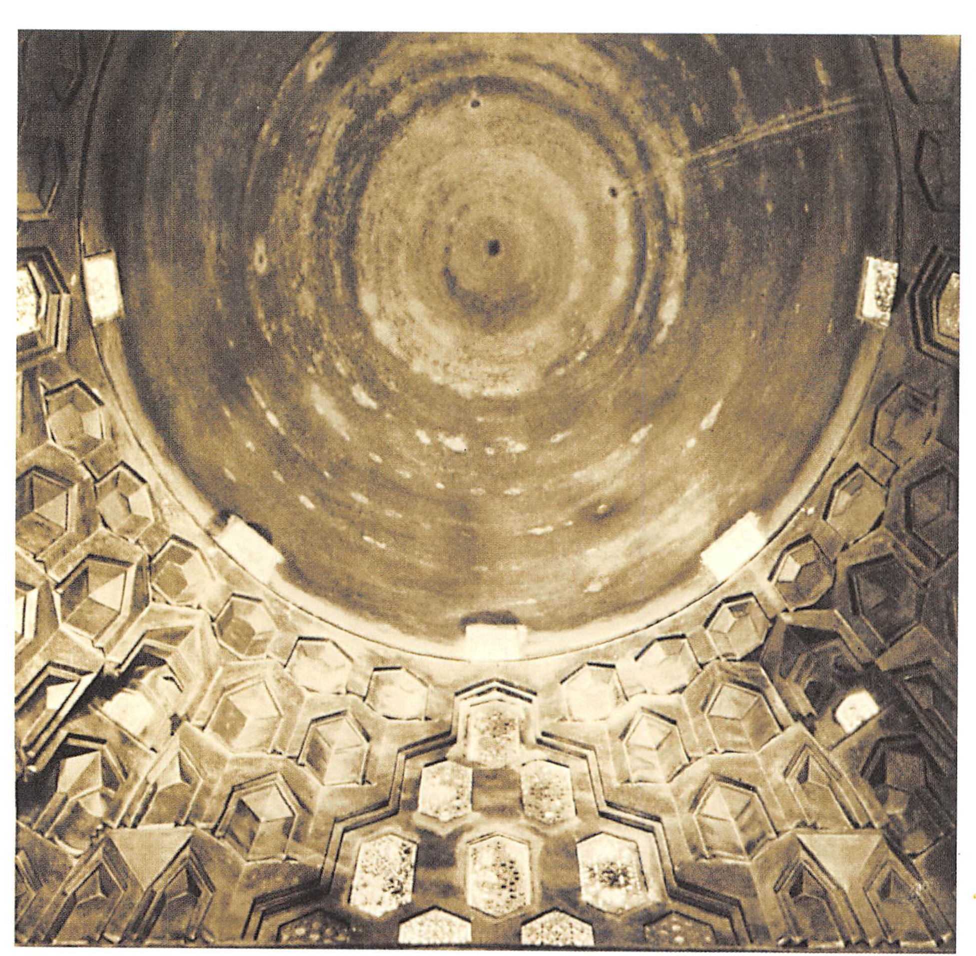


المدارس الصالحية، القبة الضريحية – القاهرة



خانقاة بيبرس الجاشنكير

الخانقاة كلمة غير عربية، تعني دار التصوف. تقع خانقاه بيبرس الجاشنكير في منطقة الجمالية حاليا، قام بتشييدها السلطان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير عام 707/6هـ، عندما كان أمير قبل أن يغتصب العرش من الناصر محمد بن قلاوون، ويتكون تخطيط الخانقاة من صحن سماوى مستطيل يحف به أربعة أواوين متقابلة وخلاوى –حجرات– للصوفية، وأكبر هذه الأواوين إيوان القبلة ويتصدره المحراب، وللخانقاة مدخل رائع عند نهاية الطرف الجنوبي للواجهة الشمالية الغربية معقود بعقد مجيدي كبير –عقد نصف دائري، يتكون من صنج أو وسائد نصف أسطوانية حجرية على شكل مخدات فوق بعضها البعض– ويلي المدخل ردهة مربعة على يسارها حجرة الضريح الملحق، يعلوها قبة محمولة على أربعة صفوف من المقرنصات. وللخانقاة مئذنة تتكون من ثلاثة طوابق تنتهي بقبة مضلعة –المبخرة– ويلاحظ وجود مسكن علوي بمرقى سلم المئذنة كان مخصصًا لشيخ الخانقاة يطل منها على صحن الخانقاه (لا يستبعد أن يكون هذا المسكن كان منزلا لابن خلدون خلال فترة توليه نظارة الخانقاه).



خانقاة السلطان بيبرس الجاشنكير،
القبة – القاهرة



خانقاة السلطان بيبرس الجاشنكير، المدخل - القاهرة



خانقاة السلطان بيبرس الجاشنكير، الصحن - القاهرة



خانقاة السلطان بيبرس الجاشنكير، المئذنة - القاهرة

مدرسة صرغتمش

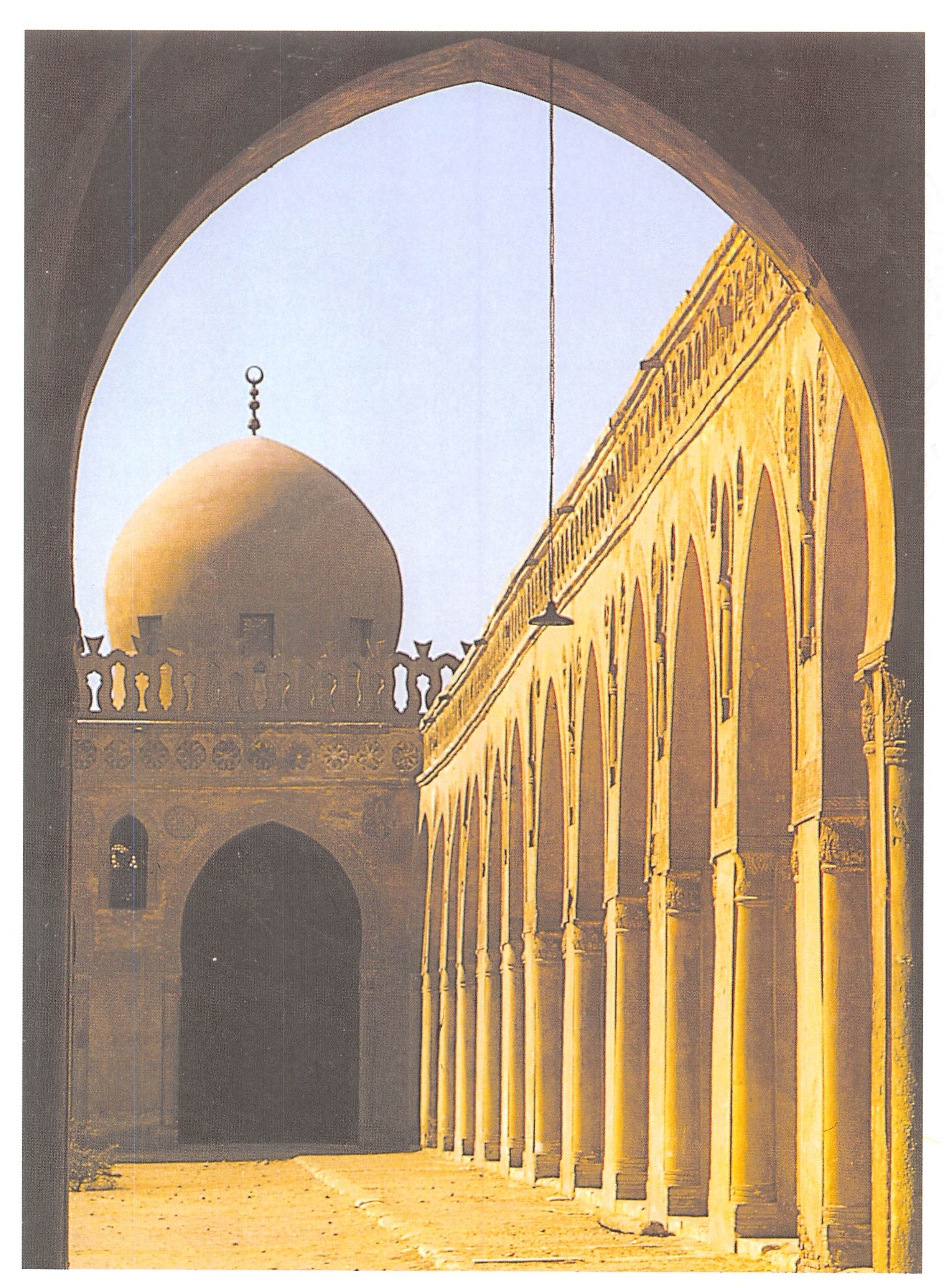
تقع هذه المدرسة الفخمة في شارع الخضيري بملاصقة الواجهة الغربية لجامع أحمد ابن طولون شيدها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري أحد أمراء الناصر محمد ابن قلاوون، وفرغ من تشييدها سنة 757هـ، وخصصت لتدريس فقه السادة الحنفية والحديث، حيث كانت هذه المدرسة معقلاً للعلماء وخاصة الفرس منهم. يتكون تخطيط هذه المدرسة من صحن سماوي يحيط به أربعة أواوين، أكبرها إيوان القبلة، يتصدره محراب مغشى بأشرطة الرخام الملون ومنقوش به كتابات تتضمن آية الكرسي، وفي الركن القبلي للإيوان الغربي باب يوصل إلى القبة الضريحية، وهذه القبة على مثال القباب السمرقندية لها رقبة مستطيلة أحيطت بإفريز منقوش ومكتوب وهذا النوع من القباب نادر في مصر وظهر لأول مرة في هذه المدرسة.



مدرسة صرغتمش، الواجهة- القاهرة



مدرسة صرغتمش، الصحن – القاهرة



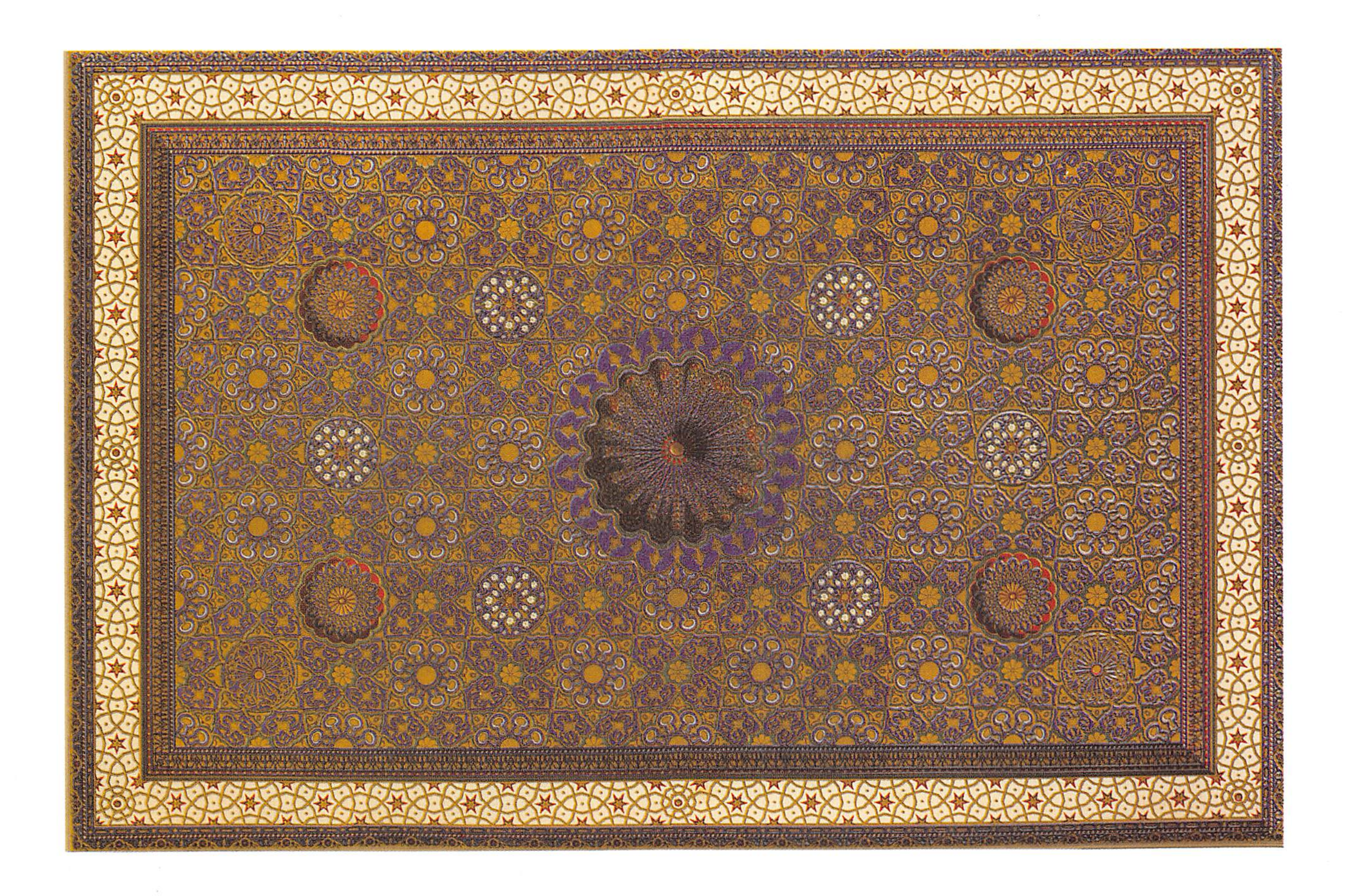
مدرسة صرغتمش، القبة – القاهرة

المدرسة الظاهرية البرقوقية

تقع هذه المنشأة بجوار مدرسة الناصر محمد بن قلاوون من جهة وبين المدرسة الكاملية من جهة أخرى، بسوق النحاسين بشارع المعز. تعرف باسم المدرسة الظاهرية الجديدة تمييزًا لها عن المدرسة الظاهرية القديمة التي شيدها الظاهر بيبرس البندقداري بسوق النحاسين بشارع المعز ببين القصرين.

أمر بتشيدها الملك الظاهر برقوق، وألحق بها خانقاه –اندثرت– وقبة ضريحية، وقد أشرف على بناء المدرسة الجديدة الأمير جهركس الخليلي وكان مهندسها المعلم شهاب الدين أحمد بن الطولوني، ويتكون تخطيط المدرسة من صحن سماوي يتعامد عليه أربعة أواوين متقابلة أكبرها إيوان القبلة، وهو مقسم إلى ثلاثة أروقة بواسطة بائكتان تجرى عموديًّا على جدار القبلة، ويغطي هذا الإيوان سقف خشبي مستوٍ مزخرف بالذهب واللازورد، ويتوسط جدار القبلة محراب ذو كسوة رخامية محلاة بالصدف، بالإضافة إلى منبر خشبي من أعمال السلطان الظاهر جقمق، ويغطي الأواوين الثلاثة أقبية مدببة، كما فرشت أرضية الصحن بترابيع الرخام الأبيض، ويتوسطه فسقية يعلوها قبة صغيرة. أما القبة الضريحية فقد غطيت جدرانها بوزرة رخامية يعلوها طراز مكتوب بالذهب يتضمن تاريخ إنشاء المدرسة. ولهذه

مدرسة السلطان الظاهر برقوق، السقف – القاهرة



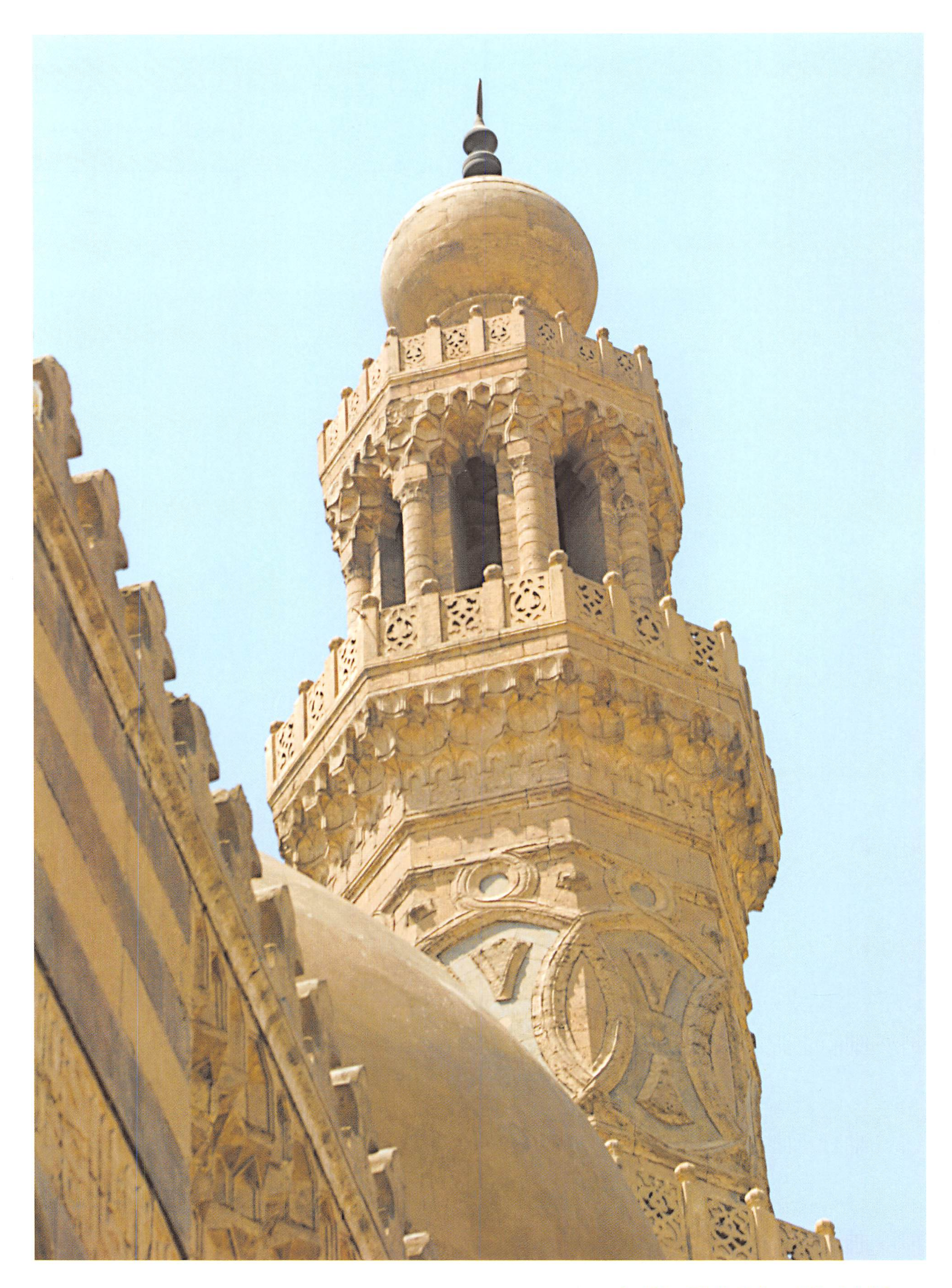


مدرسة السلطان الظاهر برقوق، القبة - القاهرة

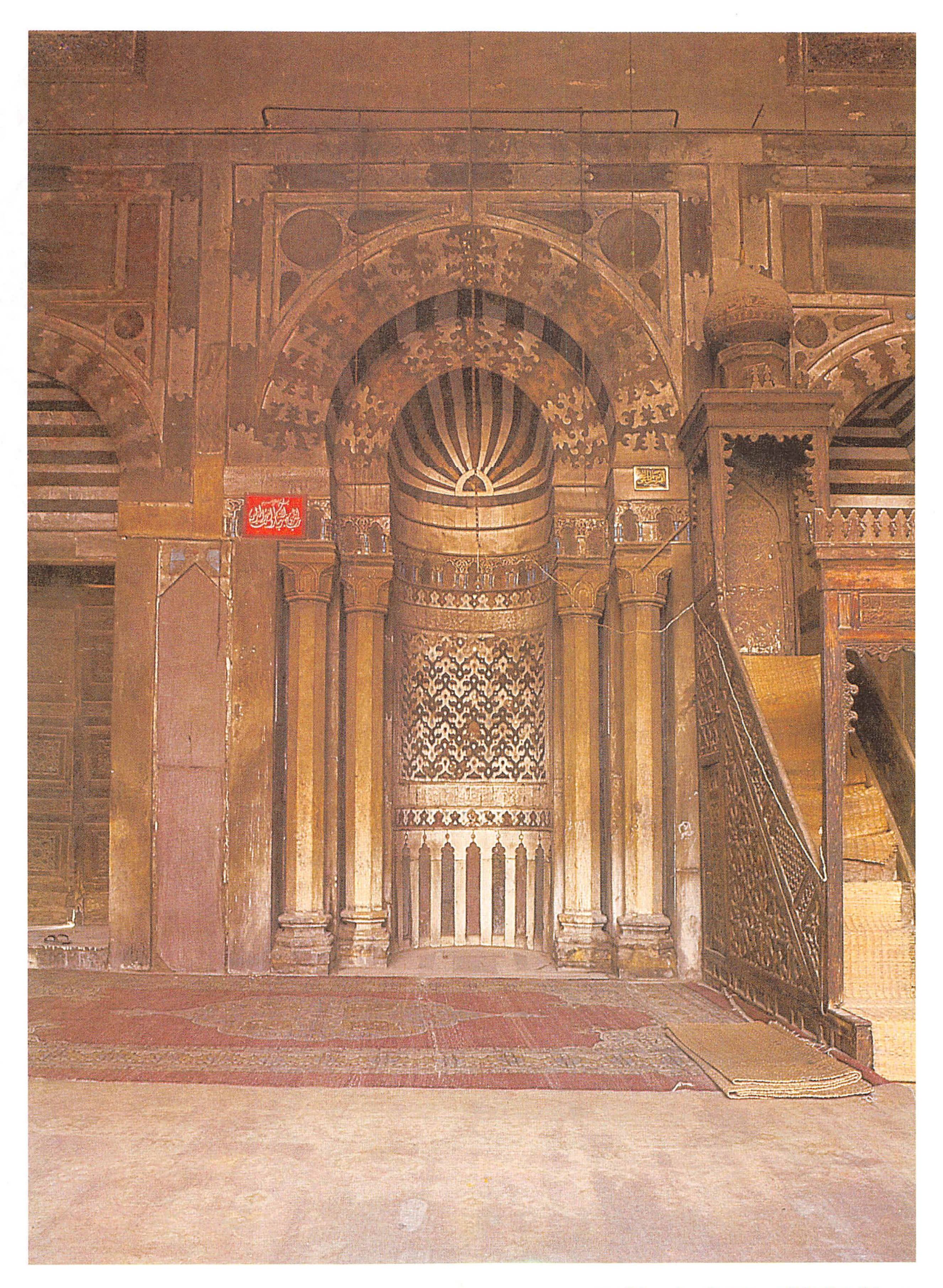
المنشأة واجهة رئيسية هي الواجهة الجنوبية الشرقية المطلة على شارع بين القصرين، ويفتح بها المدخل الرئيسي الذي ركب عليه باب من الخشب المصفح بالنحاس المكفت. كما لهذه المنشأة مئذنة ضخمة، امتازت دورتها الوسطى بأنها ملبسة بالرخام لأول مرة في مآذن مصر.



مدرسة السلطان الظاهر برقوق، الواجهة - القاهرة



مدرسة السلطان الظاهر برقوق، المئذنة – القاهرة



مدرسة السلطان الظاهر برقوق، المحراب - القاهرة

خانقاة فرج بن برقوق

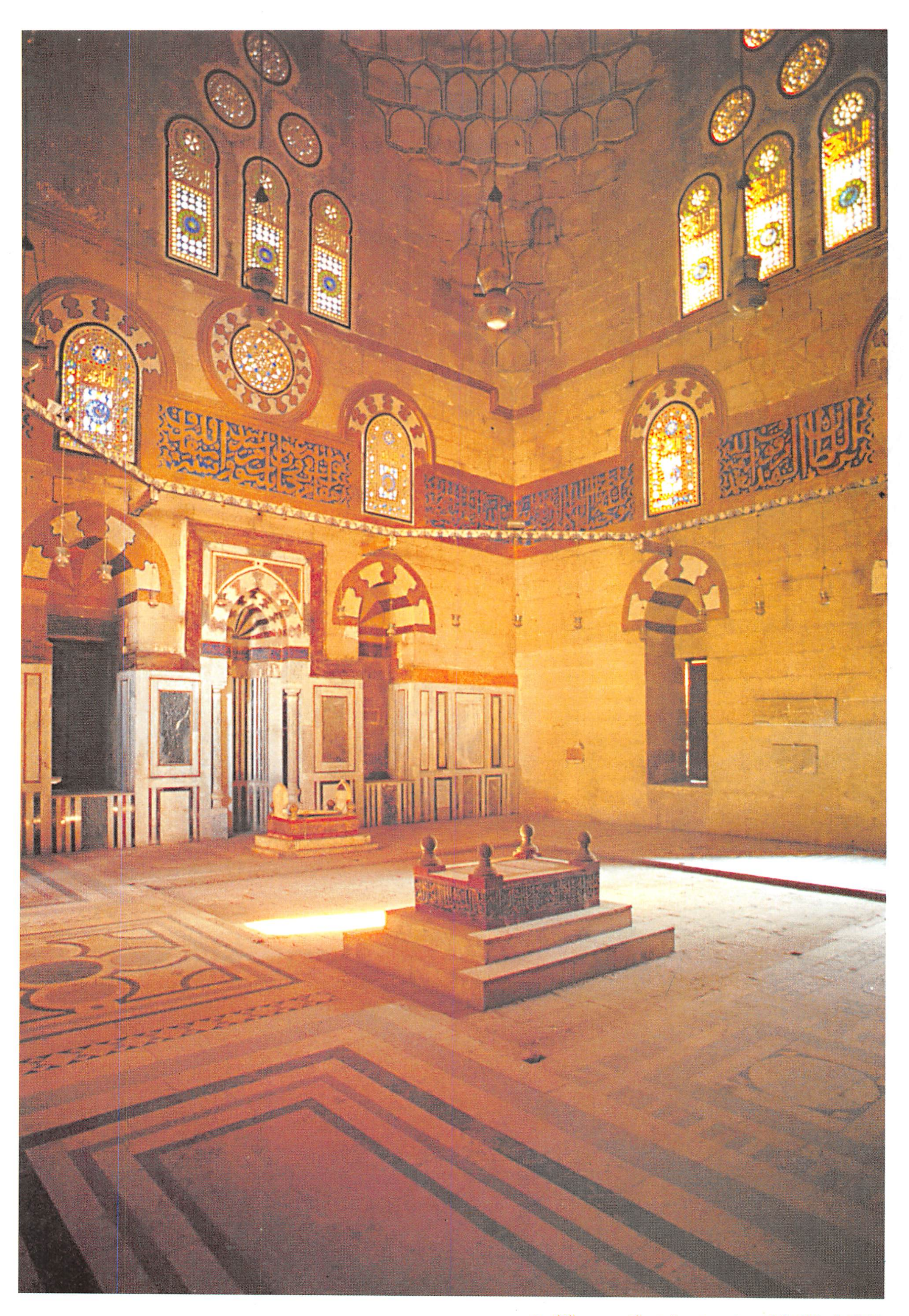
تقع هذه الخانقاة في الجهة الشمالية من صحراء المماليك، والتي يطلق عليها أحيانا خطأ اسم مقابر الخلفاء، بدأ في تشييدها السلطان الناصر فرج بن برقوق عام 801هـ، وكان الفراغ منها في عام 803هـ. ويتكون تخطيط الخانقاة من صحن سماوي تتعامد عليه أربعة أواوين متقابلة، مقسمة إلى أروقة، وأكبر هذه الأواوين إيوان القبلة وهو مقسم إلى ثلاثة أروقة ومغطى بواسطة قباب ضحلة، ويتصدر هذا الإيوان محراب حجري خالٍ من الزخارف، ويكتنف الإيوان قبتان من طرفيه، حلي سطح كل قبة بزخارف على شكل زجزاج، ومركب على باب كل قبة ساتر من الخشب المجمع على هيئة أشكال خشبية، وقد دفن بالقبة الموجودة بالركن الشرقي، الرجال من أسرة برقوق منهم السلطان الظاهر برقوق، أما القبة الموجودة بالركن الجنوبي فقد دفن فيها النساء من أسرة برقوق. وتمتاز الواجهة الشمالية الغربية للخانقاة بوجود سبيلان –إحداهما بالطرف الشمالي، والآخر بالطرف الغربي– ويعلو كل سبيل كتاب.



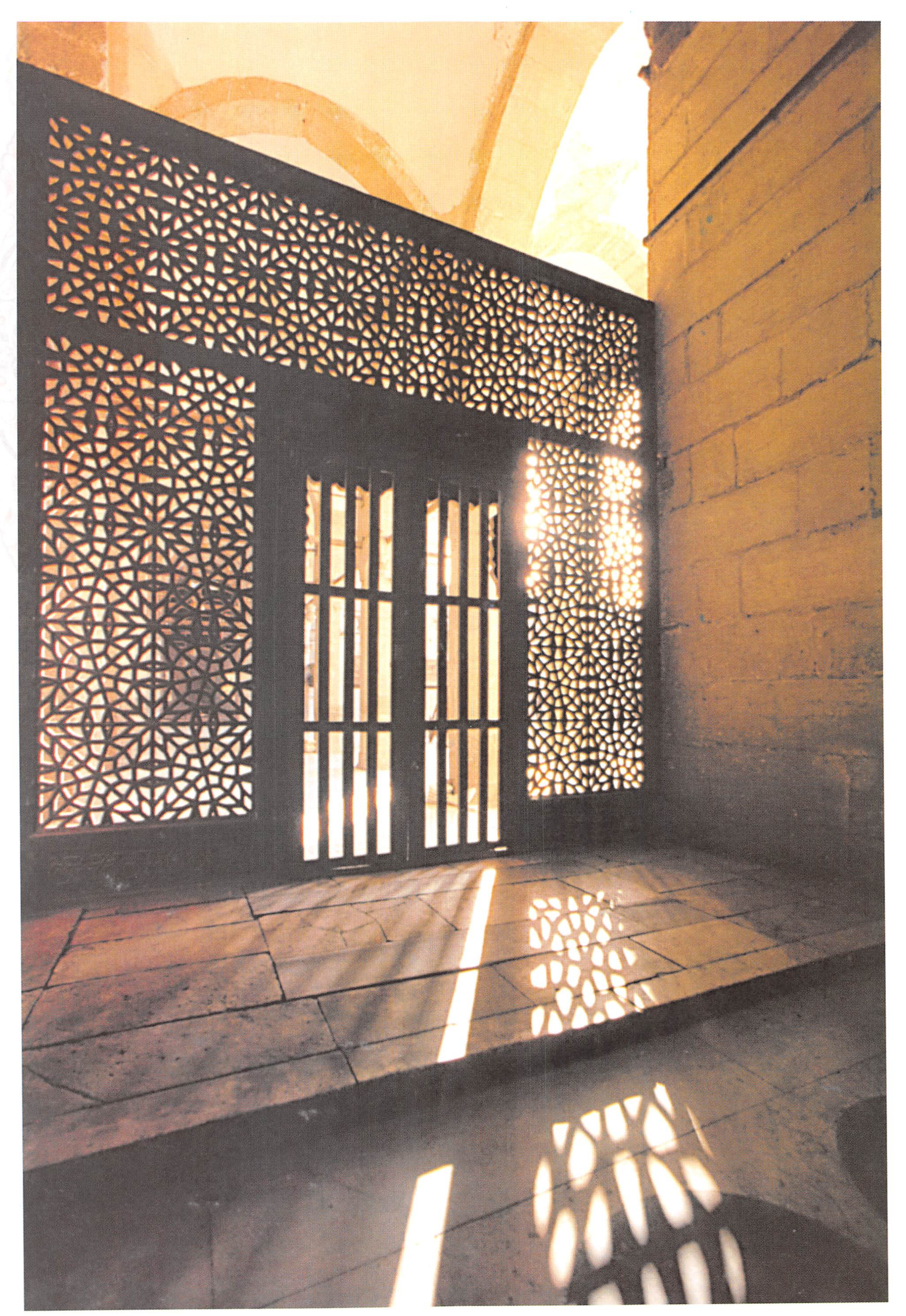
خانقاة السلطان الناصر فرج بن برقوق، القبة – القاهرة



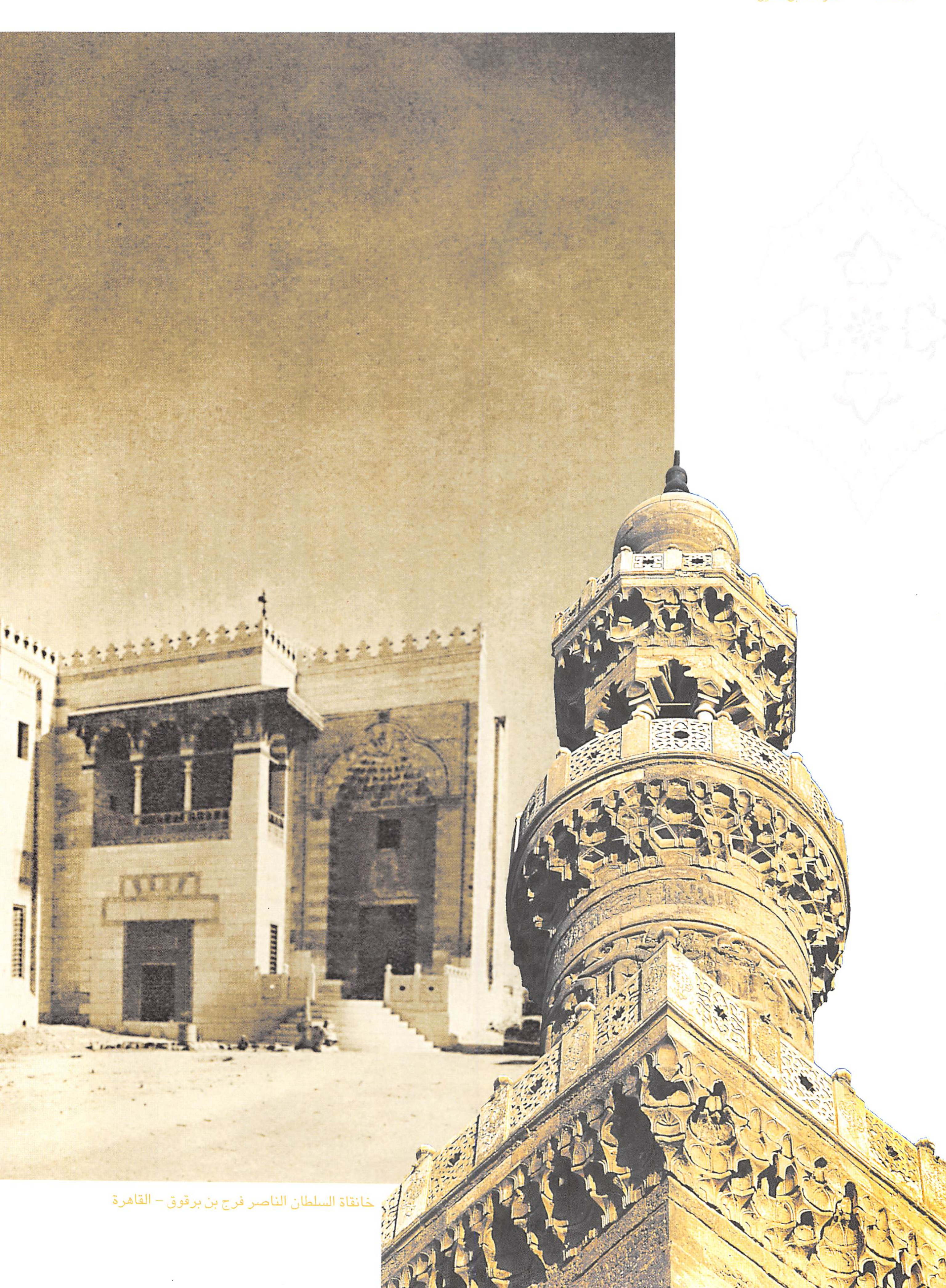
خانقاة السلطان الناصر فرج بن برقوق، المنبر - القاهرة



خانقاة السلطان الناصر فرج بن برقوق، الضريح - القاهرة



خانقاة السلطان الناصر فرج بن برقوق، ساتر خشبي - القاهرة



خانقاة السلطان الناصر فرج بن برقوق - القاهرة



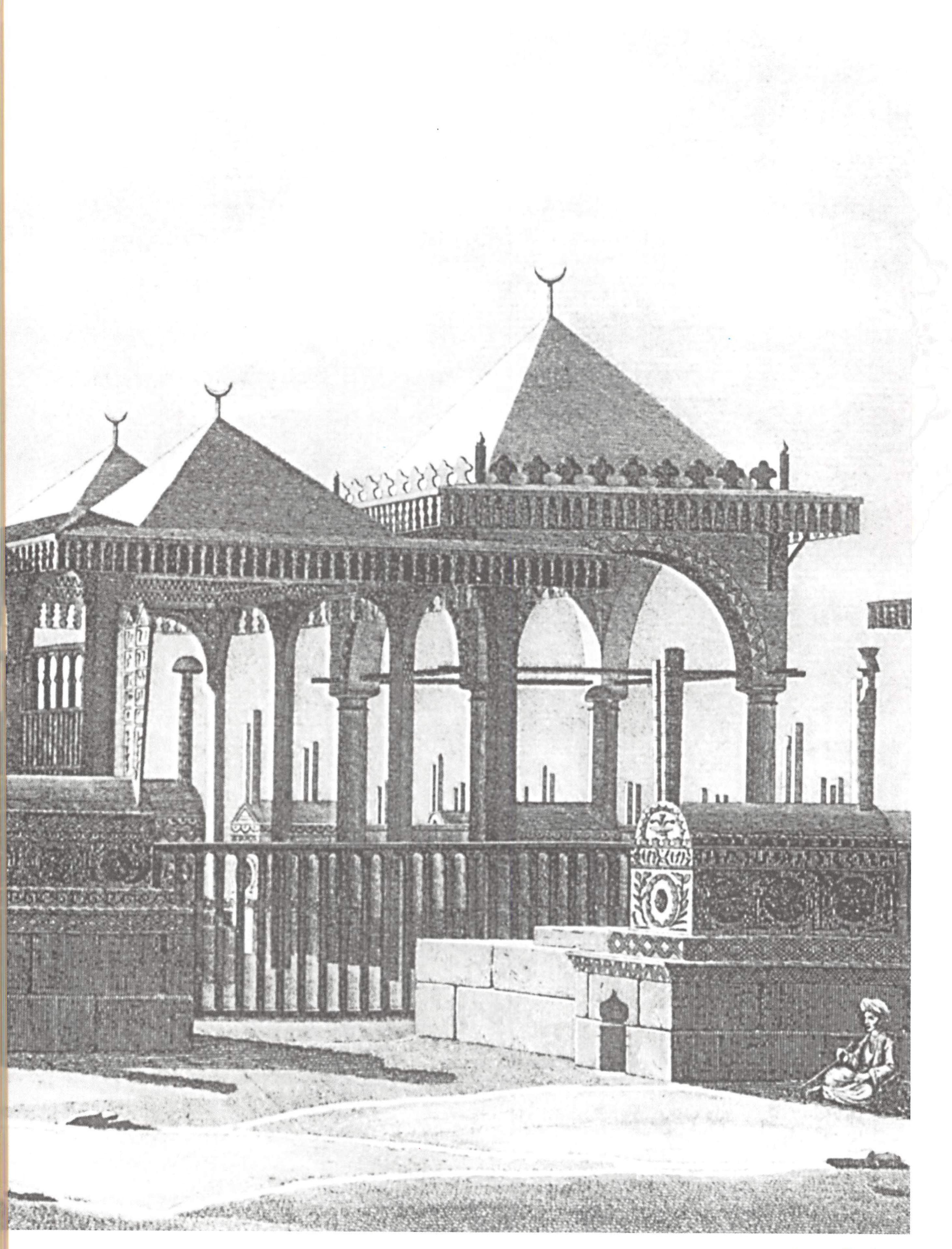
تربة الصوفية بمقبرة باب النصر

بدأ ظهور مقبرة باب النصر بعد وفاة الوزير الفاطمي بدر الجمالي سنة 487هـ، حيث دفن شمالي مصلى العيد وبدأ الناس بالدفن من هذه الناحية الشمالية الشرقية للقبر المذكور وصولاً إلى الريدانية (العباسية الآن)، يقول المقريزي واصفًا هذه المقابر ومنها تربة الصوفية:

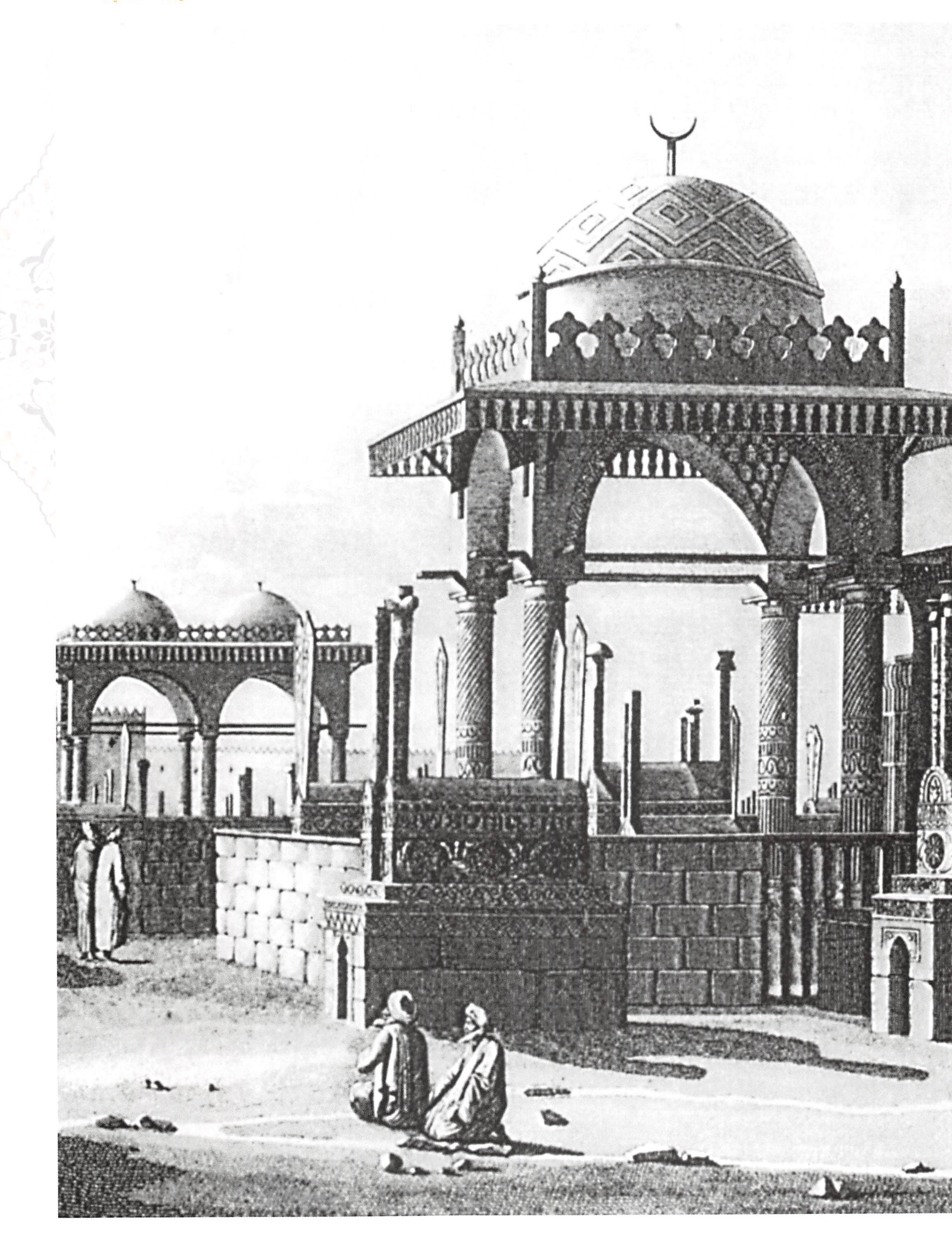
أعلم أن المقابر التي هي الآن خارج باب النصر، إنما حدثت بعد سنة ثمانين وأربعمائة، وأول تربة بنيت هناك تربة أمير الجيوش بدر الجمالي لما مات ودفن فيها، وكان خطها يعرف برأس الطابية... بعد سنة عشرين وسبعمائة، ترك الملك الناصر محمد بن قلاون النزول إلى هذا الميدان (يقصد ميدان القبق) وهجره، فأول من ابتدأ فيه بالعمارة الأمير شمس الدين قراسنقر، فاختط تربته التي تجاور اليوم تربة الصوفية، وبنى حوض ماء للسبيل، وجعل فوقه مسجدًا، وهذا الحوض بجوار باب تربة الصوفية، أدركته عامرًا هو وما فوقه ... وأخذ صوفية الخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء قطعة قدر فدانين، وأداروا عليها سورًا من حجر، وجعلوها مقبرة لمن يموت منهم، وهي باقية إلى يومنا هذا، وقد وسعوا فيها بعد سنة تسعين وسبعمائة بقطعة من تربة قراسنقر، وما برح الناس يقصدون تربة الصوفية هذه لزيارة من فيها من الأموات، ويرغبون في الدفن بها، إلى أن تولى مشيخة الخانقاه الشيخ شمس الدين محمد البلالي، فسمح لكل أحد أن يقبر ميته بها على مال يأخذه منه، فقبر بها كثير من أعوان الظلمة، ومن لم تشكر طريقته، فصارت مجمع نسوان، ومجلس لعب

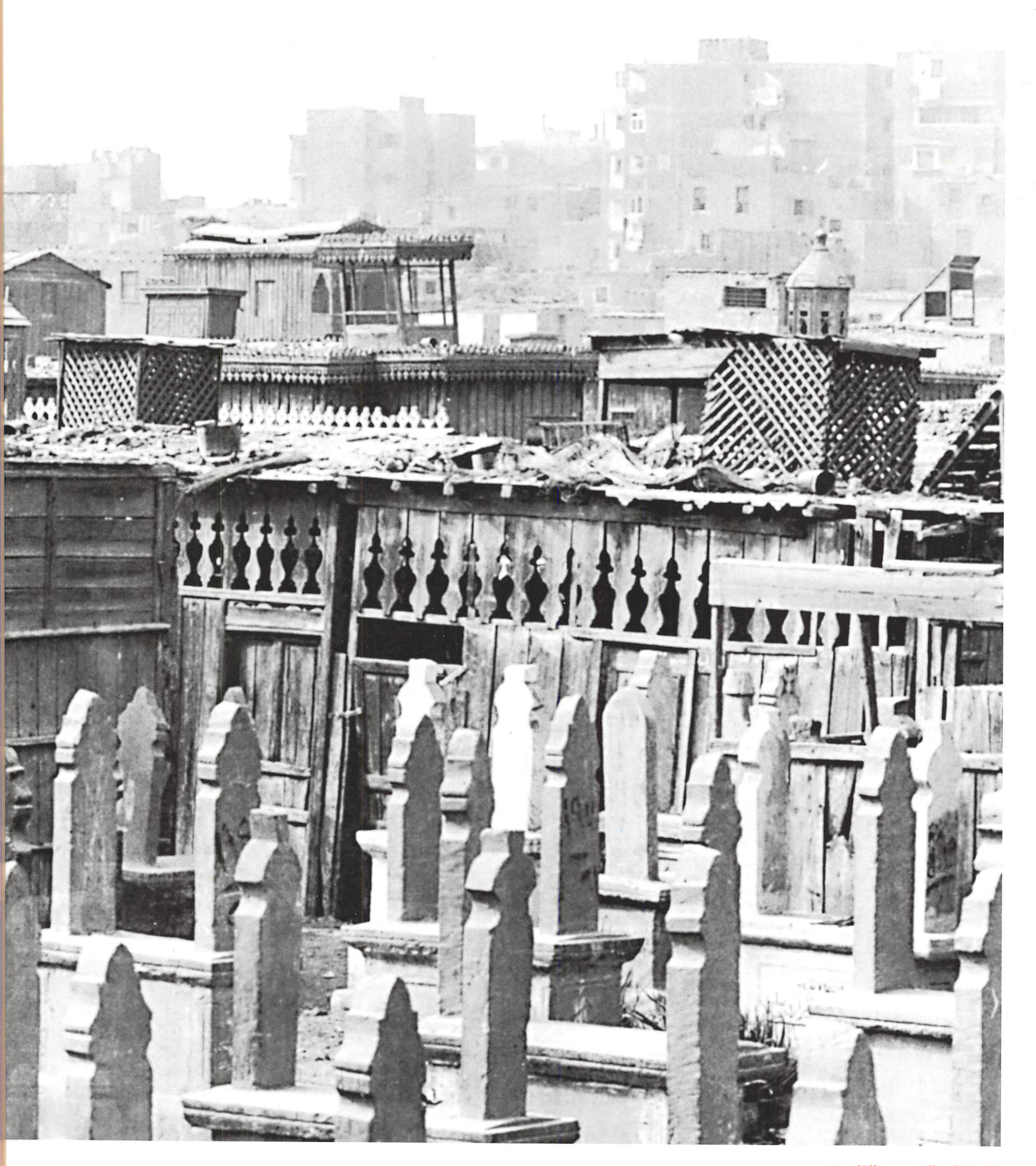


مقبرة باب النصر، أحد القباب الفاطمية – القاهرة



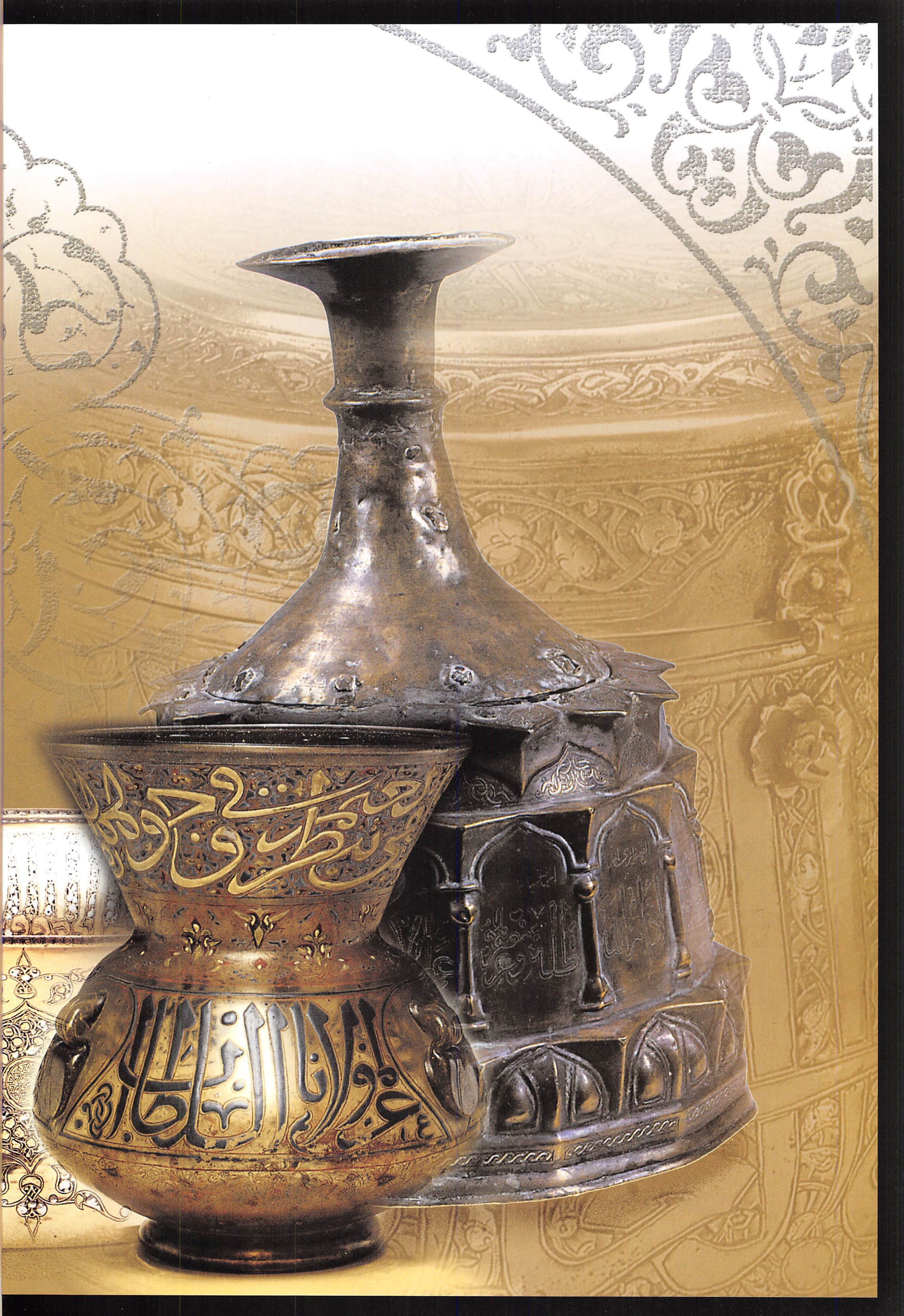
مقبرة باب النصر – القاهرة





مقبرة باب النصر – القاهرة







روائع من عصر ..

ابن خلدون

جاء ابن خلدون إلى القاهرة، فبهرته بجمالها، وروعة عمائرها، وبدائع فنونها، وليس أدل على ذلك، ما يزخر به متحف الفن الإسلامي في القاهرة، وبعض المجموعات الخاصة من روائع الفنون المملوكية من عصر ابن خلدون، من تلك الروائع نذكر:

صندوق مصحف

- من الخشب المصفح بالنحاس والمكفت بالذهب والفضة
- يعود إلى سنة 732 هـ
- الارتفاع: 28 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامي، (183)
- مكان العثور: مسجد السلطان قنصوه الغوري
- الوصف: عبارة عن صندوق مستطيل الشكل محمول على أربعة أرجل، قوام زخرفته كتابات من آيات القرآن الكريم من سور الحشر آية 23، وسورة آل عمران آيات 18-19-26-27، وسورة الواقعة آية 67-80، بالإضافة إلى آية الكرسي. وقد نفذت الكتابات بالخطين الثلث المملوكي والخط الكوفي المنتهي بهامات نباتية، حيث نفذت جميعها بالذهب، أما الأرضية النباتية فقد نفذت بالفضة.





إناء

- من النحاس المكفت بالفضة
- يعود إلى منتصف القرن الثامن الهجري
- صنع لأحد أمراء السلطان الملك المظفر
- الارتفاع: 9.5 سم
- القطر: 17.0 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامي، مجموعة هراري، (126)
- الوصف: عبارة عن حوض عميق، قوام زخرفته شريط من الكتابات بخط الثلث المملوكي على أرضية نباتية، تتضمن عبارات دعائية ويتخللها جامات من الزخارف النباتية يتوسطها رنك كتابي كتب داخله "الملك المظفر".

شمعدان

- من النحاس المكفت بالفضة
- يعود إلي منتصف القرن الثامن الهجري
- صنع لأحد موظفي الملك الناصر
- الارتفاع: 40.0 سم
- قطر القاعدة: 36.5 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامي، مجموعة هراري، (15080)
- الوصف: عبارة عن شمعدان يتكون من قاعدة ورقبة، قوام زخرفته أشرطة من الكتابات المنفذة بخط الثلث المملوكي بالتبادل مع أشرطة من الزخارف الهندسية، يتخللها جامات تتضمن كتابات دعائية بخط الثلث على أرضية من الزخارف النباتية.

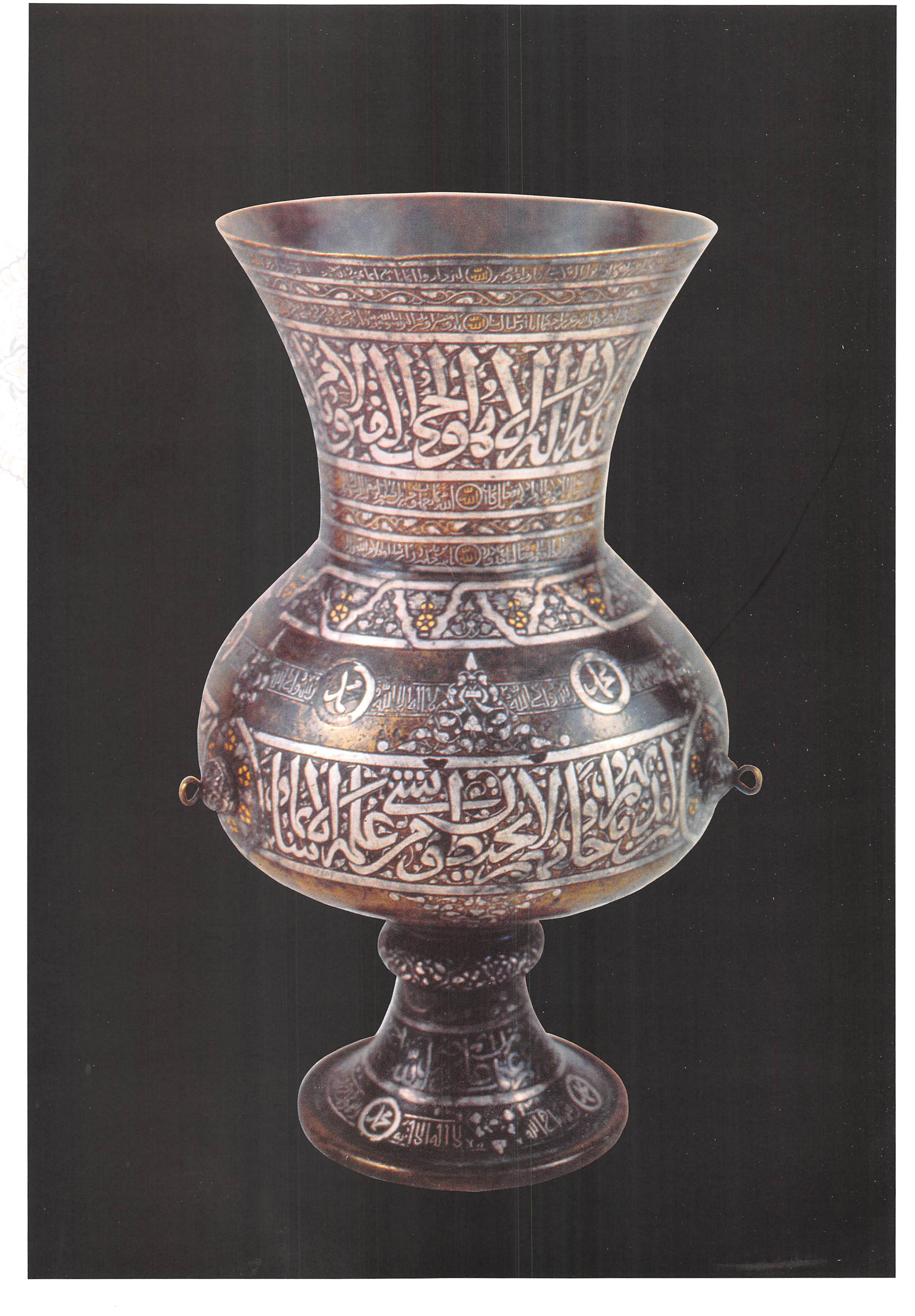
قنينة ماء ورد

- من النحاس المكفت بالذهب والفضة
- صنعت للسلطان الملك الناصر حسن، منتصف القرن الثامن الهجري
- الارتفاع: 23.5 سم
- أقصي قطر: 11.0 سم
- مكان الحفظ متحف الفن الإسلامى، مجموعة هراري، (171)
- الوصف: عبارة عن قنينة ذات بدن منتفخ ينتهي برقبة تستدق عند الفوهة، قوام زخرفتها أشرطة من الزخارف الهندسية والنباتية، يتخللها أشرطة وجامات من الكتابات الدعائية للسلطان الملك الناصر حسن نفذت بخط الثلث المملوكي.



مشكاة

- من النحاس المكفت بالفضة والذهب
- النصف الثاني من القرن الثامن الهجري
- الارتفاع: 29.9 سم
- القطر: 14.6 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامى، مجموعة هراري، (170)
- الوصف: عبارة عن مشكاة ذات بدن منتفخ ورقبة تبرز للخارج كلما ارتفعت لأعلى، قوام زخرفته أشرطة من الزخارف النباتية، بالتبادل مع أشرطة من الكتابات نفذت بخط الثلث المملوكي، تتضمن آيات من القرآن الكريم من سورة الفتح وآية الكرسي، والصلاة على النبي (ﷺ) وأسماء الصحابة "أبو بكر وعمر وعثمان وعلي".



قنينة

- من الزجاج المموه بالميناء الحمراء والسوداء
- تعود إلى القرن الثامن الهجري
- الارتفاع: 28.0 سم
- أقصي قطر: 17.2 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامي، (23968)
- مكان العثور: مدينة قوص
- الوصف: هذه القنينة عبارة عن بدن منتفخ ينتهي برقبة تزداد اتساعا كلما وصلت للفوهة، قوام زخرفتها أشرطة من الزخارف النباتية والهندسية، يتخللها جامات دائرية ذات زخارف نباتية وزهور.

مشكاة

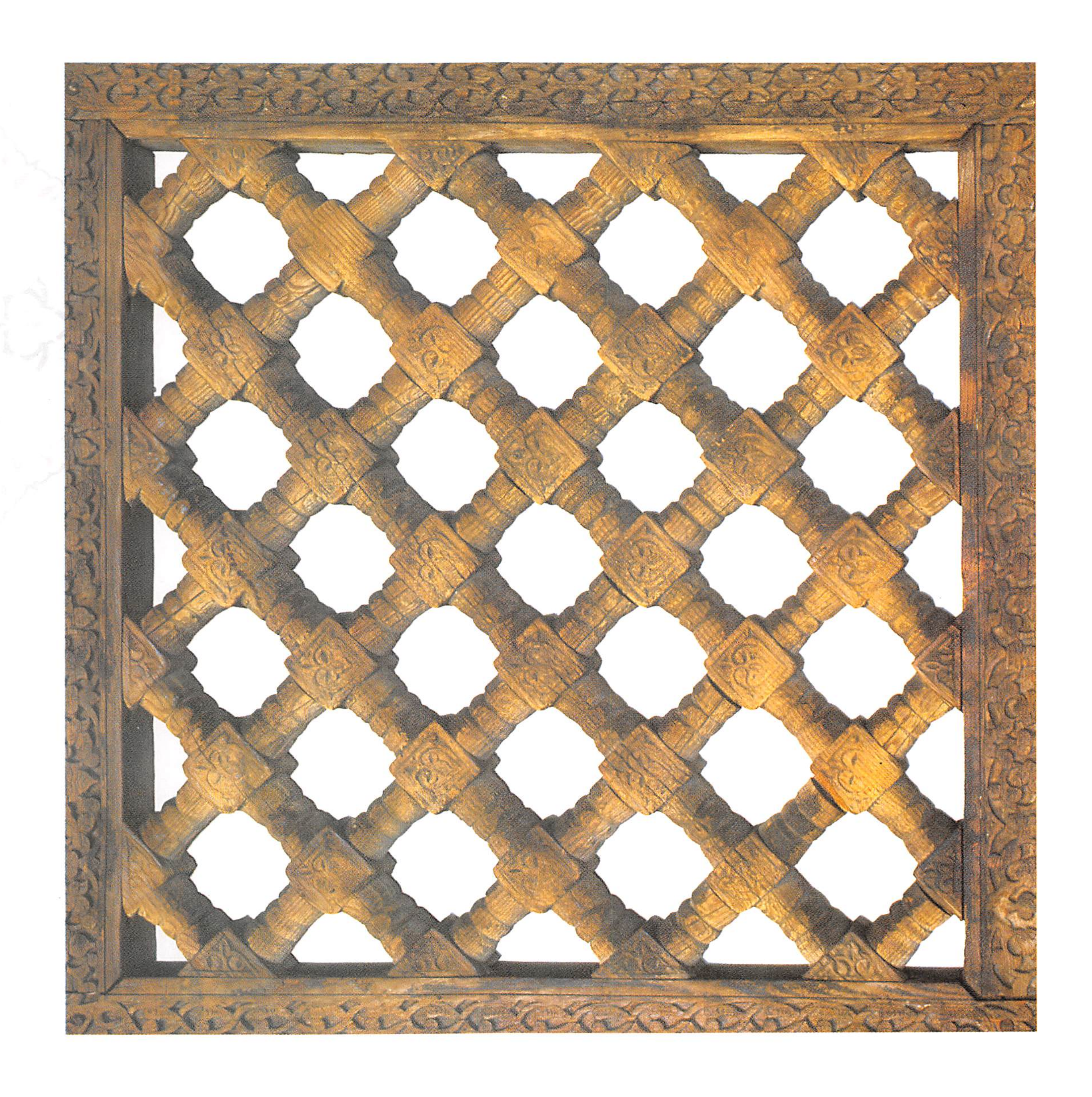
- من الزجاج المموه بالمينا
- حوالي عام 761هـ
- صنعت للملك الناصر حسن
- الارتفاع: 35.5 سم
- أقصي قطر: 26.2 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامي، (288)
- مكان العثور: مجموعة السلطان حسن المعمارية فى القاهرة
- الوصف: تتكون هذه المشكاة من بدن منتفخ ورقبة تزداد اتساع كلما ارتفعت، وقوام زخرفتها تكوينات نباتية تتخذ شكل جامات شبه بيضاوية وأشرطة، كما يدور حول الرقبة شريط من الزخارف الكتابية بخط الثلث المملوكي.





حشوة

- من الخشب المحفور والمطعم بالعاج
- تعود إلى القرن الثامن الهجري
- الأبعاد: 29.6 × 29.6 سم
- السمك: 3.0 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامي، (11719)
- الوصف: عبارة عن حشوة من الخشب المحفور والمطعم بالعاج، قوام زخرفتها طبق نجمي.



حشوة

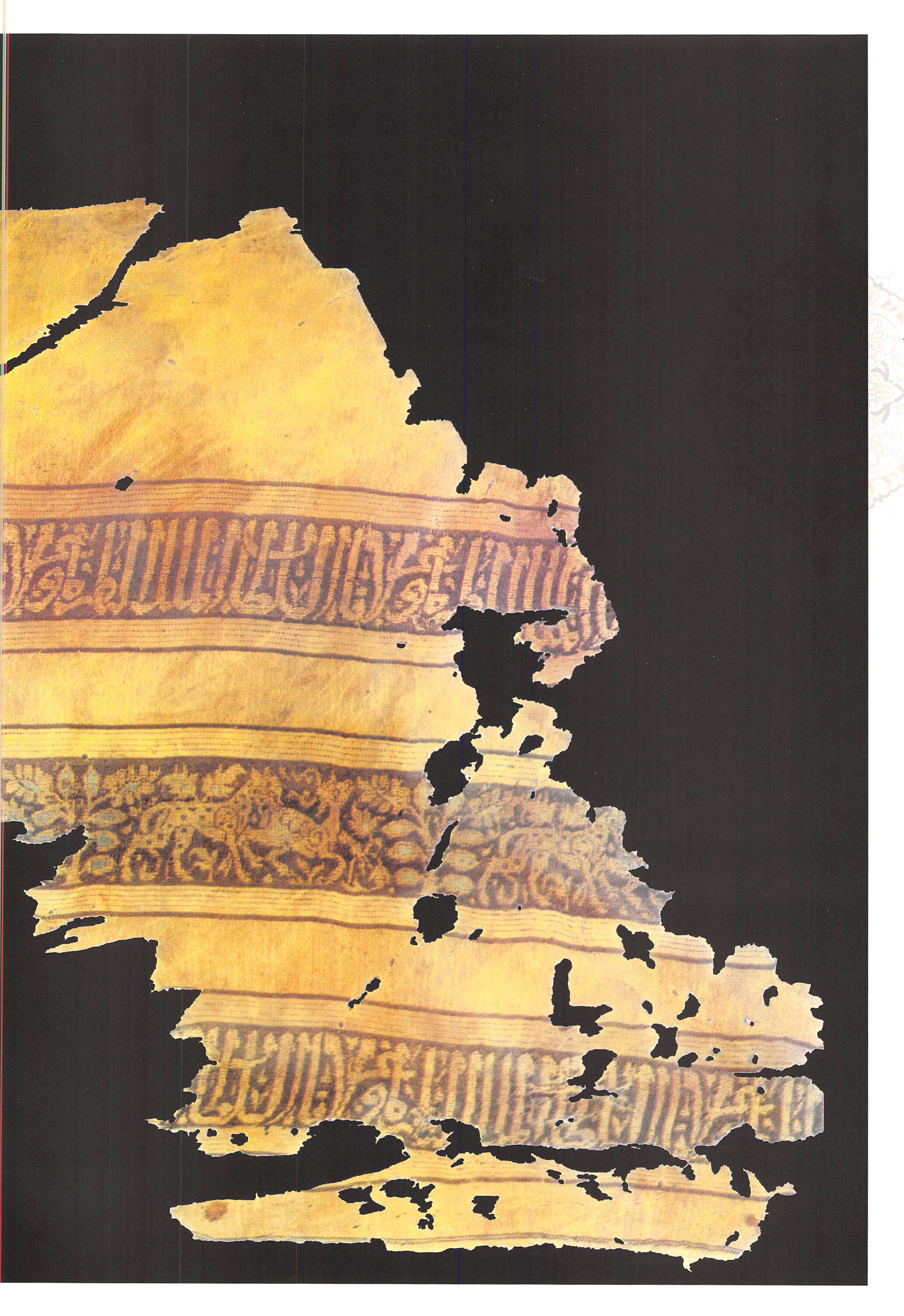
- من الخشب الخرط
- تعود إلى منتصف القرن الثامن الهجري
- الأبعاد: 77.7 × 75.3 سم
- السمك: 5.5 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامي، (2728)
- مكان العثور: مسجد أصلم السلحدار

- الوصف: عبارة عن جزء من نافذة أو منبر، يتكون من تجميعات الخشب الخرط المحصور داخل إطار، مكونة شكل هندسي عبارة عن معينات متتالية، أما الإطار فقد زخرف بزخارف نباتية نفذت بطريقة الحفر الغائر.

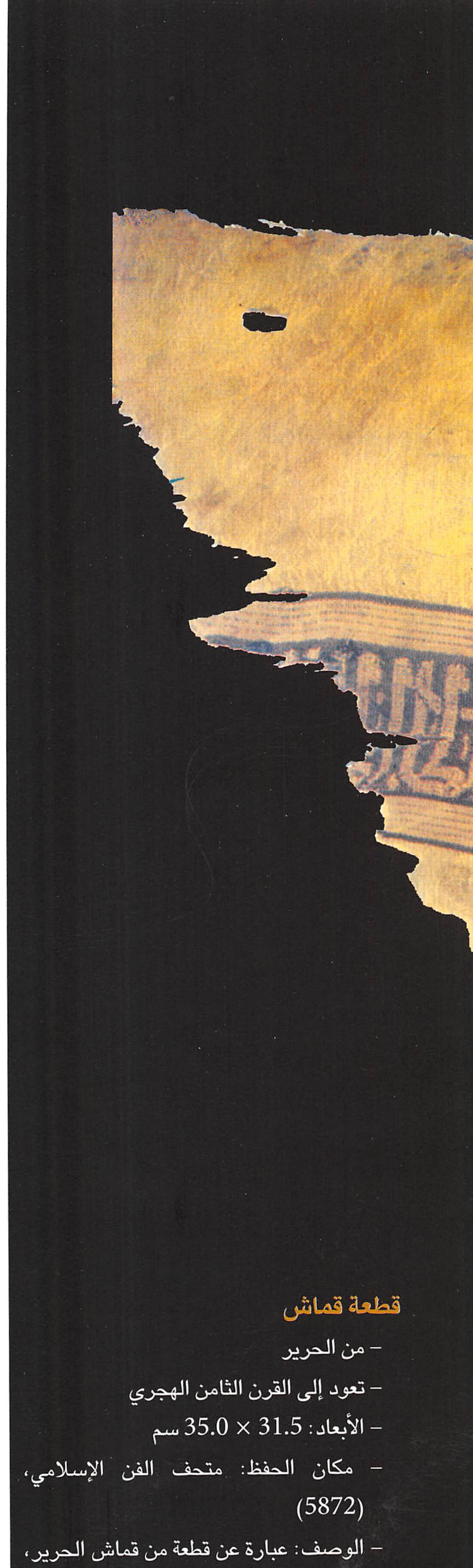
لوحة علي شكل محراب

- من الرخام
- منتصف القرن الثامن الهجري
- الأبعاد: 60.5 × 36.0 سم
- السمك: 2.8 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامي، (19)
- مكان العثور: المدرسة البدرية
- الوصف: عبارة عن لوح رخامي يأخذ شكل المحراب، قوام زخرفته زخارف محفورة بالحفر البارز، تتكون من مشكاة تتدلي من طاقية المحراب، يكتنفها من الجانبين شمعدانين، يحيط بهما تكوينات نباتية من أوراق وفروع نباتية.









قطعة قماش

- من الحرير
- تعود إلى القرن الثامن الهجري
- الأبعاد: 31.5 × 35.0 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامي، (5872)
- الوصف: عبارة عن قطعة من قماش الحرير، قوام زخرفتها مجموعة من الأشرطة تتضمن كتابات دعائية، ومناظر قنص لغزلان ونمور.

قطعة قماش

- من الحرير
- تعود إلى القرن الثامن الهجري
- الأبعاد: 13.0 × 7.5 سم
- مكان الحفظ: متحف الفن الإسلامي، (15532)
- الوصف: عبارة عن قطعة قماش من الحرير المتعدد الألوان، قوام زخرفته جامتين مربعتين، الأولى عبارة مربع يتوسطه شكل هلالي يتوسطه زهرة يحيك به مجموعة من الأشكال الهندسية، أما الجامة الثانية فعبارة عن شكل نجمي ثماني الأضلاع يتوسطه شكل معين بداخله زهرة.

دنانير مملوكية جركسية

تميز الدينار المملوكي عامة، والدينار المملوكي الجركسي خاصة، بالعديد من الخصائص، لعل أهمها: عدم ثبات وزنه علي الوزن الشرعي للدينار -4.25 جم-، استخدام الخط الثلث بتشكيلات بديعة ميزت تلك الدنانير عن ما سبقها من دنانير ضربت في مصر، ومن أمثلة هذه الدنانير:





أ. دينار الملك الظاهر برقوق

- من الذهب
- مكان السك وتاريخه: القاهرة – 784هـ
- القطر: 26 مم
- مكان الحفظ: مجموعة خاصة
- كتابات الوجه: النصر إلا من عند/ لا اله إلا الله محمد/ رسول الله أرسله بالهدي/ ودين الحق ليظهره علي/ الدين كله
- كتابات الظهر: القاهرة/ السلطان الملك الظاهر/ سيف الدنيا والدين/ أبو سعيد برقوق خلد الله سلطانه



ب. دينار الملك الناصر فرج بن برقوق

- من الذهب
- مكان السك وتاريخه: القاهرة – 801هـ
- القطر: 28 مم
- مكان الحفظ: مجموعة خاصة
- كتابات الوجه: وما النصر إلا من عند/ لا اله إلا الله محمد/ رسول الله أرسله بالهدي/ ودين الحق ليظهره علي/ الدين كله
- كتابات الظهر: ضرب القاهرة سنة احد/ السلطان الملك الناصر بن/ القاهر بن الشهيد/ الملك الظاهر برقوق/ وثمان مئة

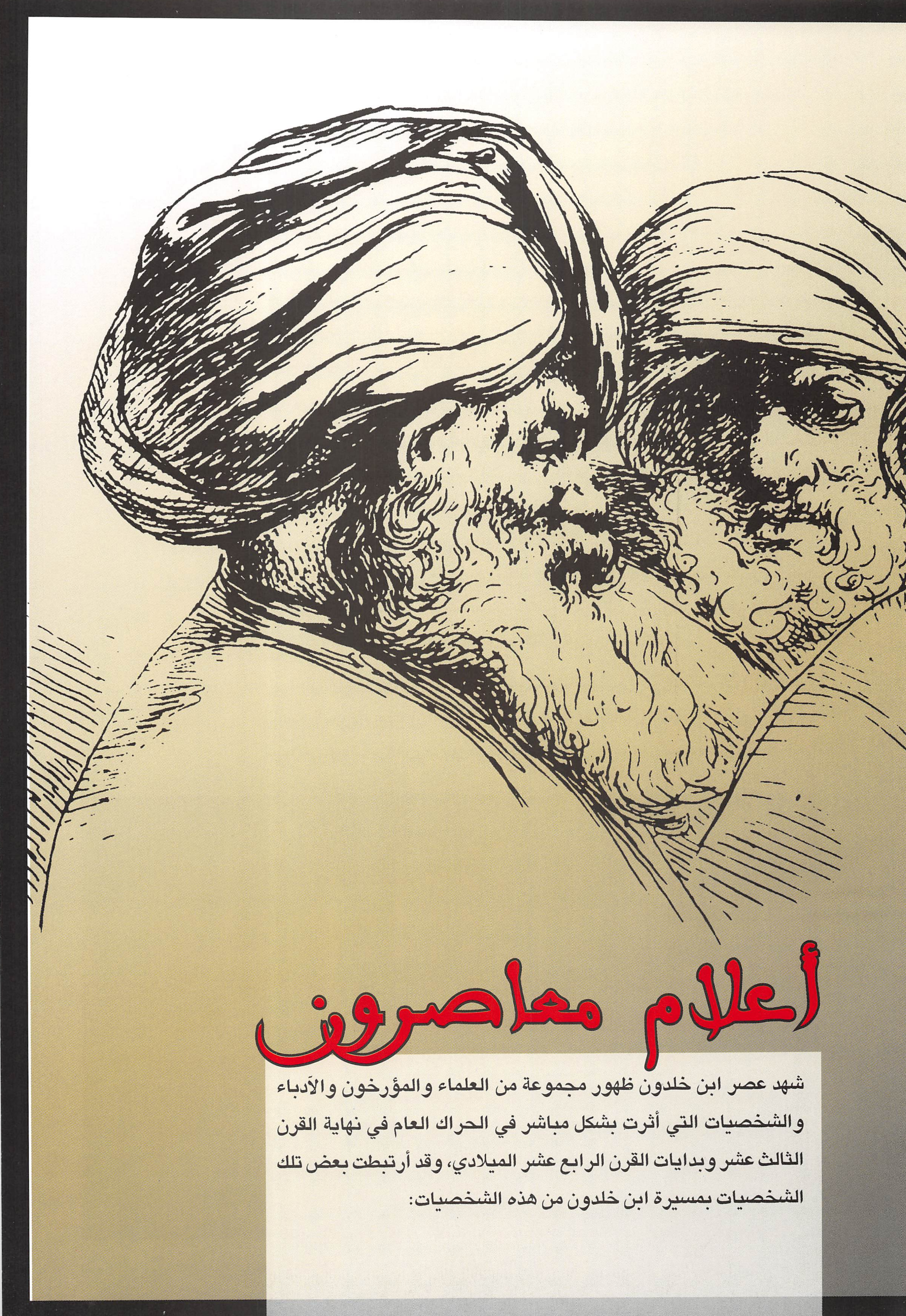




ج. دينار الناصر فرج بن برقوق (الدينار السالمي)

- من الذهب
- الوزن: مثقال -4.25 جم-
- مكان السك وتاريخه: القاهرة – 806هـ
- القطر: 20 مم
- مكان الحفظ: مجموعة خاصة
- كتابات الوجه: وما النصر إلا من عند/ اله إلا الله محمد/ رسول الله أرسله/ بالهدي ودين
- كتابات الظهر: المركز: فرج/ الهامش: السلطان الملك الناصر لدين الله برقوق القاهرة سنة ست





أعلام معاصرون

شهد عصر ابن خلدون ظهور مجموعة من العلماء والمؤرخون والآدباء والشخصيات التي أثرت بشكل مباشر في الحراك العام في نهاية القرن الثالث عشر وبدايات القرن الرابع عشر الميلادي، وقد أرتبطت بعض تلك الشخصيات بمسيرة ابن خلدون من هذه الشخصيات:

المقريزي

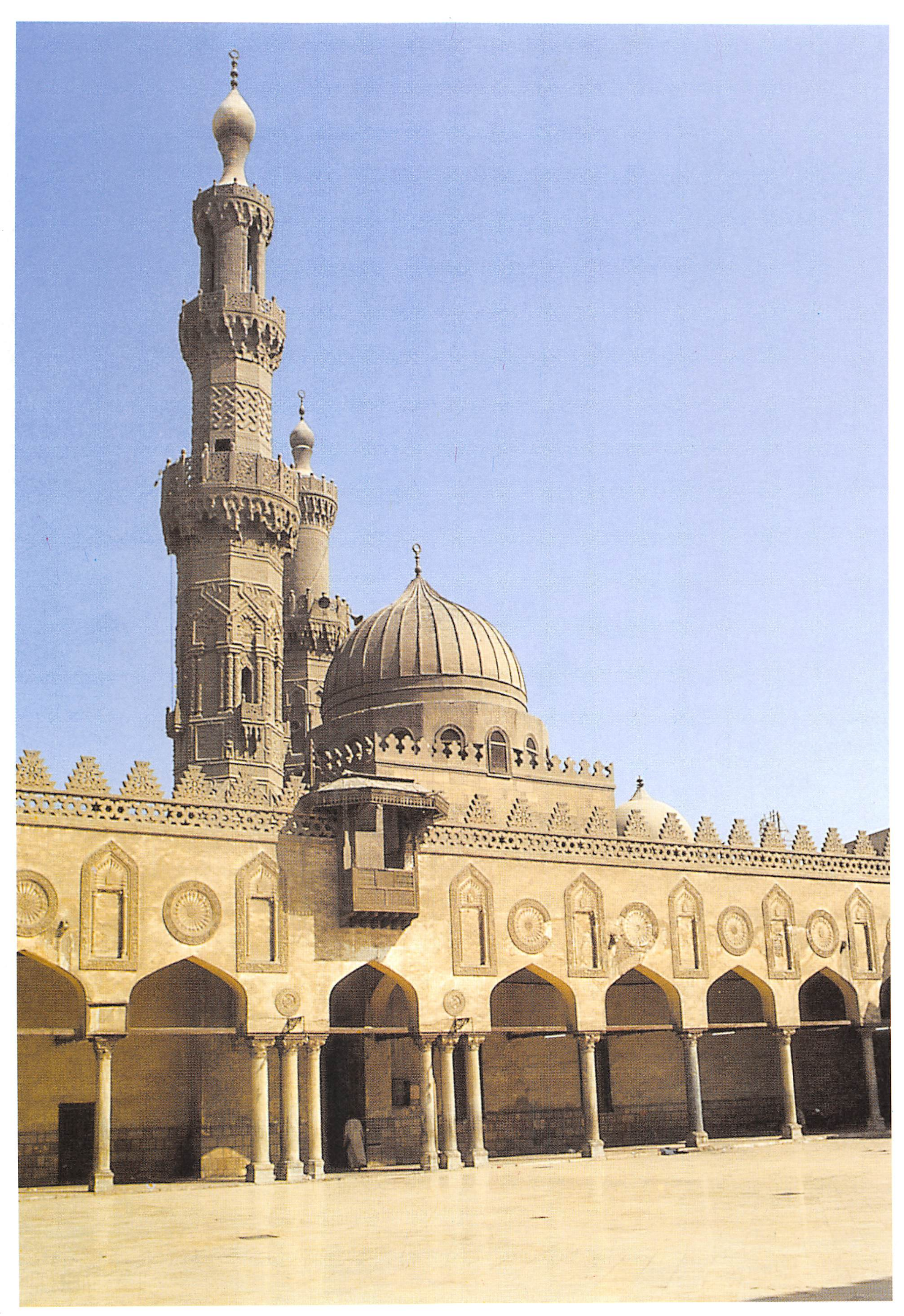
تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، علم من أعلام التاريخ، ولد سنة 766هـ، عرف بالمقريزي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة. كان أجداده من بعلبك يرجع نسبهم إلى آل عبيد الفاطميين، حضر والده إلى القاهرة وولي بها بعض الوظائف.

نشأ المقريزي بالقاهرة ودرس في الجامع الأزهر وتخصص في دراسة الفقه والحديث وعلوم الدين وبرع في الأدب وأجاد النثر وعين في وظائف الوعظ وقراءة الحديث بالمساجد الجامعة وولي الحسبة في القاهرة أكثر من مرة وهي من وظائف القضاء الهامة كما ولي الخطابة في جامع عمرو بن العاص، ومدرسة السلطان حسن، والإمامة بجامع الحاكم بأمر الله، وقراءة الحديث بالمدرسة المؤيدية. كما تقلب في عدة وظائف قضائية في القاهرة ودمشق، كان لتقي الدين المقريزي مكانة عند الملك الظاهر برقوق ثم عند ولده الملك الناصر فرج من بعده كما توثقت صلته بالأمير يشبك الدوادار وقتًا ونال في عهده جاها ومالا، ثم زهد الوظائف العامة واستقر في القاهرة وتفرغ للكتابة.

احتل المقريزي مركزًا عاليًا بين المؤرخين المصريين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، حيث إن معظم المؤرخين الكبار كانوا من تلاميذ المقريزي، مثل أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي مؤلف كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.

جامع عمرو بن العاص - القاهرة



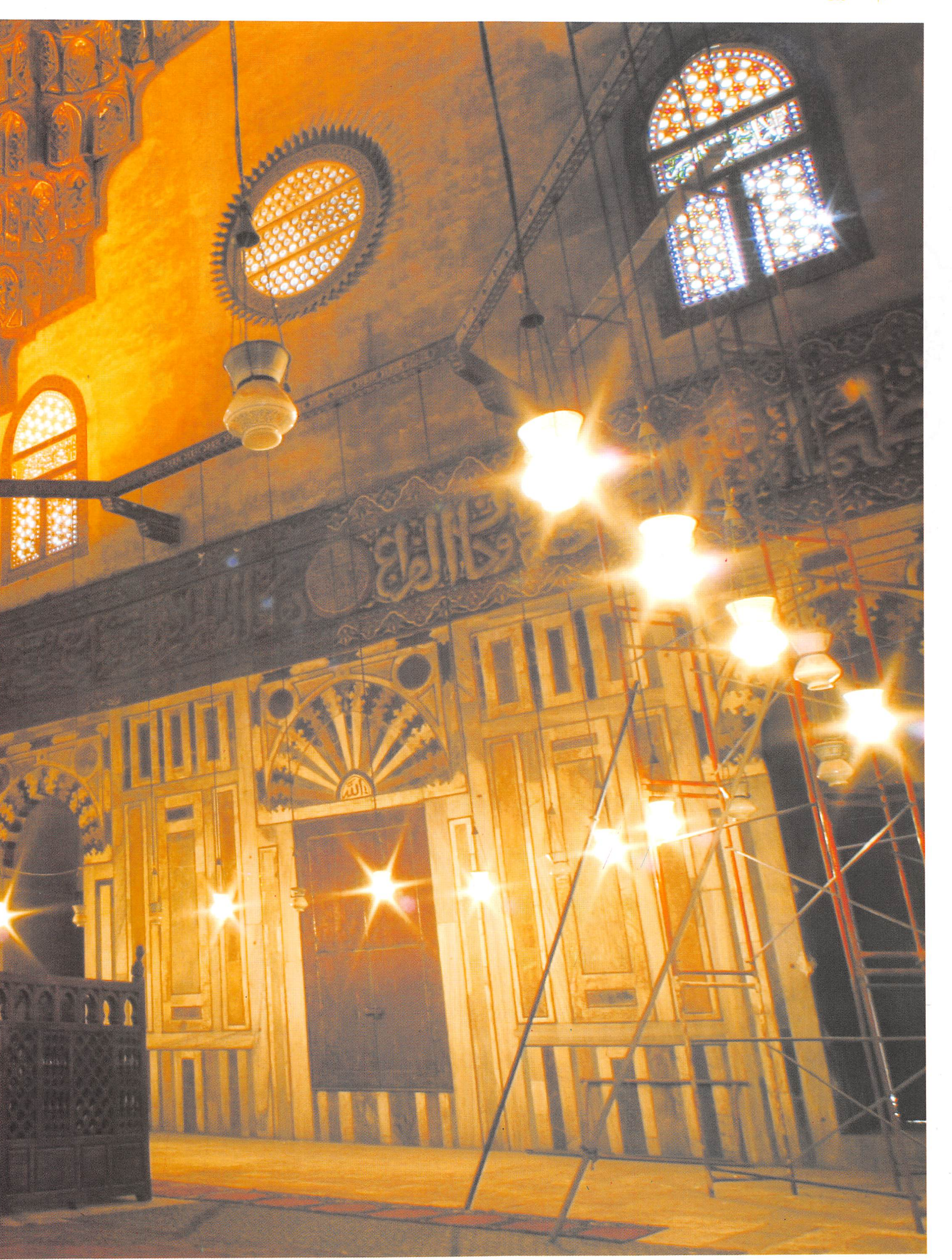


الجامع الأزهر - القاهرة



مدرسة السلطان الناصر حسن، إيوان القبلة – القاهرة





مدرسة السلطان الناصر حسن، الضريح – القاهرة

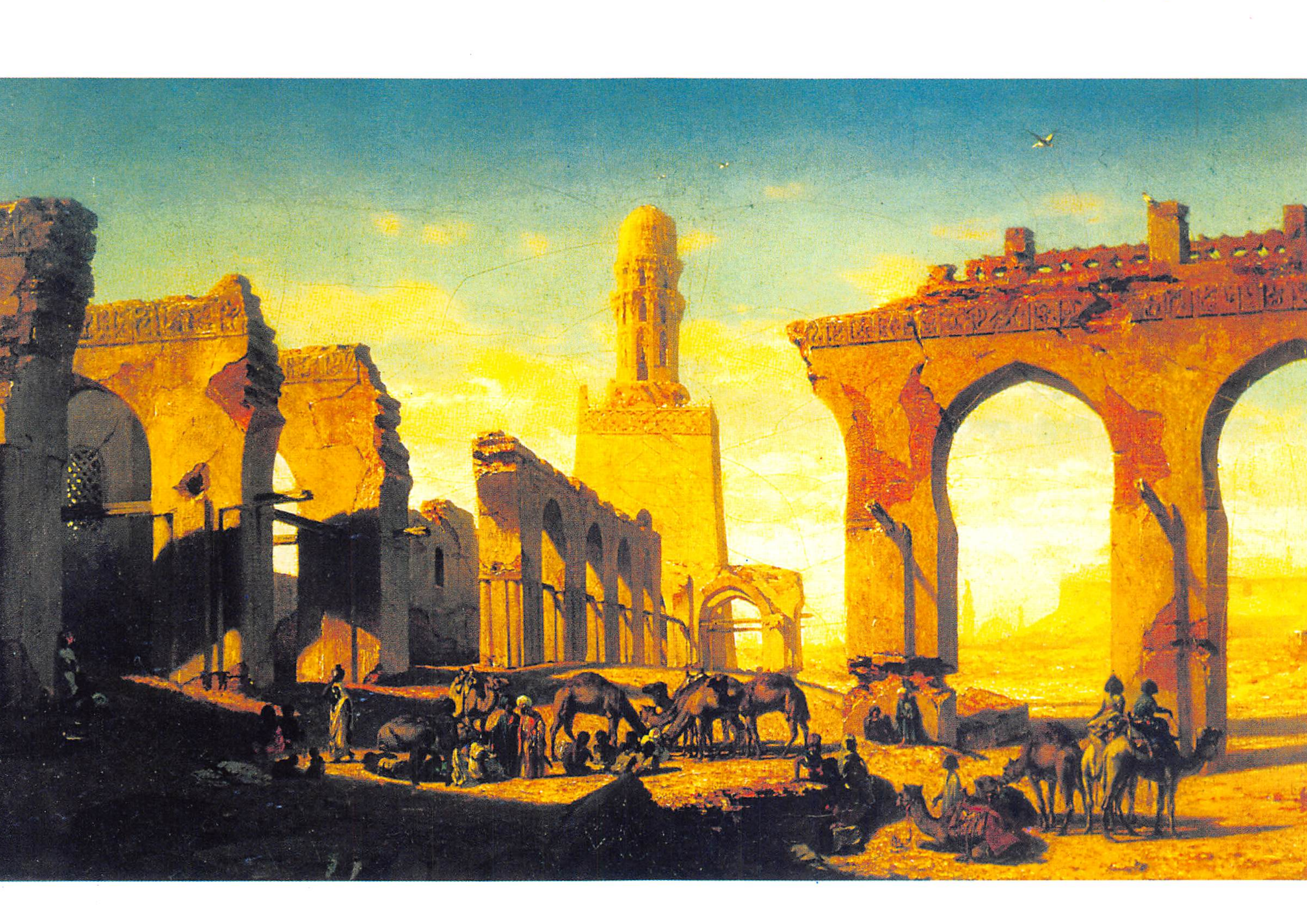


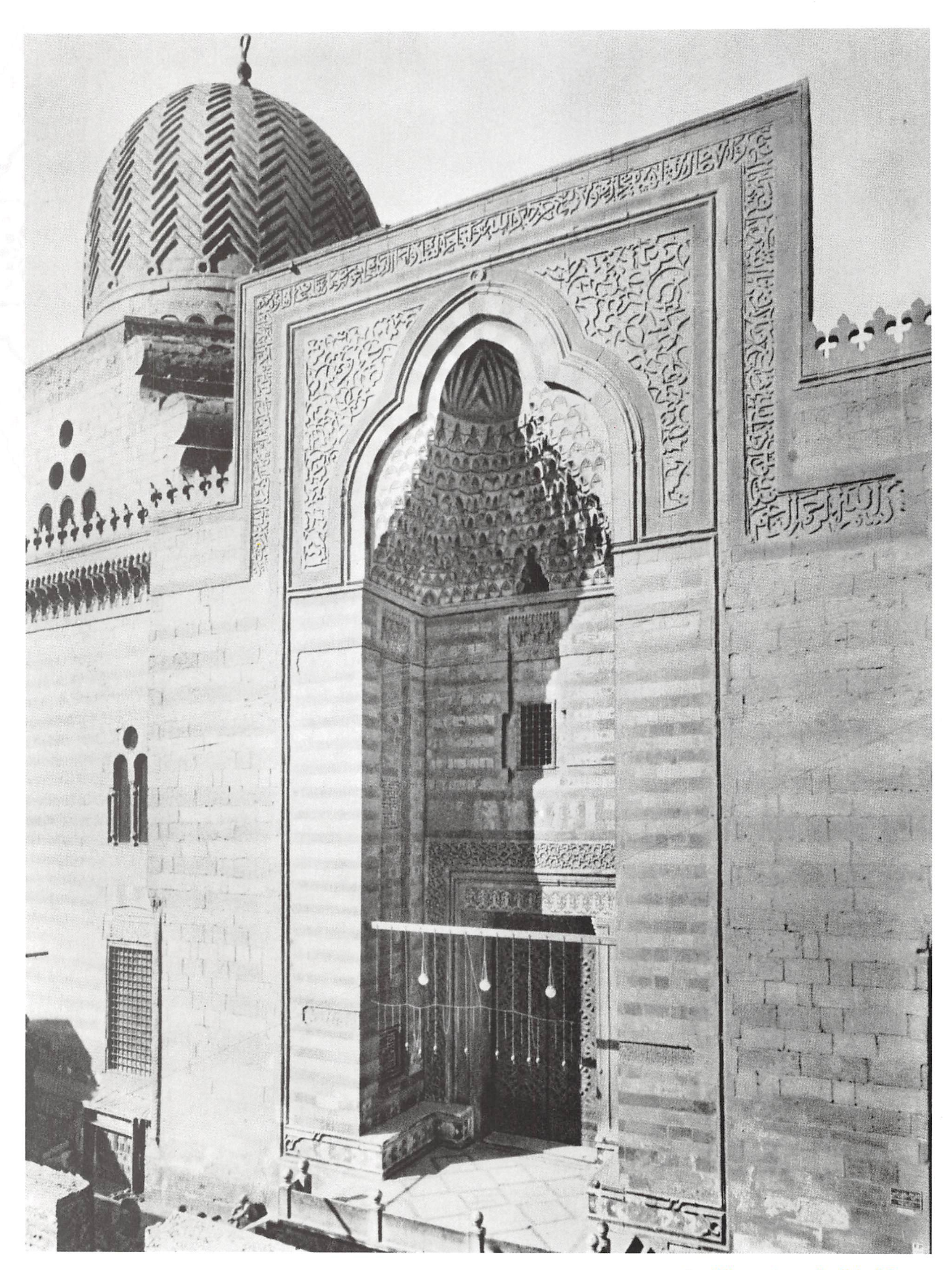
من مؤلفاته: الدرر المضيئة، والسلوك لمعرفة دول الملوك، وعقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط، واتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، وإغاثة الأمة بكشف الغمة، والذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، وشذور العقود في ذكر النقود، وإمتاع الأسماع في ما للنبي من الحفدة والأتباع، والإلمام بمن في أرض الحبشة من ملوك الإسلام، وكتاب المقفى وهو خاص بسير الأمراء والكبراء الذين عاشوا في مصر، ودرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة.

إلا أن أعظم مؤلفاته كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار وهو كتاب جامع لتاريخ مصر القاهرة ومجتمعاتها وخططها القديمة وشوارعها وأسواقها وآثارها وجوامعها وقصورها ودروبها ومدارسها بل يمكن القول بأنه لم يترك شارعًا ولا حيًّا ولا صرحًا أثريًّا إلا تناوله بالحديث والشرح.

وقد توفي العلامة والمؤرخ تقي الدين المقريزي في مدينة القاهرة يوم الخميس 16 رمضان سنة 845هـ.

جامع الحاكم بأمر الله – القاهرة





مدرسة السلطان المؤيد شيخ – القاهرة

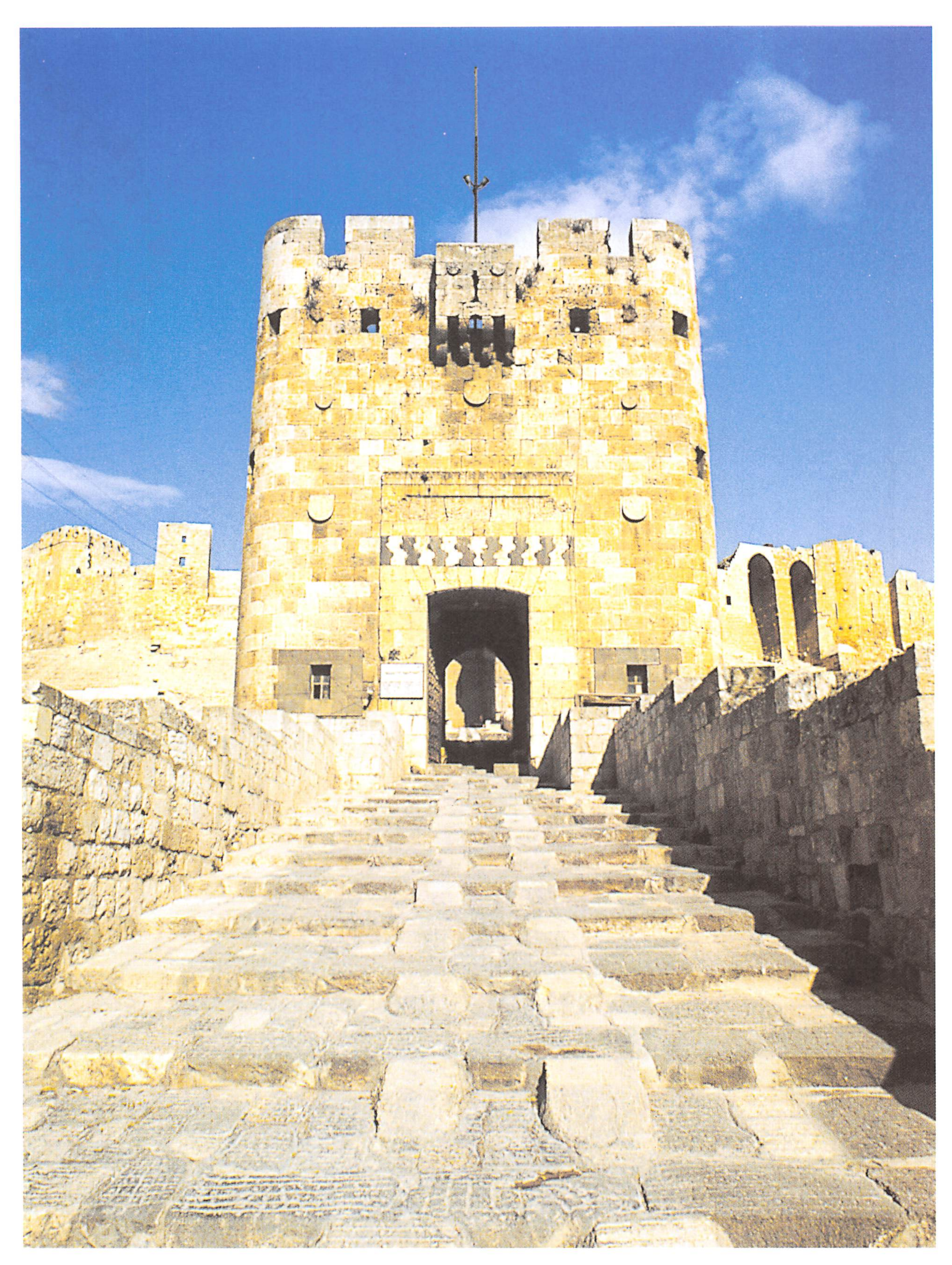
ابن الشحنة الحلبي

هو محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشهاب غازي بن أيوب بن حسام الدين محمود بن الختلو بن عبد الله، ولد في مدينة حلب في شهر رجب من سنة 804هـ. لأسرة عُرفت بمنزلة علمية ودينية في المجتمع الحلبي إذ كان والده أبو الوليد محمد قاضي قضاة حلب فتلقى منه العلم والمعرفة. سافر إلى مصر مع والده وكان عمره لم يناهز العشر سنوات، فتأدب على يد علماء العصر من الشيوخ والمؤدبين.

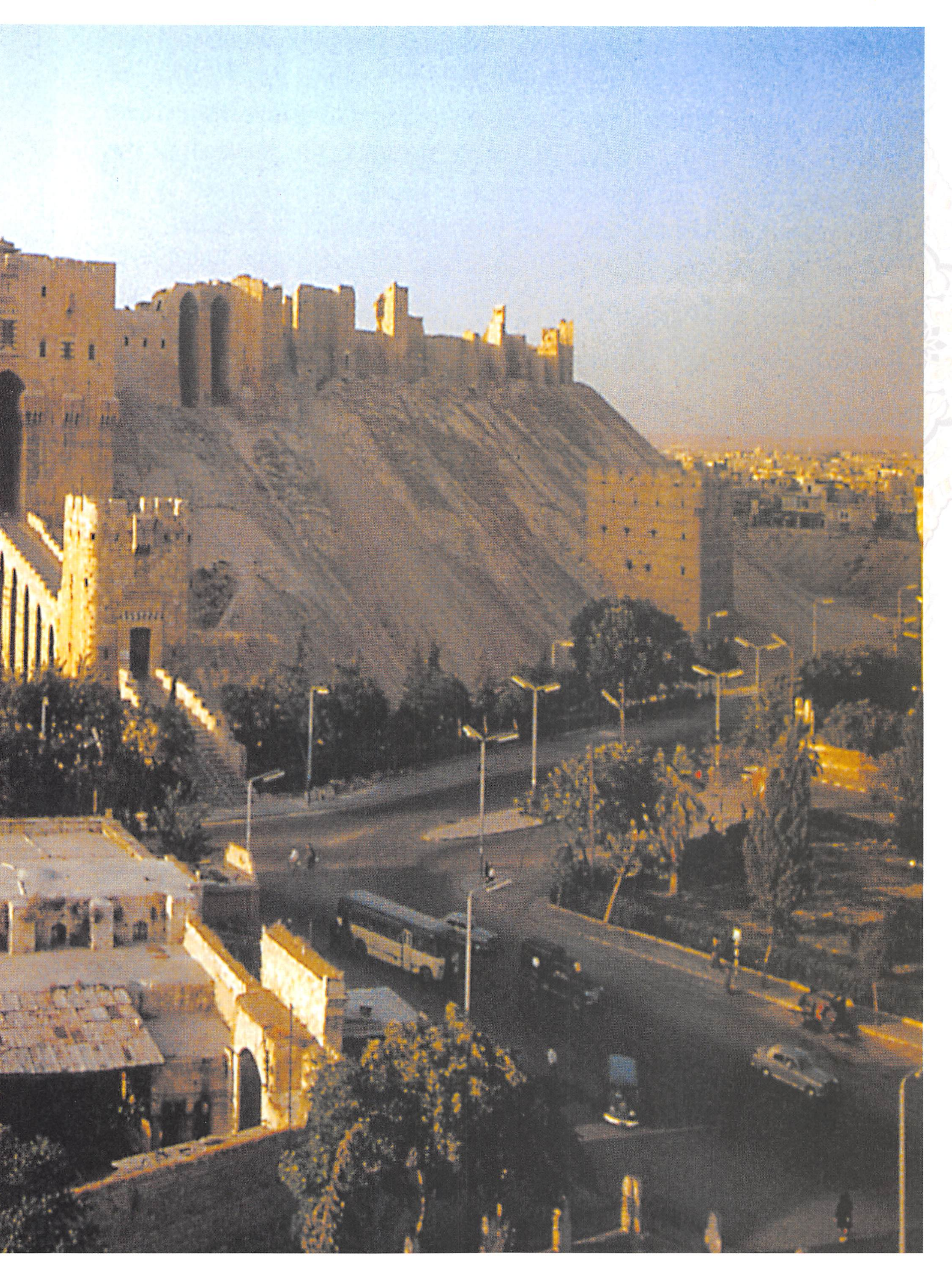
لقب بعدة ألقاب وكنى منها: محب الدين، وأبو الفضل، وشمس الدين، واشتهر بلقب ابن الشحنة نسبة إلى جده حسام الدين محمود، والشحنة بكسر الشين، اسم للمرابط من الجند.

الجامع الكبير - حلب

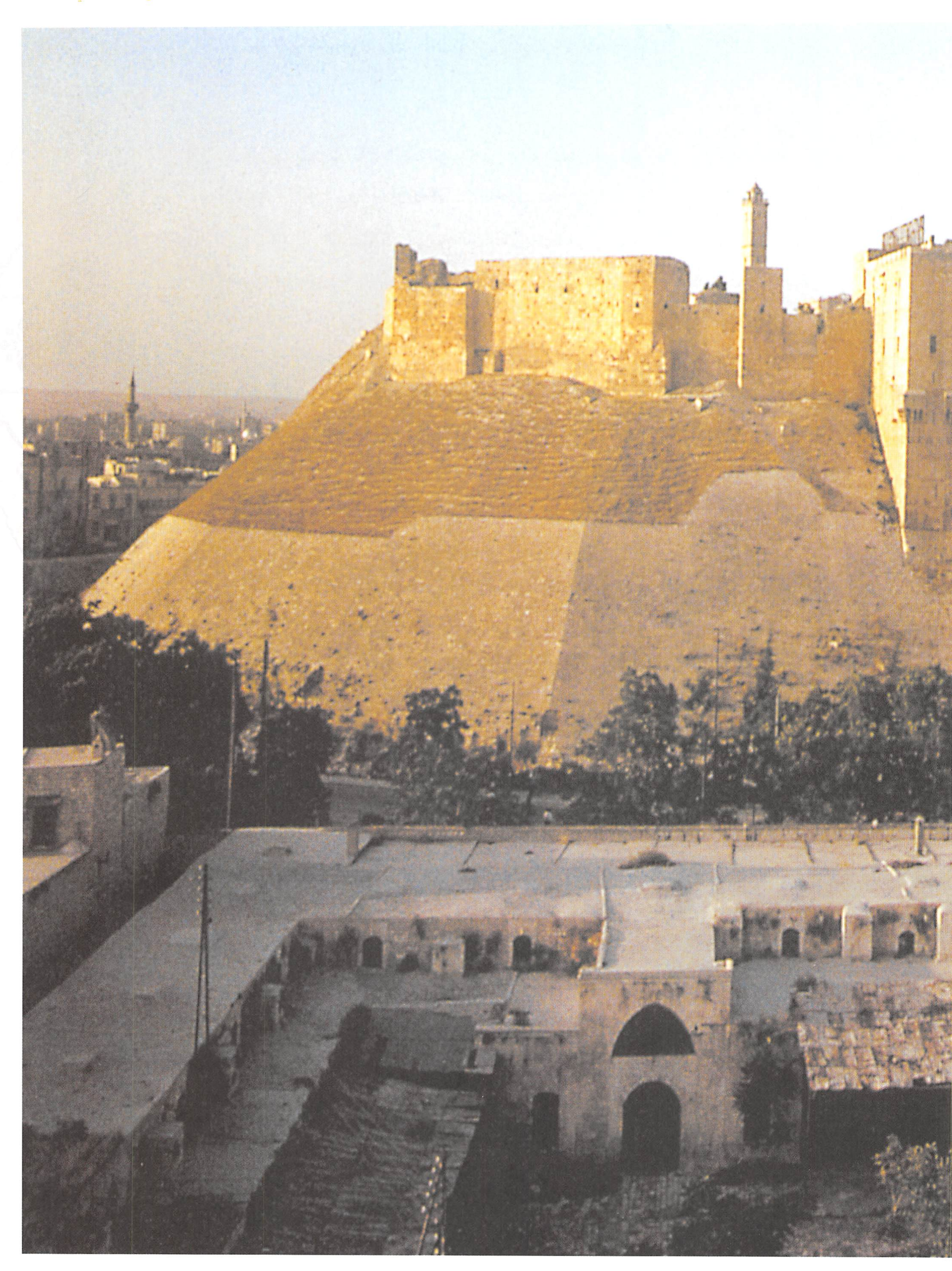




قلعة حلب - حلب



قلعة حلب - حلب



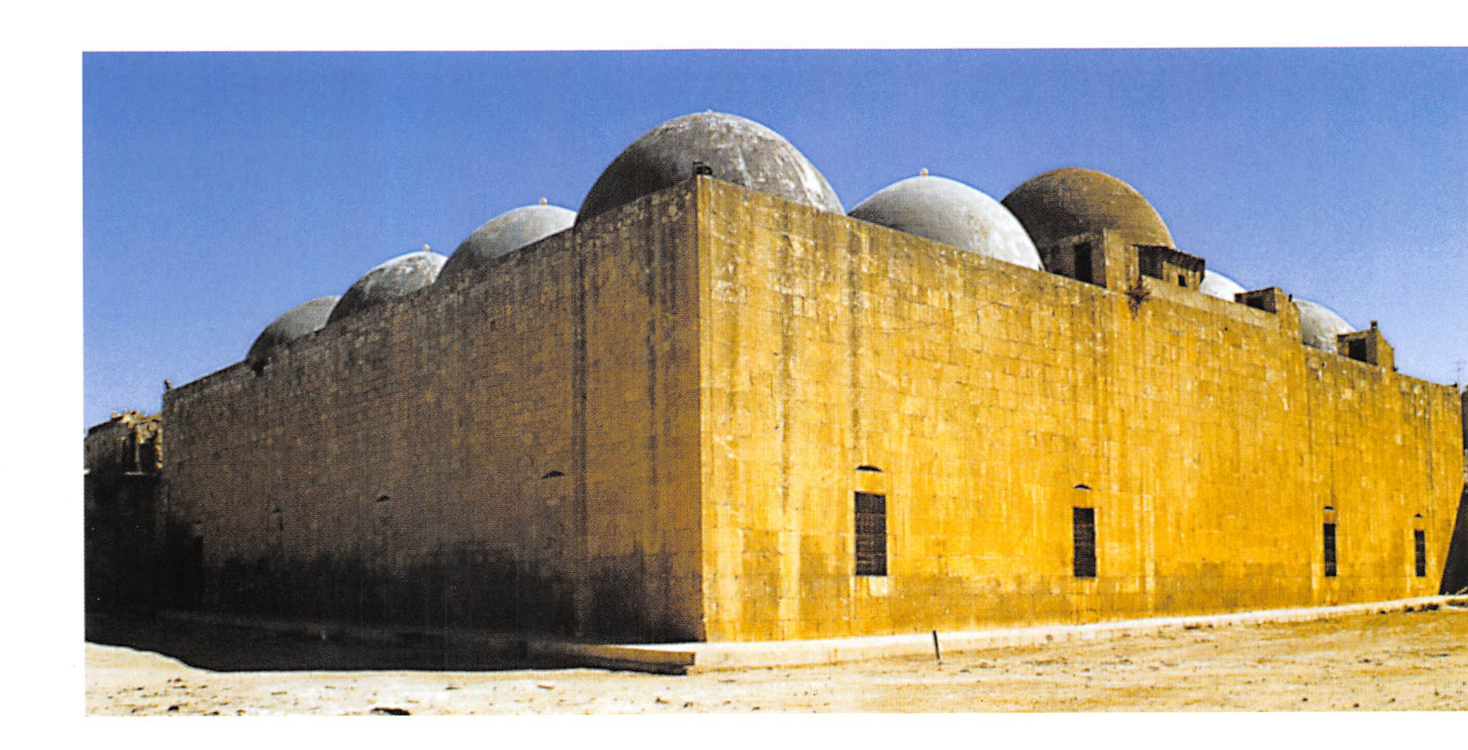
عرف عنه الثقافة العالية والجودة في المعرفة، قرأ في علم الكلام وأصول الحديث والفقه والنحو والإعراب والمنطق والبيان والتفسير والتأريخ.

شغل ابن الشحنة العديد من الوظائف، حيث تولى مهنة التدريس في عدد من مدارس حلب وأول مدرسة كان قد تولى التدريس فيها هي المدرسة الأشقتمرية التي أسسها أشق تمر داخل باب النيرب بحلب، انتقل بعدها للتدريس في المدرسة الجرديكية التي أسسها الأمير عز الدين جرديك النوري، كما تولى التدريس في المدرسة الحلوية، درس بعدها في عدة مدارس منها المدرسة الشاذبختية، وغيرها. تولى قضاء حلب على المذهب الحنفي، كما تولى قضاء العسكر في حلب. أسندت له عدد من الوظائف كان من أبرزها وظيفة الناظر، إضافة إلى تولي النظر في جيش حلب وقلعتها، لم يقف الأمر عند ذلك بل أوكلت به مهمة الإشراف على الجامع النوري.

له العديد من المؤلفات، منها: نهاية النهاية في شرح الهداية، والمنجد المغيث في علم الحديث، والجمع بين العمدة، والمناقب النعمانية، وألفية في عشرة علوم، وتنوير المنار، وشرح مائة الفرائض من ألفية أبيه، وطبقات الحنفية، ونزهة النواظر في روض المناظر، وتاريخ حلب وهو فصل من كتاب نزهة النواظر في روض المناظر، واقتطاف الأزاهر في الذيل على روض المناظر.

وقد توفي ابن الشحنة في مدينة القاهرة يوم الأربعاء 16 محرم سنة 890هـ، ودفن في نواحي تربة الظاهر برقوق في القاهرة عن عمر يناهز خمسة وثمانين عامًا.

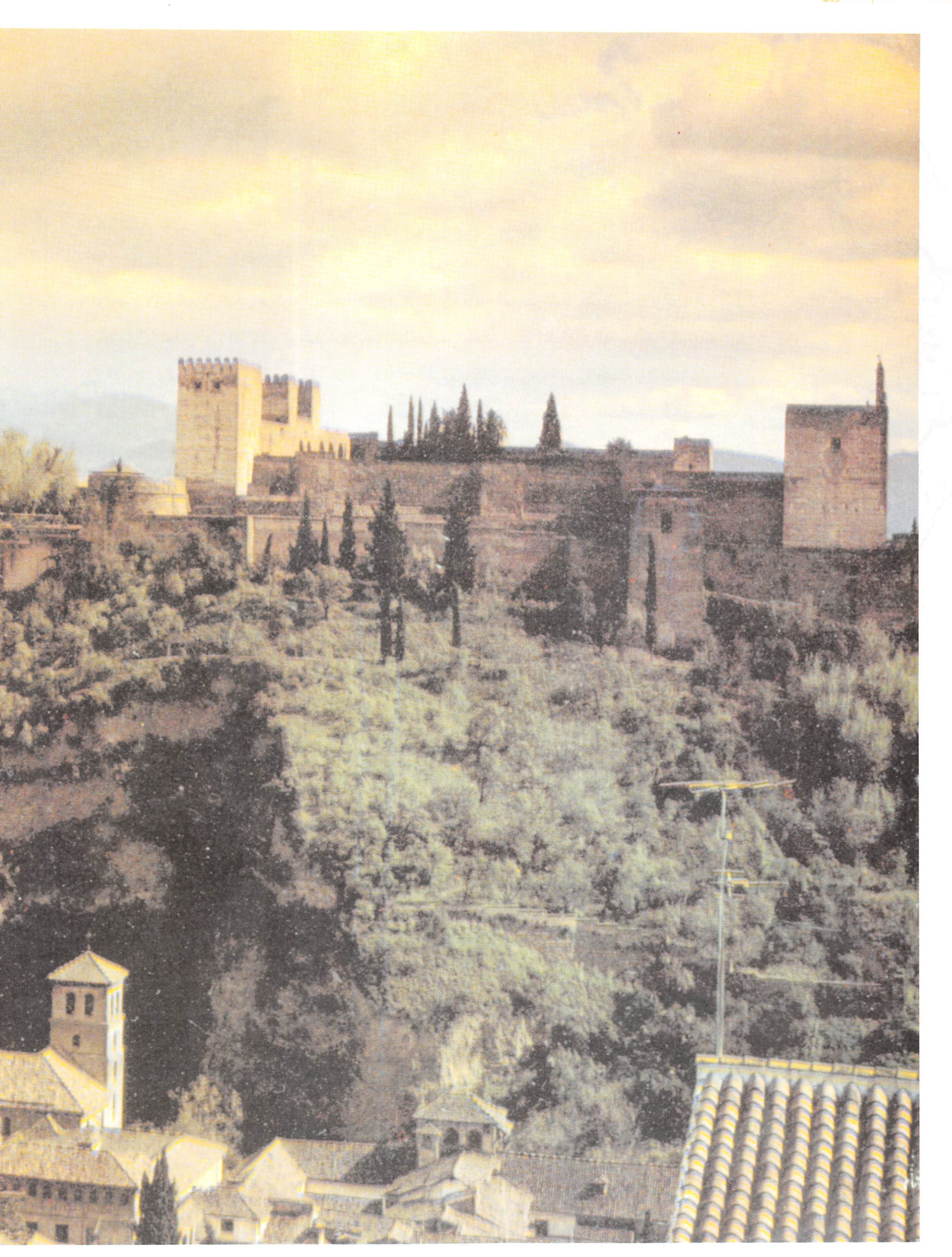
مدرسة الفردوسي – حلب



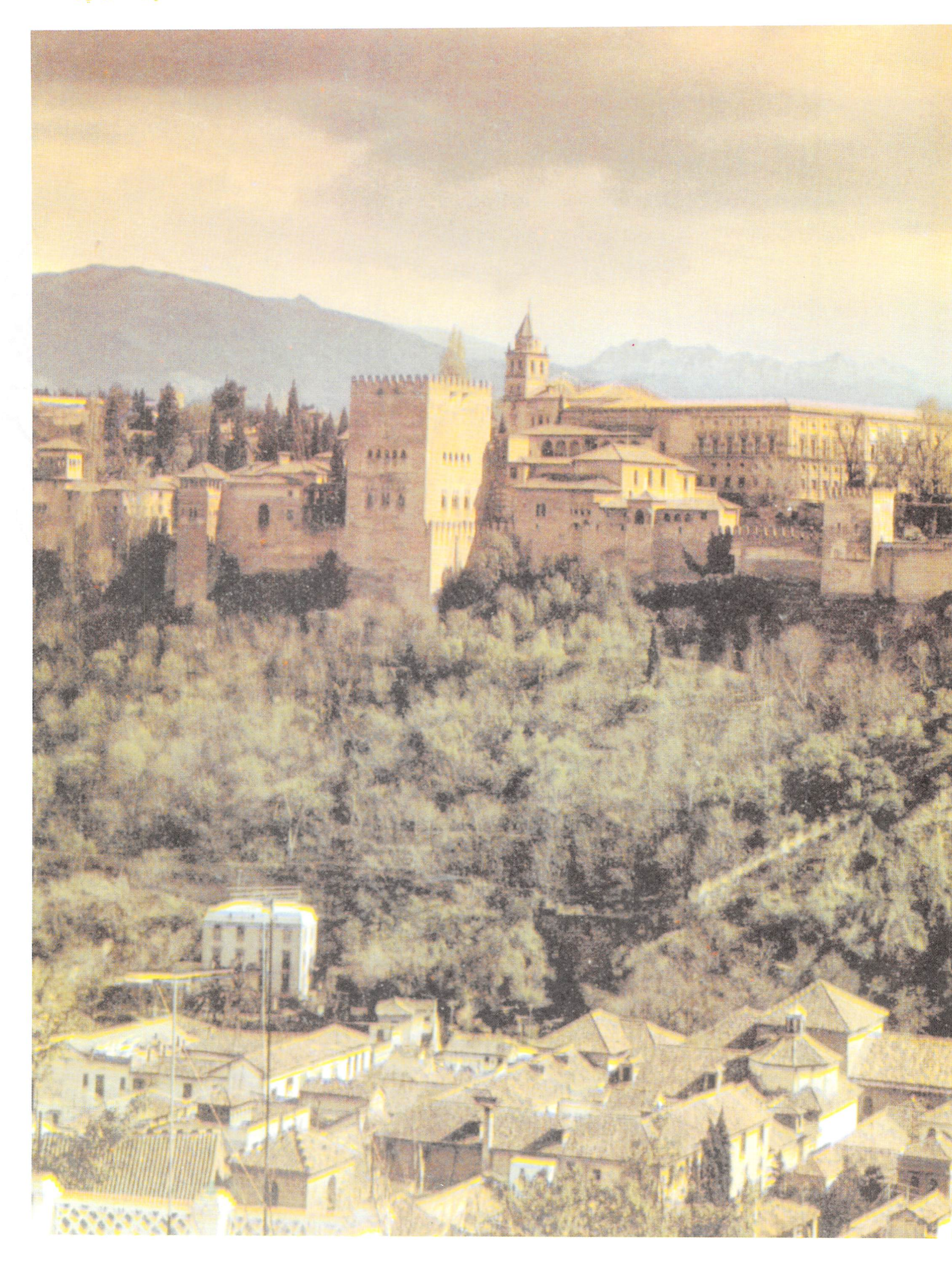
ابن الخطيب

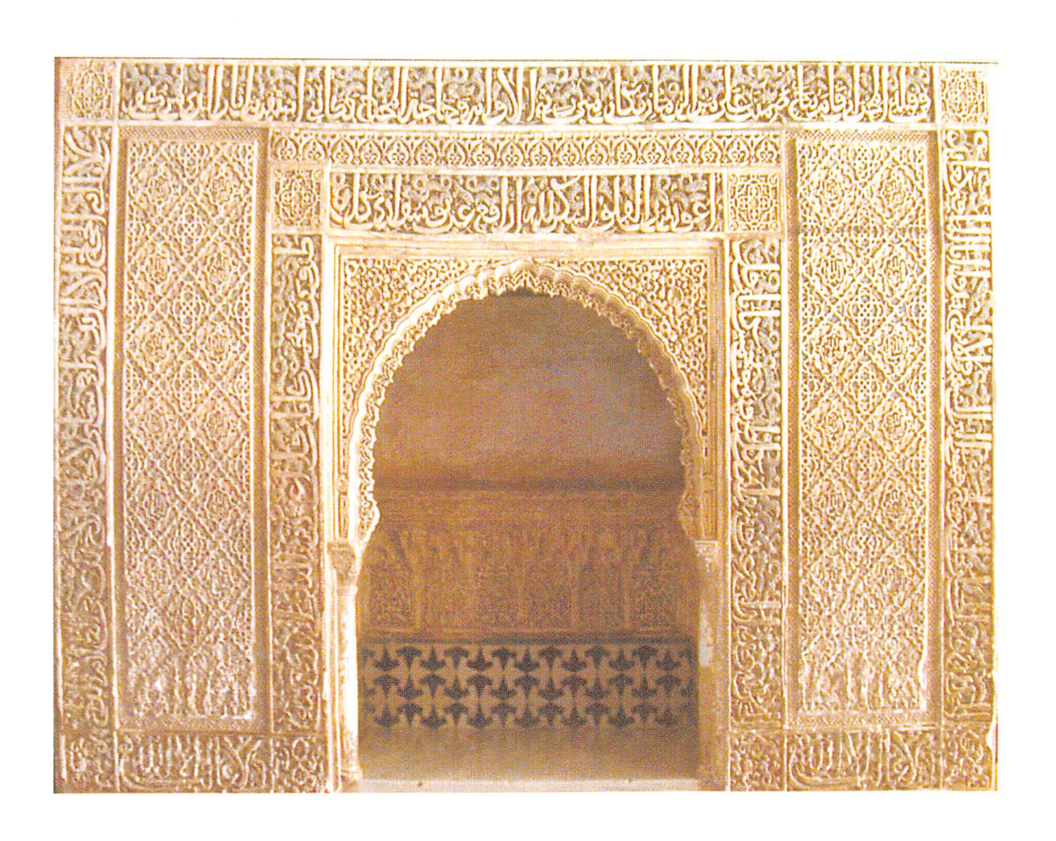
هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب، انتقلت أسرته من قرطبة إلى طليطلة بعد وقعة الربض أيام الحكم الأول، ثم رجعت إلى مدينة لوشة واستقرت بها. وبعد ولادة لسان الدين في رجب سنة 713هـ انتقلت العائلة إلى غرناطة حيث دخل والده في خدمة السلطان أبي الحجاج يوسف، في غرناطة درس لسان الدين الطب والفلسفة والشريعة والأدب. ولما قتل والده سنة 741هـ في معركة طريف كان مترجمًا في الثامنة والعشرين، فحل مكان أبيه في أمانة السر للوزير أبي الحسن بن الجياب. وبعد وفاته بالطاعون الجارف تولى لسان الدين منصب الوزارة. ولما قتل أبو الحجاج يوسف سنة 755هـ وانتقل الملك إلى ولده الغني بالله محمد استمر الحاجب رضوان في رئاسة الوزارة وبقي ابن الخطيب وزيرًا. ثم وقعت الفتنة في رمضان سنة 760هـ، فقتل الحاجب رضوان وعزل الغني بالله الذي انتقل إلى بلاط بني مرين في فاس، وتبعه ابن الخطيب وبعد عامين استعاد الغني بالله الملك وأعاد ابن الخطيب إلى منصبه. ولكن الحساد، وفي طليعتهم ابن زمرك، أوقعوا بينه وبين محمد الغني بالله، حيث نفى إلى المغرب، وما لبث أن اتهم بالإلحاد والزندقة والطعن بالنبي (ﷺ)، بسبب بعض ما جاء في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف المعروف بكتاب المحبة فأجريت له محاكمة غيابية في غرناطة بحضور كبار العلماء والفقهاء. وتم حرق كتبه بمحضر من الفقهاء والعلماء والمدرسين. وما زال الخصم يطارده ويطلبه حتى دس عليه الوزير سليمان بن داود بعض أتباعه فدخلوا عليه في سجنه في فاس وقتلوه خنقا في أوائل سنة 776هـ.

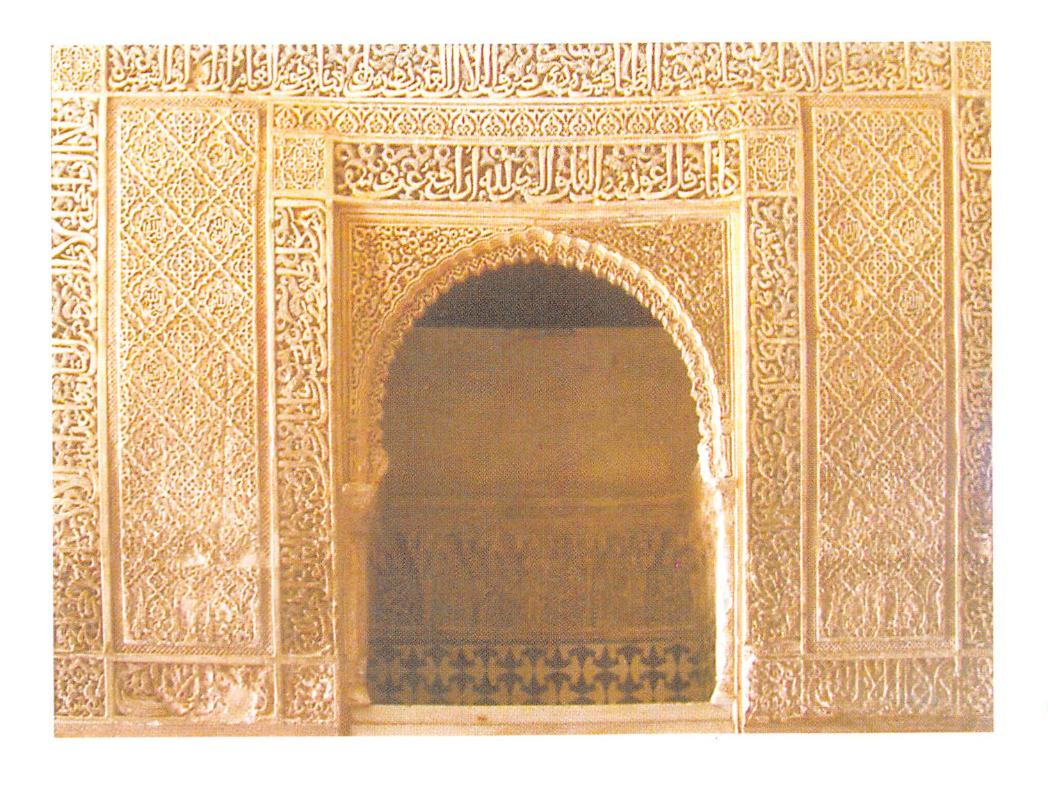
ترك ابن الخطيب آثارًا متعددة تناول فيها الأدب، والتاريخ، والجغرافيا، والرحلات، والشريعة، والأخلاق، والسياسة، والطب، والبيزرة، والموسيقى، والنبات. من مؤلفاته المعروفة: الإحاطة في أخبار غرناطة، واللمحة البدرية في الدولة النصرية، وتاريخ ملوك غرناطة، ورقة العصر في دولة بني نصر، ومعيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، والحلل المرقومة في اللمع المنظومة، وأعمال الأعلام. أما كتبه العلمية فأهمها: مقنعة السائل عن المرض الهائل وهو رسالة في الطاعون الجارف الذي نكبت به الأندلس سنة 749هـ، والوصول لحفظ الصحة في الفصول وهي رسالة في الوقاية من الأمراض بحسب الفصول، وعمل من طب لمن حب في الطب ألفه لسلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن المريني، وعلى اسمه صنف المؤرخ أحمد بن محمد المقري كتابه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.



قصور الحمراء – غرناطة







قصور الحمراء

نقوش قاعة السفراء - غرناطة

ابن زمرك

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي، المعروف بابن زمرك من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس، ولد بروض البيازين بغرناطة في سنة 733هـ، أولع منذ نشأته بالقراءة والبحث، واشتغل بطلب العلم وملازمة حلقات الدرس، تتلمذ علي يد الوزير لسان الدين بن الخطيب، الذي يرجع إليه الفضل في إلحاق ابن زمرك بالبلاط السلطاني بعد أن تكشفت له مواهبه في نظم الشعر والكتابة.

ترقى ابن زمرك في الأعمال الكتابية إلى أن عينه السلطان محمد الغني بالله سلطان غرناطة كاتمًا لسره سنة 773هـ، ثم المتصرف برسالته وحجابته.

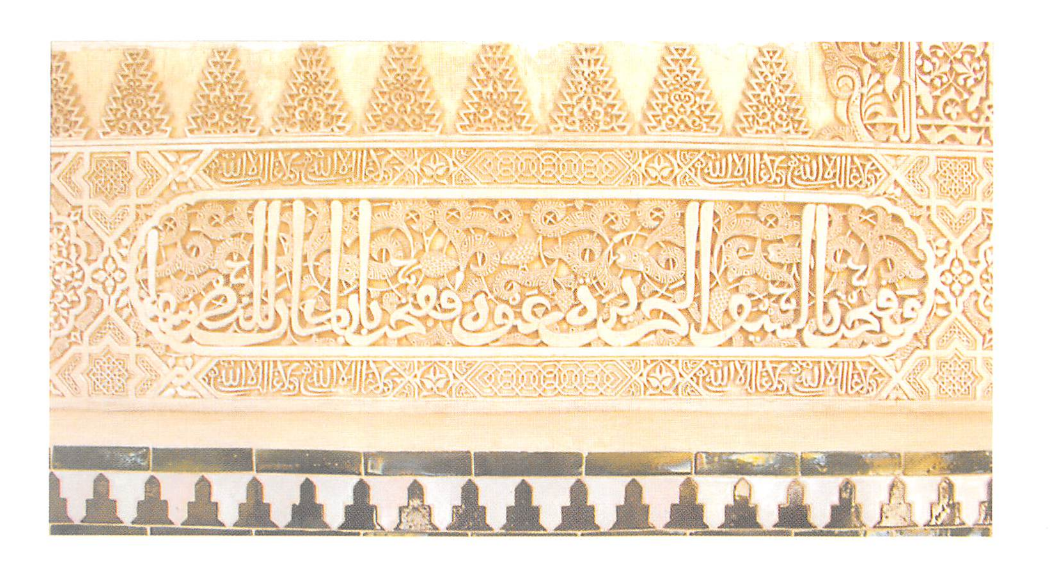
قصور الحمراء
نقوش بهو الريحان – غرناطة

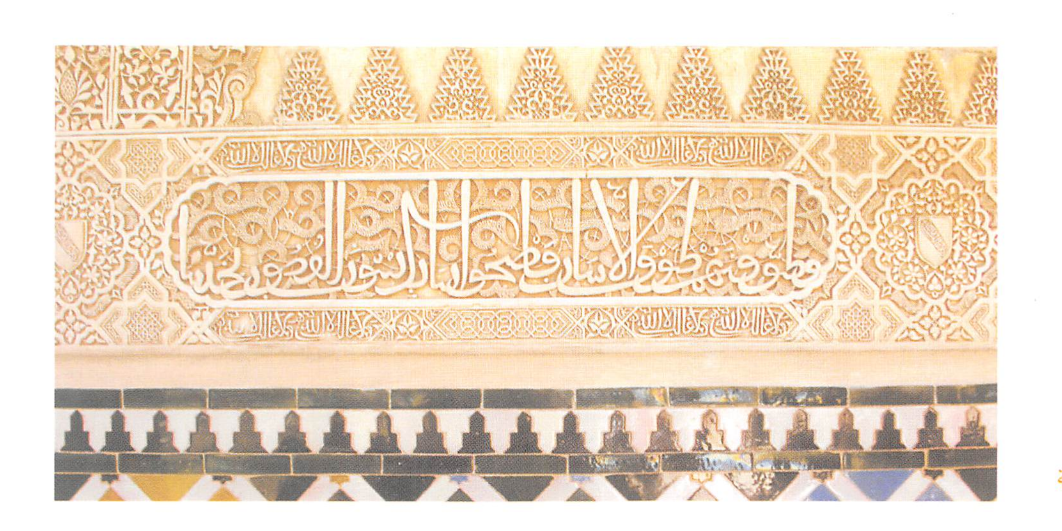


نكب مدة، وأعيد إلى مكانته، فأساء إلى بعض رجال الدولة، فختمت حياته سنة 795 هـ بأن حرض عليه السلطان محمد الغني بالله من قتله في داره وهو رافع يديه بالمصحف، وكان قد سعى في أستاذه لسان الدين بن الخطيب حتى قتل خنقًا فلقي جزاء أستاذه.

وقد جمع السلطان أبو الحجاج يوسف الثالث شعر ابن زمرك وموشحاته في مجلد ضخم سماه البقية والمدرك من كلام ابن زمرك رآه المؤرخ المقري في المغرب ونقل كثيرًا منه في نفح الطيب وأزهار الرياض.

تزين أشعاره جدران قصور الحمراء في مجموعة المنشآت التي شيدت في عهد السلطان محمد الغني بالله، في واجهة قصر قمارش وبهو الريحان ونافورة بهو الأسود وقاعة الأختين وقاعة بني سراج.





قصور الحمراء

نقوش بهو الريحان – غرناطة





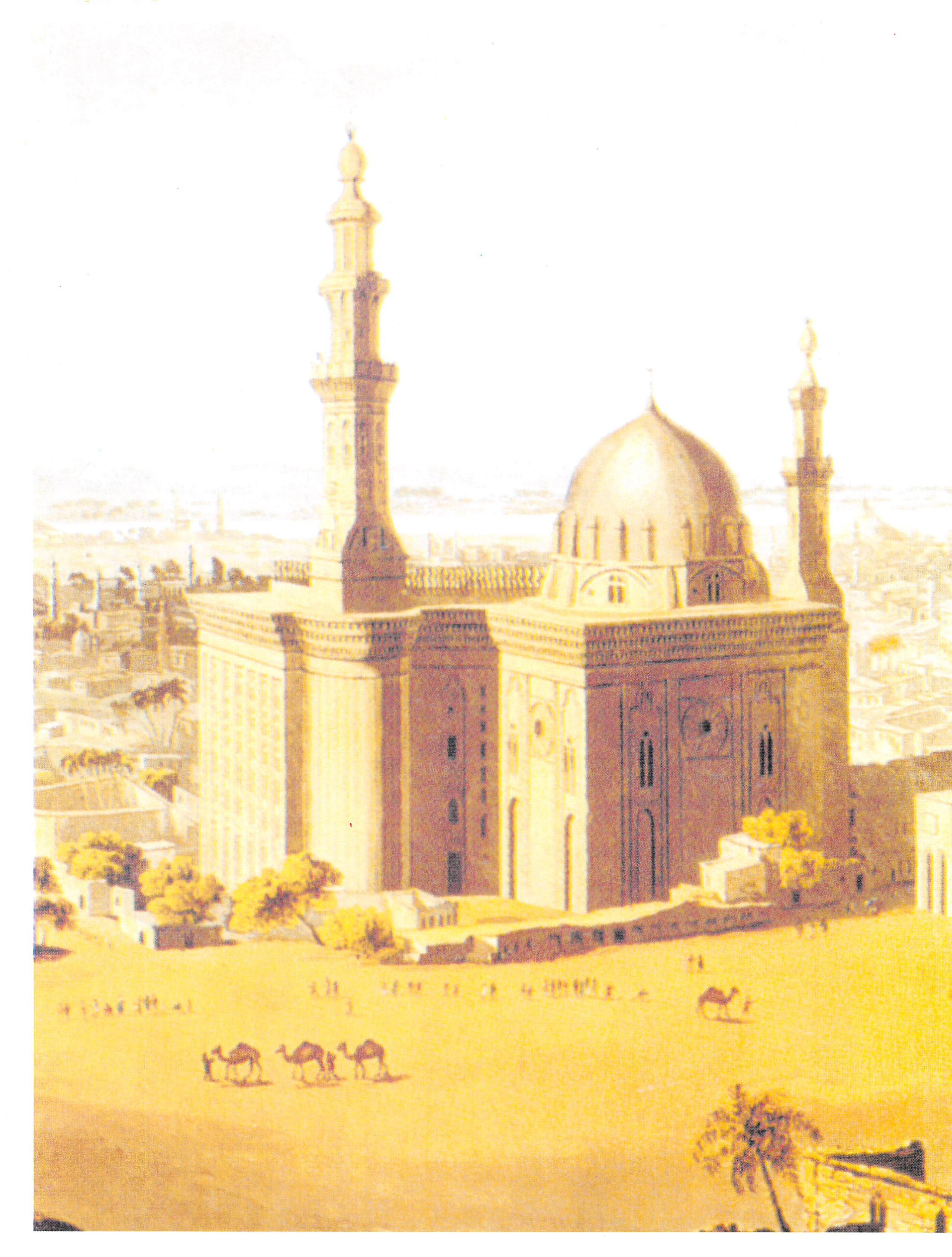
قصور الحمراء
نقوش قاعة الأختين - غرناطة

برقوق

هو الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن أنص بن عبد الله الشركسي، سمي برقوق لنتوء في عينيه، أول من ملك مصر من الشراكسة، حكم مصر ما بين عامي 784-801هـ، كان من جملة مماليك الأمير يلبغا، وواحد من المماليك الذين طردهم السلطان الأشرف شعبان إلى خارج مصر، سجن في الكرك لعدة سنوات. ثم أطلق سراحه، فدخل في خدم الأمير منجك، نائب السلطنة في دمشق. عاد برقوق إلى القاهرة بعد أن عفى عنه السلطان الأشرف شعبان، فدخل في خدمته، حتى وصل إلى رتبة أمير طبلخانة (أو فرقة الموسيقى العسكرية). تولى في عام 779هـ تصريف شئون الدولة، كما ولي "أتابكية" العساكر، ثم انتزع السلطنة من الملك الصالح حاجي آخر سلاطين بني قلاوون، ثم خلع منها سنة 791هـ. فخرج إلى الكرك فامتلكها وزحف على دمشق فدخلها، عاد إلى مصر سلطانا سنة 792هـ، واستمر بها إلى أن مات.



الميدان أسفل القلعة – القاهرة

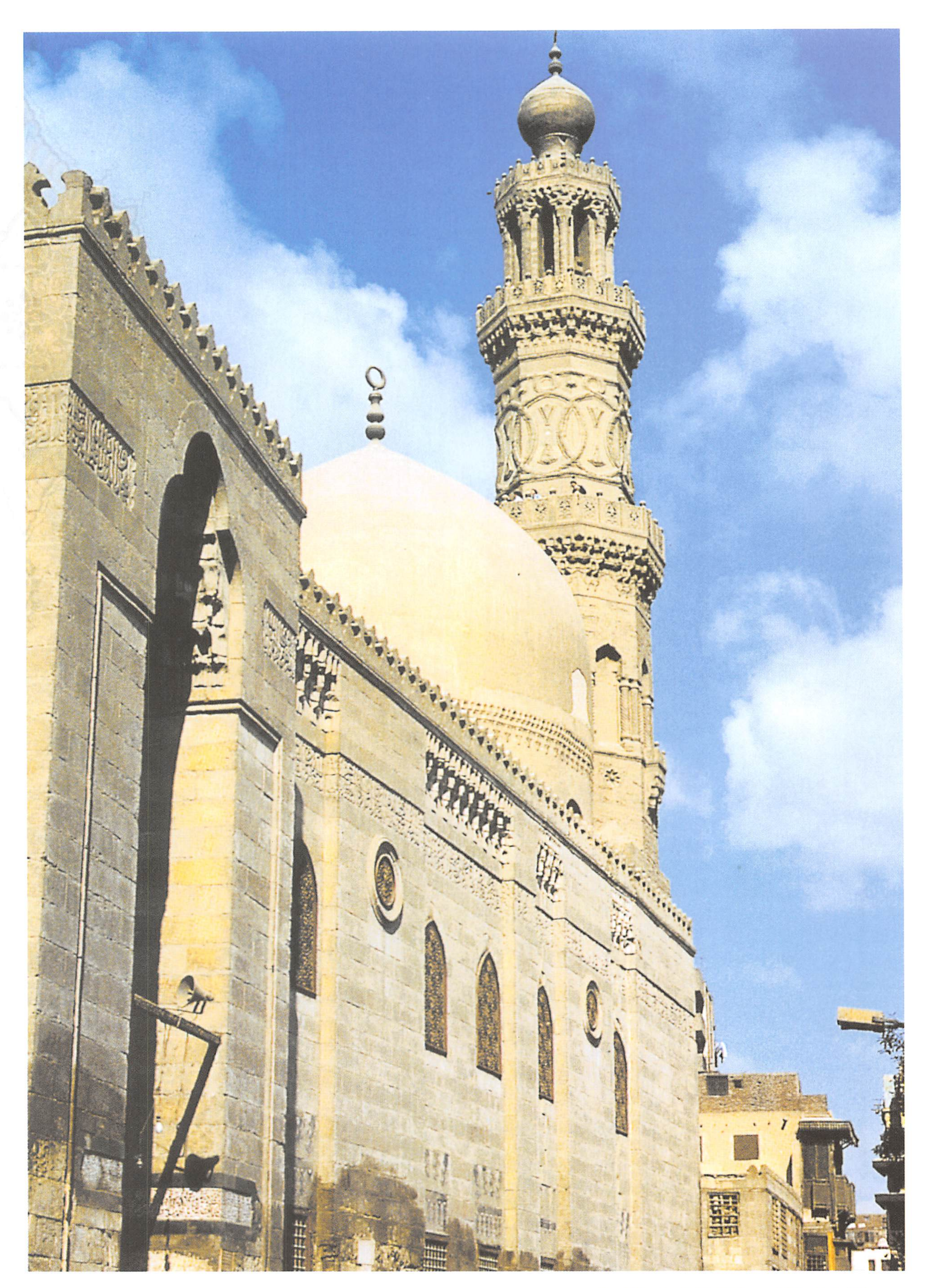


وامتد سلطانه إلى آفاق بعيدة جداً، فكان الدعاء باسمه في صلاة الجمعة يتردد ما بين ماردين والموصل. كان فارسًا شجاعًا ومحبًّا للفروسية، شهدت البلاد في عهده رخاءً كبيرًا وانتعاشًا اقتصاديًّا هائلًا، حيث شجع التجارة الخارجية، خاصة مع الشرق الذي انخفضت أسعار بضائعه. كما شهد عهده أيضا انتعاشًا ثقافيًّا وفنيًّا.

من إصلاحاته إبطاله الكثير من المكوس، وإقامة جسر على النيل بين جزيرة أروى (الزمالك) وجزيرة الروضة من طرفها البحري، أقامه الأمير جهركس الخليلي، وأنشأ جسرًا على ضفة نهر الأردن بالغور، وأصلح خزائن السلاح بثغر الإسكندرية وسور مدينة دمنهور، أنشأ قناة العروب بالقدس، جدد القناة التي تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل وأصلح الميدان تحت القلعة وزرعها، اهتم بالعلم إذ افتتح مدرسته التي بناها بين القصرين أثناء سلطنته الأولى، واستقدم لها عددًا من العلماء، ووقف على ذلك الأوقاف الجليلة من الأراضي والدور.

مدرسة السلطان الظاهر برقوق، الصحن - القاهرة





مدرسة السلطان الظاهر برقوق، الواجهة – القاهرة

فرج بن برقوق

هو الملك الناصر زين الدين فرج بن برقوق، ثاني سلاطين الجراكسة، كانت أمه من الأتراك وتدعى خوند شيرين. ولد قبيل عزل والده وسجنه في الكرك، لهذا اعتبر مصدر نحس فسماه أبوه بلفاك. لكن السلطان برقوق أعيد للحكم فيما بعد، فسماه فرج. اعتلى تخت



١٨٠١٩

وكذلك لعب الطرادة لابد منه والله الموفق

باب كسر العامود والخلاص منه

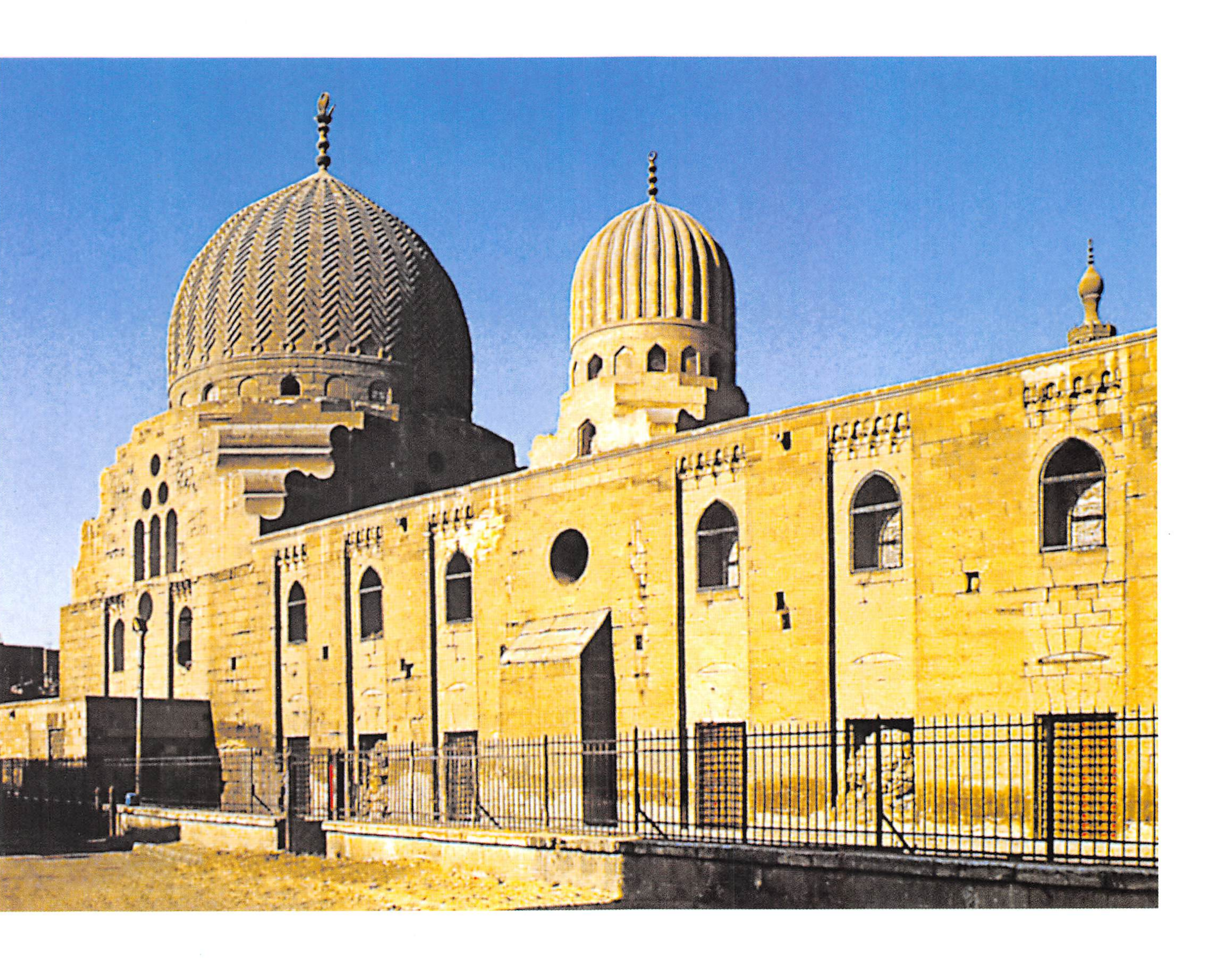
ينبغي لمن أراد أن يكسر العامود وأن يسمي من
الفرسان أن يتخذ رمحا من مقدار يكون طوله باعين
ويشمعه حتى لا يسلخ يده ويتخذ له نصلا حديدا يكون
زنته رطلين ويكون رأسه على صفة رأس نصاب
المراه وينصبه فيه ثم يعمد إلى فرس غليظ القوا
قوي ثابت الرقبة ويقطع من الجبل عامودا على قدر
قوته ويحفر له في الأرض مقدار ذراع ويعمل بالجبس

مخطوط مملوكية – القاهرة

السلطنة يوم وفاة والده عام 801هـ. ويجمع المؤرخون على وصفه بأنه كان حاكمًا متحجر القلب قاسيًا. كان ينزع إلى الاستيلاء على ممتلكات رعاياه من الأراضي، كما كان مولعًا بالشراب وغيره من الموبقات.

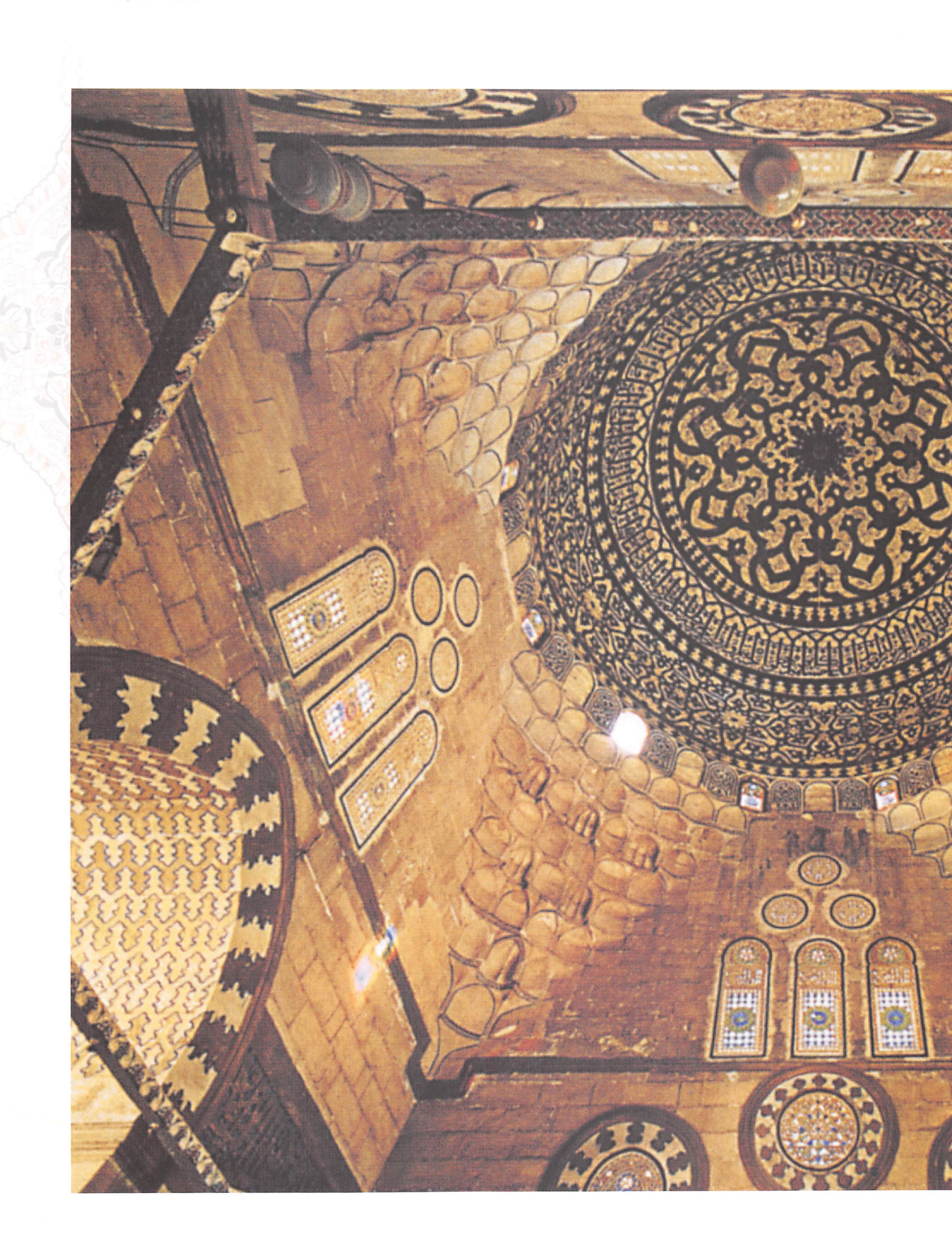
حكم السلطان فرج لمدة ستة أعوام وخمسة أشهر ويوم واحد لفترة أولى حتى سنة 808هـ. وعندما علم بأن مماليكه يتآمرون على خلعه، غادر القلعة واختفى في شوارع المدينة، فاستبدل أمراؤه به أخاه الأمير عبد العزيز -الذي سبق وأن عينه والده وليا للعهد- الذي حكم لمدة ستة أشهر. ثم عاد السلطان فرج إلى الحكم لفترة ثانية من سنة 808:815هـ. غير أنه سرعان ما لقي مصرعه في مدينة دمشق سنة 815هـ، وعمره أربعة وعشرون سنة.

خانقاة السلطان الناصر فرج بن برقوق - القاهرة





خانقاة السلطان الناصر فرج بن برقوق – القاهرة



تيمورلنك

هو قائد مغولي، أسس إمبراطورية مغولية مترامية الأطراف. ويعني اسمه لنك –الأعرج– نتيجة لإصابته بجرح خلال إحدى معاركه. أما كلمة تيمور فتعني بالتركية والمنغولية –الحديد– كان تيمورلنك قائدًا عسكريًا فذًا قام بحملات توسعية شرسة أدّت إلى مقتل العديد من المدنيين وإلى اغتنام مجتمعات بأكملها. ادعى تيمور لنك الإسلام، وأظهر كثيرًا من التقديس لآل النبي (ﷺ). واهتم بجمع العلماء الصناع المهرة من البلاد التي يغزوها إلى عاصمته سمرقند.

ولد تيمور لنك في إحدى قرى مدينة كش – شهر سبز الآن– جنوبي سمرقند في شعبان 736هـ. في رمضان عام 771هـ دخل تيمور لنك سمرقند، وأعلن نفسه حاكمًا عليها، وزعم أنه من نسل جغتاي بن جنكيز خان، وأنه يريد إعادة مجد دولة المغول، وكون مجلس شورى من كبار الأمراء والعلماء.

قام تيمور بتنظيم جيش ضخم معظمه من الأتراك، وبدأ يتطلع إلى بسط نفوذه، فغزا خوارزم وضمها إلى بلاده، وسيطر على صحراء القفجاق – تمتد بين سيحون وبحيرة خوارزم وبحر قزوين. كما سيطر على إقليم خراسان، وأفغانستان، ومازندران، وفتح أذربيجان، واستولى على إقليم فارس، وأصفهان.

في سنة 790هـ، توقف تيمور لنك عن التوسع لقمع بعض الثورات التي اضطرمت في دولته، ثم عاود فتوحاته، فاتجه إلى العراق فخرب واسط والبصرة وبغداد والكوفة، وخرب ديار بكر وبلاد أرمينية والكرج –جورجيا–، ثم أراد مهاجمة الشام سنة 798هـ، فسمع بأن السلطان الظاهر برقوق قد خرج بجيش كبير من مصر فرجع إلى بلاده، حيث زحف في نحو مائة ألف جندي واحتل موسكو لمدة عام واحد.

كان تيمورلنك قد بلغ الستين عامًا، لكن هذا لم يوهن من عزيمته في مواصلة الغزو. وعزم على غزو الهند، حيث نجح في احتلال – دلهي– عاصمة دولة "آل تغلق"، عاد بعدها إلى سمرقند، ليبني بها مسجدًا. بلغ تيمور خبر موت الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، فرأى تيمور أنه بموته ظفر بمملكته، فاستعد للخروج ومواصلة الغزو، وانطلق في حملة كبيرة سميت بحملة السنوات السبع 802 - 807هـ لمعاقبة المماليك، وتأديب السلطان العثماني بايزيد الأول يلدرم سلطان الدولة العثمانية، بدأ تيمورلنك غزواته باكتساح تفليس عاصمة الكرج (بالقوقاز)، ثم سار إلى "عينتاب" ففتحها، واتجه إلى حلب فاستباحها، اتجه بعدها تيمورلنك وجيشه إلى حماة والسلمية، ثم واصل زحفه إلى دمشق التي بذل أهلها جهودًا مستميتة في الدفاع عن مدينتهم، غير أنهم اضطروا إلى تسليم دمشق. بعد أن أقام

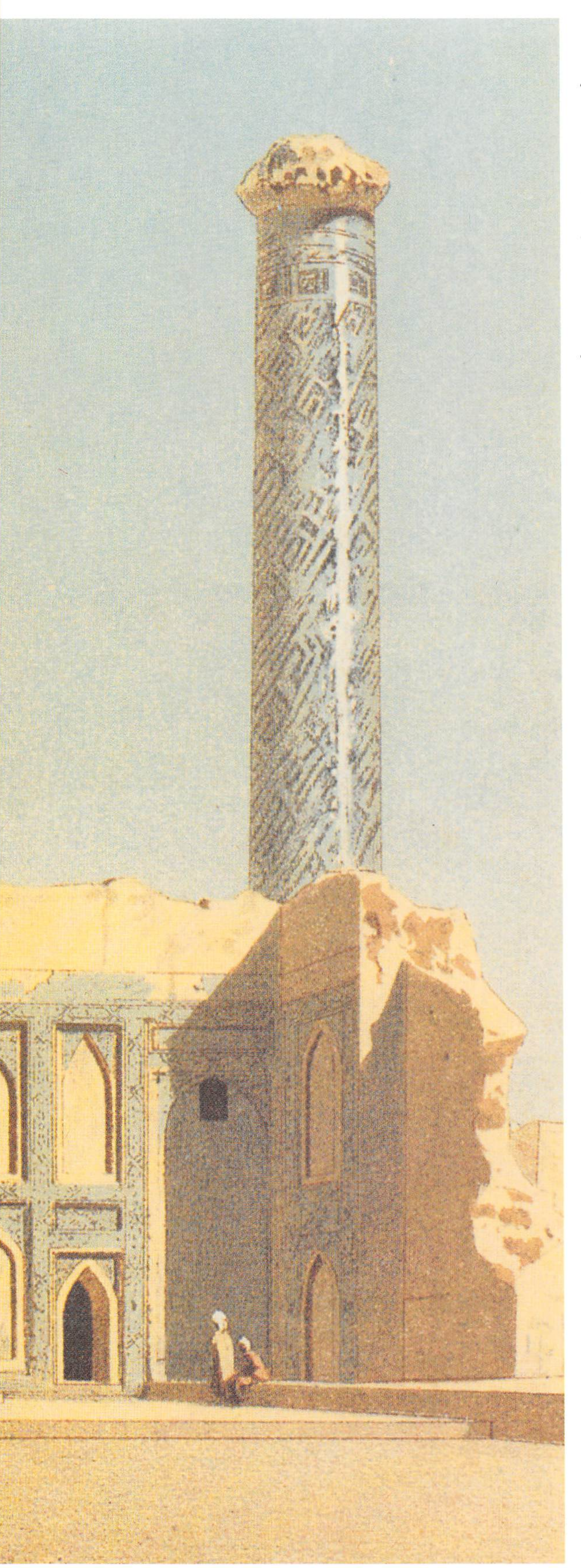

تمثال تيمور لنك – سمرقند


AMIR TEMUR

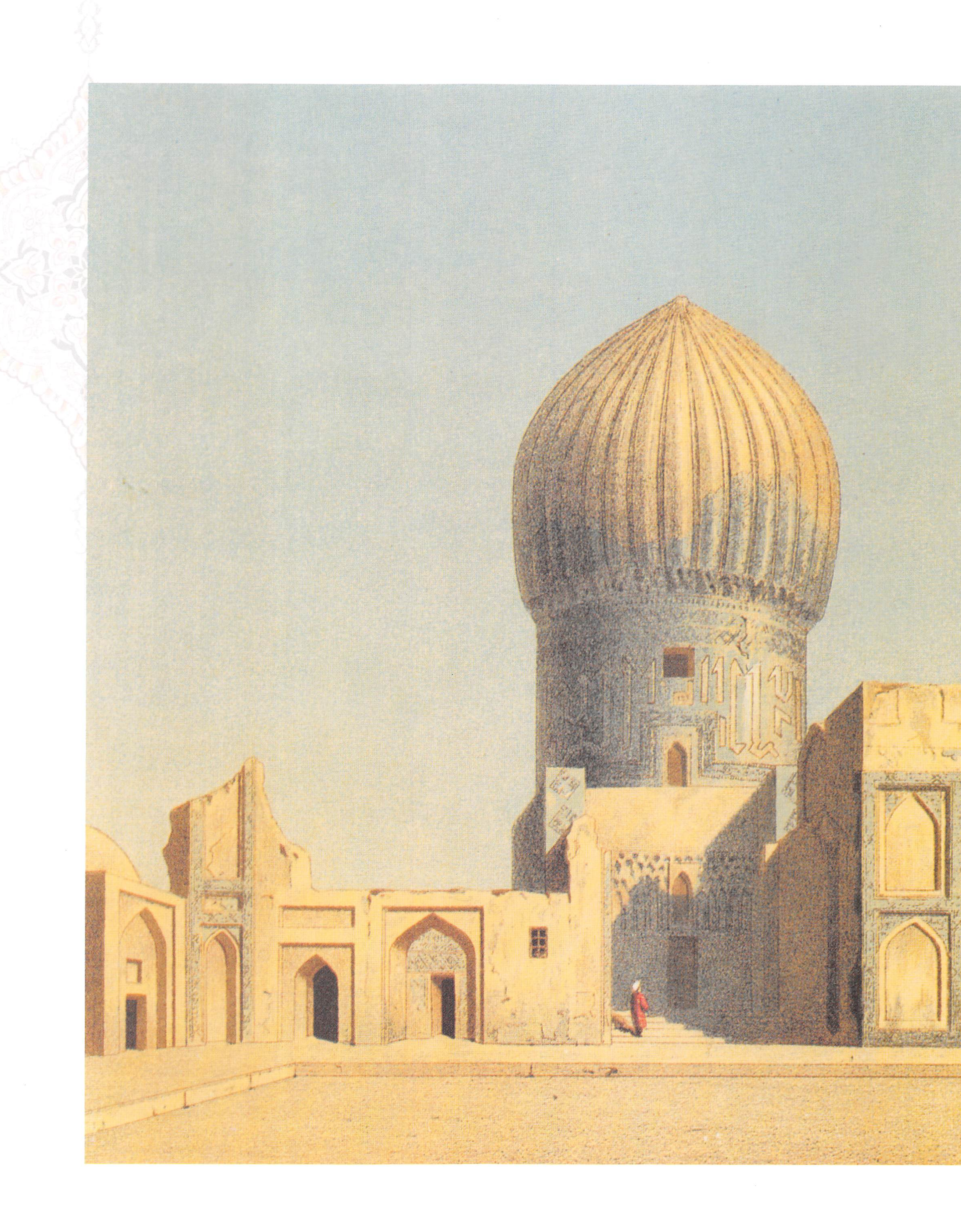
بها ثمانين يومًا، رحل عنها مصطحبًا أفضل علمائها وأمهر صناعها، واتجه إلى طرابلس وبعلبك فدمرهما. وعند مروره على حلب أحرقها مرة ثانية وهدم أبراجها وقلعتها. ثم دمر ماردين. ثم اتجه إلى بغداد فهاجمها ودمر أسوارها.

انطلق تيمور لنك في سنة 804هـ نحو آسيا الصغرى فاقتحم سيواس والأناضول، واصطدم بالدولة العثمانية الفتية في معركة أنقرة، حيث هزم السلطان بايزيد يلدرم – الصاعقة- هزيمة ساحقة، أسر على إثرها.

في خريف عام 807 هـ قرر تيمور لنك غزو الصين، وكان الجو شديد البرودة، فلم تتحمل صحته هذا الجو القارس، فأصيب بالحمى التي أودت بحياته في شعبان 807هـ، بعد أن دانت له البلاد من دلهي إلى دمشق، ومن بحيرة آرال إلى الخليج العربي، وبعد وفاته نقل جثمانه إلى سمرقند حيث دفن هناك في ضريحه المعروف بجور أمير، أي مقبرة الأمير.

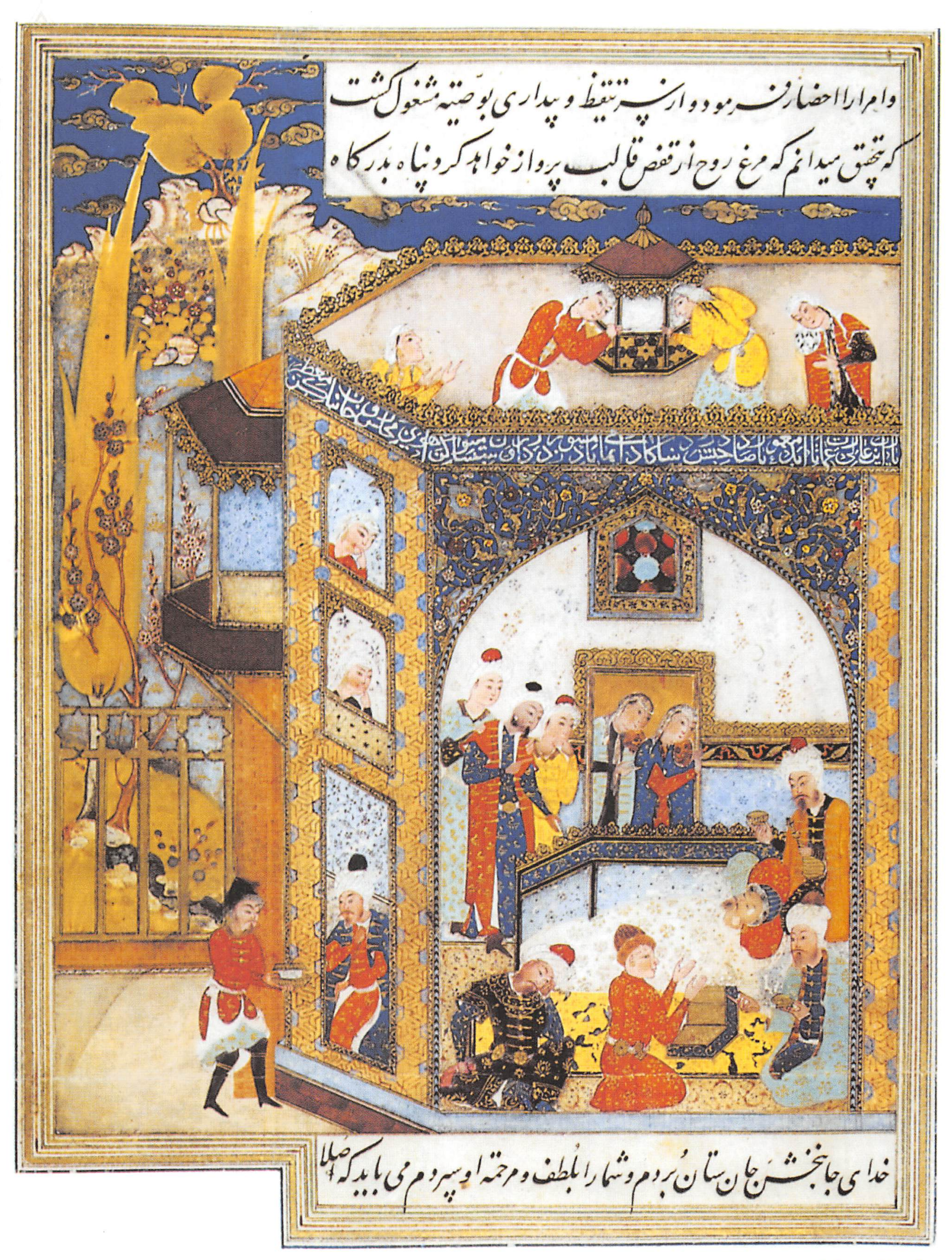


ضريح جور أمير – سمرقند





منظر لإحدى معارك تيمورلنك – سمرقند



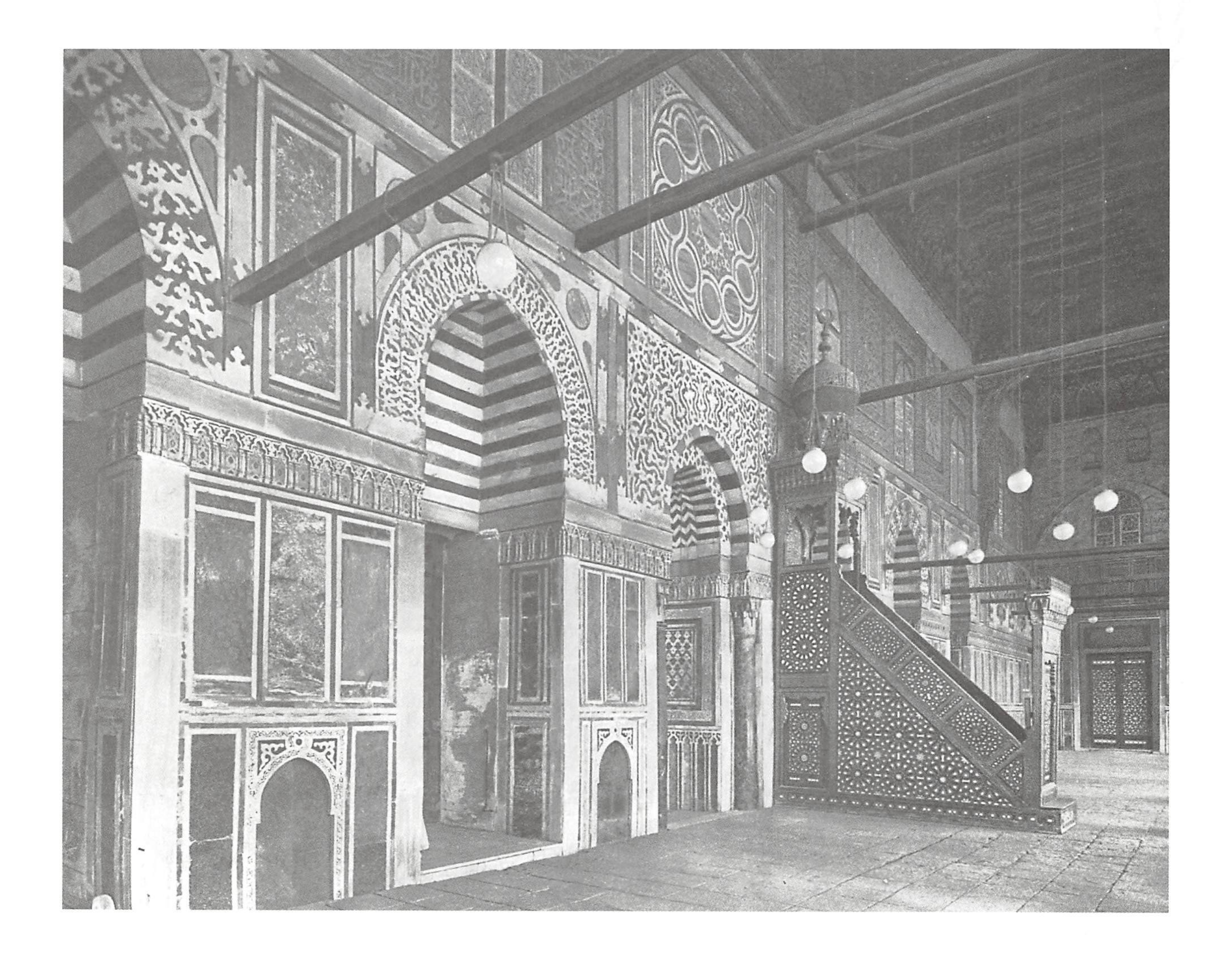
منظر وفاة تيمورلنك – سمرقند

ابن حجر العسقلاني

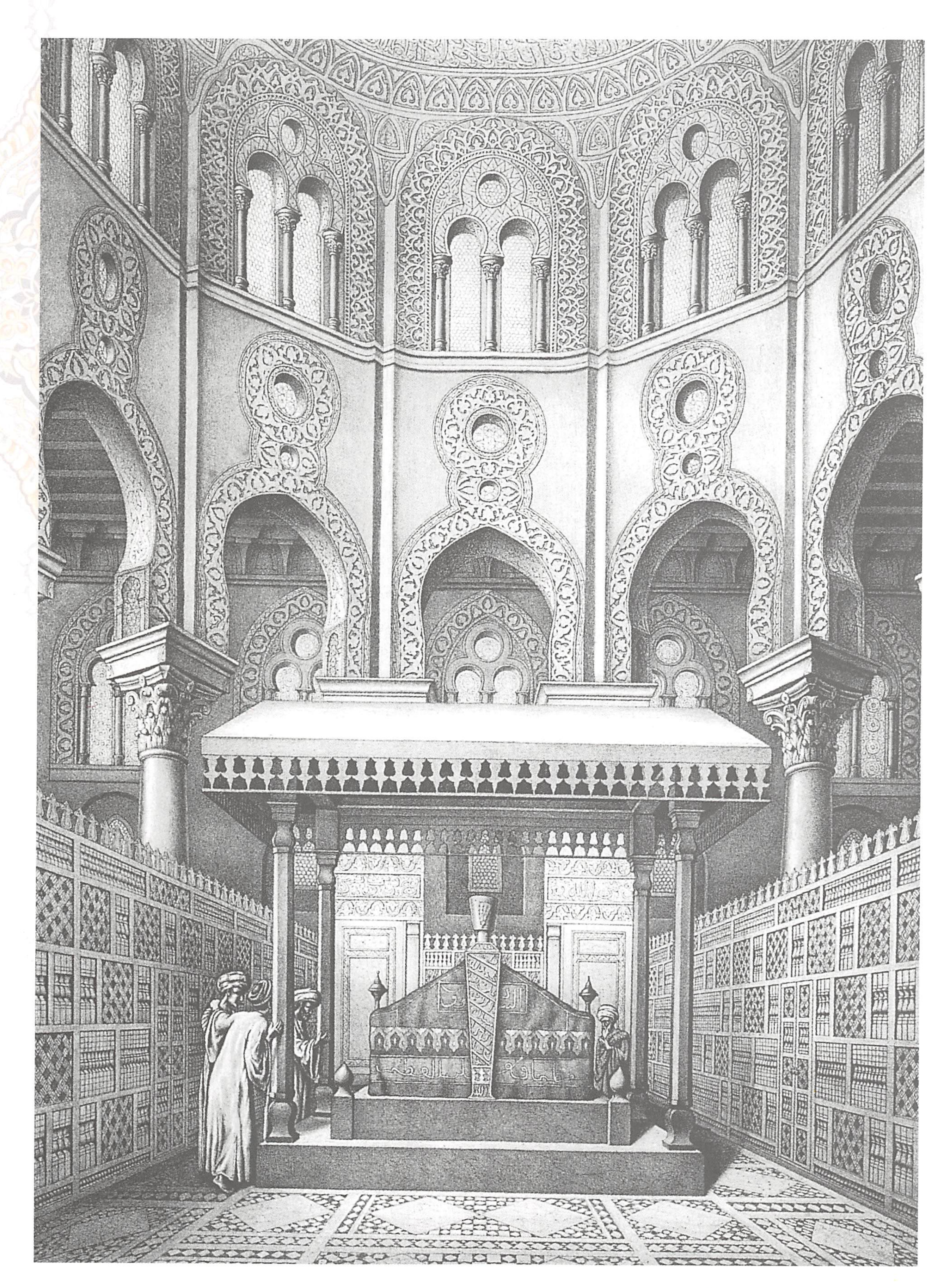
هو قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن أحمد العسقلاني الأصل، المصري المولد والنشأة، عرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه. ولد بالفسطاط في 12 شعبان سنة 773هـ، وتوفي سنة 852هـ، وكان عمره إذ ذاك تسعة وسبعين سنة.

نشأ يتيما فكفله وصي والده زكي الدين الخرنوبي كبير التجار بمصر، وعندما حج هذا الوصي سنة 784هـ اصطحب ابن حجر معه فمكنه ذلك من دراسة الحديث بمكة المكرمة وهو في سن الثانية عشرة من عمره، لما عاد إلى القاهرة درس على يد جماعة كبيرة من علماء عصره وفي مقدمتهم شمس الدين القطان، حيث درس ابن حجر الفقه واللغة وعلوم القرآن وشغف بالحديث.

خوذة الأشرف برسباي - القاهرة



مدرسة السلطان المؤيد شيخ- القاهرة



قبة السلطان المنصور قلاوون - القاهرة

عين ابن حجر العسقلاني، مرات عديدة في منصب القضاء وتولى التدريس في المدرسة الصالحية، والقبة المنصورية، والمدرسة المؤيدية، كما ولي الإفتاء بدار العدل، والخطابة بالجامع الأزهر ثم جامع عمرو بن العاص.

قام ابن حجر العسقلاني بعدة رحلات دراسية بالبلاد المصرية، والشامية، والحجازية واليمن، وانكب على دراسة الحديث وتصنيفه وبلغت مصنفاته في الحديث والفقه والتفسير وعلوم القرآن نحو مائة وخمسين مصنفًا من أشهرها: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، والإتقان في فضائل القرآن، وتعليق التعليق، والآيات النيرات في معرفة الخوارق والمعجزات. أما المؤلفات التاريخية فقد ألف ابن حجر العسقلاني عدة كتب: أهمها: إنباء الغمر بأبناء العمر، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ورفع الإصر عن قضاة مصر.



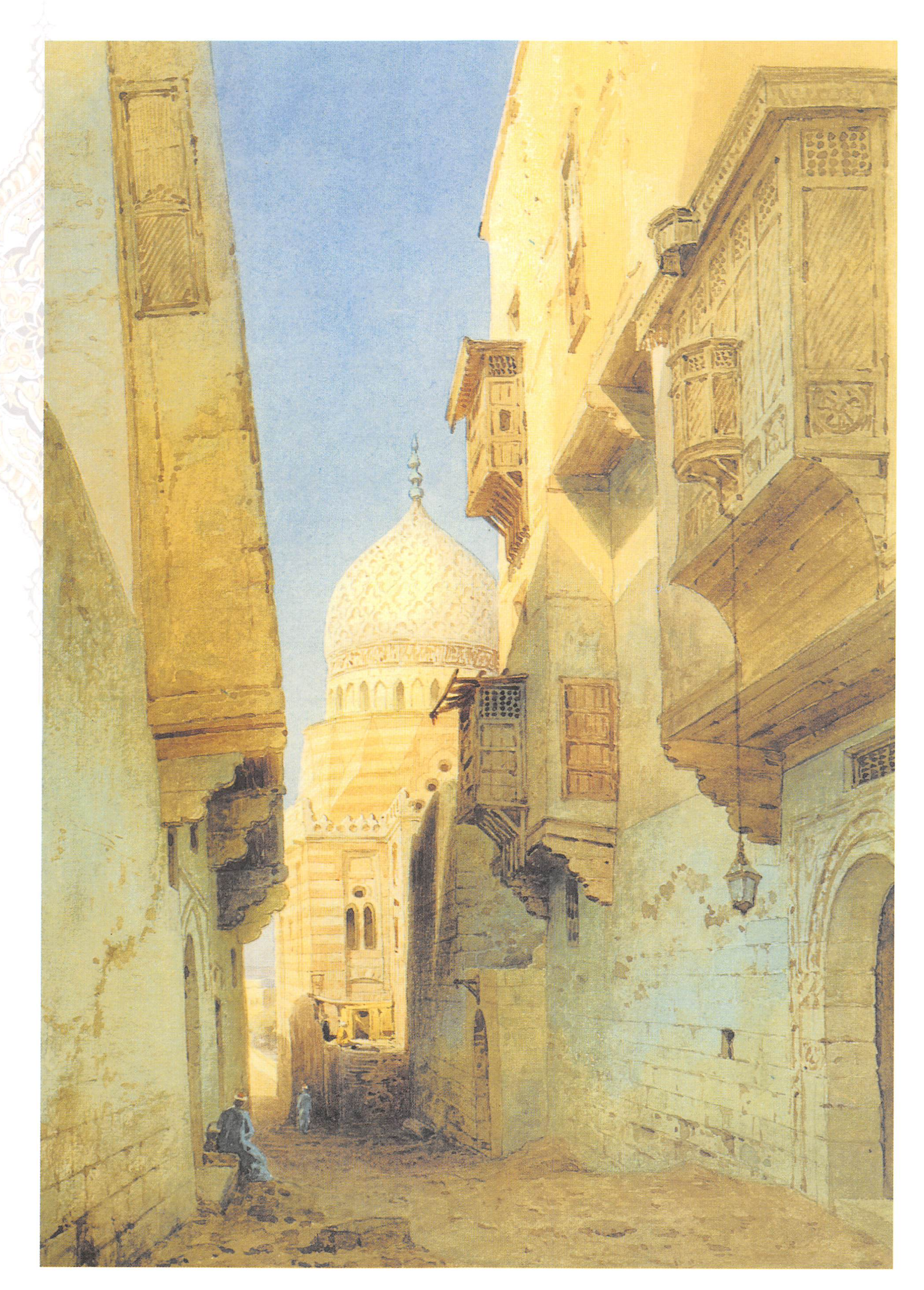
ابن بطوطة

ابن بطوطة – فاس

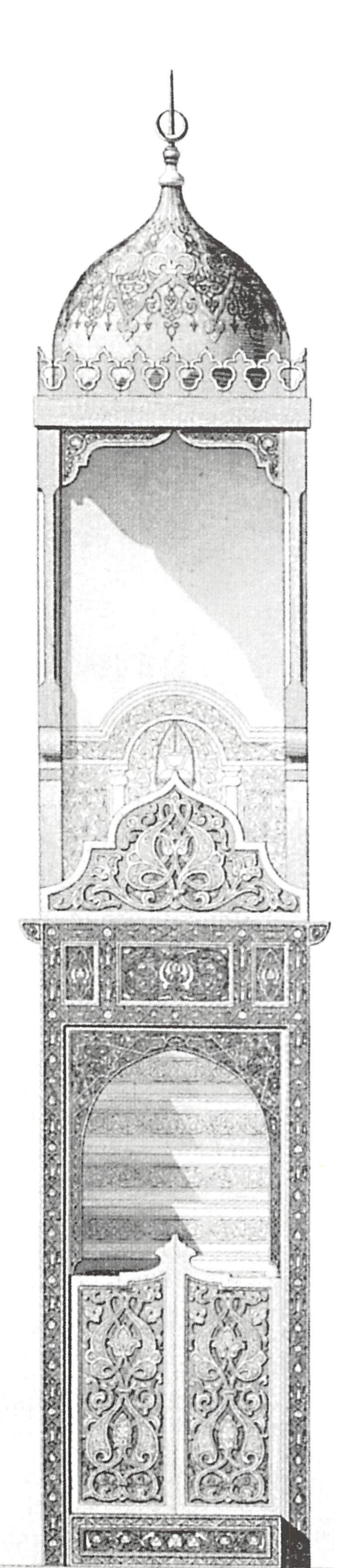
هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحالة ومؤرخ، ولد في مدينة طنجة سنة 703هـ، وتوفي في مدينة مراكش سنة 779هـ. في عام 725هـ خرج ابن بطوطة من طنجة، فطاف بلاد المغرب، ومصر، والشام، والحجاز، والعراق، وفارس، واليمن، والبحرين، وتركستان، وما وراء النهر، وبعض الهند، والصين، والجاوة، وبلاد التتر، وأواسط إفريقيا. اتصل بكثير من الملوك والأمراء فمدحهم– وكان ينظم الشعر– واستعان بهباتهم على أسفاره. وقبل عودته أخيرًا إلى فاس في المغرب خرج في رحلة صغيرة إلى إسبانيا ثم في سفارة جنوبية إلى الصحراء الكبرى. عاد بعدها إلى فاس، فانقطع إلى السلطان المريني أبي عنان. وأملى أخبار رحلته على محمد بن جزي الكلبي بمدينة فاس سنة 756هـ وسماها تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. واستغرقت رحلته 27 سنة، وامتدت لما يزيد عن 75 ميلا قطعها شرقا وغربا، شمالا وجنوبا. سجل خلالها مشاهداته وآرائه، منها ما ذكره كواقع عايشه أو كخبر سمعه، كوصفه لمشاهداته لمدينة القاهرة:



أم المدن، سيدة الأرياف العريضة، والأراضي المثمرة، لا حدود لمبانيها الكثيرة، لا نظير لجمالها وبهائها، ملتقى الرائح والغادي، سوق الضعيف والقوي... تمتد كموج البحر بما فيها من خلق بالكاد تسعهم...



شارع قاهري – القاهرة

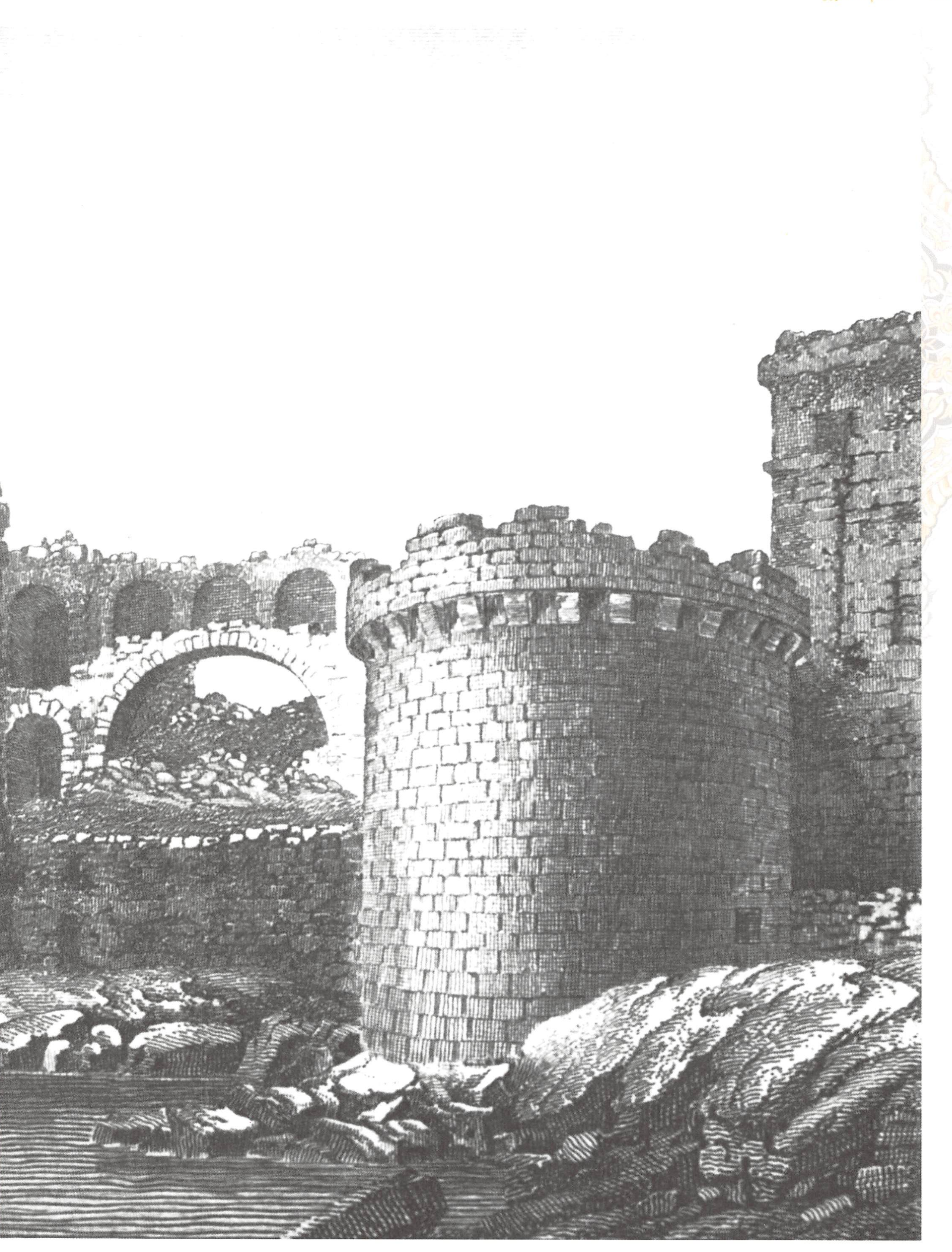


القلقشندي

هو القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ولد بقرية قلقشندة إحدى قرى مدينة قليوب سنة 756هـ، ودرس بالقاهرة والإسكندرية على يد أكابر شيوخ العصر وتخصص في الأدب والفقه الشافعي وبرع في علوم اللغة والبلاغة والإنشاء، وقد عمل في ديوان الإنشاء سنة 791هـ في عهد السلطان الظاهر برقوق واستمر فيه إلى آخر عهد الظاهر برقوق سنة 801هـ، خدم نائب الإسكندرية صلاح الدين بن عرام، وتوفي سنة 821هـ.

اشتغل القلقشندي بالتاريخ والأدب، أشهر مؤلفاته موسوعة صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ونهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، وقلائد الجمان في قبائل العربان، كما وضع مختصراً لكتابه صبح الأعشى عنوانه ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر، ووضع كتابا في الفقه الشافعي عنوانه الغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع.

منبر مملوكي – القاهرة



الأسوار والميناء - الإسكندرية



محمد الغني بالله

هو السلطان محمد الغني بالله بن يوسف الأول، سلطان غرناطة من بني الأحمر، تولى الحكم مرتين: المرة الأولى ما بين عامي 755-760هـ، والمرة الثانية: 762-794هـ.
شيد العديد من المنشآت في قصور الحمراء منها: المشور وواجهة قصر قمارش وبهو الريحان وزخارف ونقوش قاعة البركة التي تتقدم بهو السفراء، كذلك يرجع إلى السلطان محمد الخامس المجموعة المعمارية الشهيرة المعروفة بقصور بهو الأسود أو السباع الذي يضم قاعتي الأختين وبني سراج المتقابلتين، بالإضافة إلى قاعة الملوك وقاعة المقرنصات، ويتوسط البهو نافورة الأسود التي تتخذ شكل قصعة مستديرة يحملها اثنا عشر أسداً تمج من أفواهها المياه، ومن أبواب الحمراء التي قام بتجديدها محمد الخامس باب النبيذ بالإضافة إلى تجديداته للحمامات السلطانية.



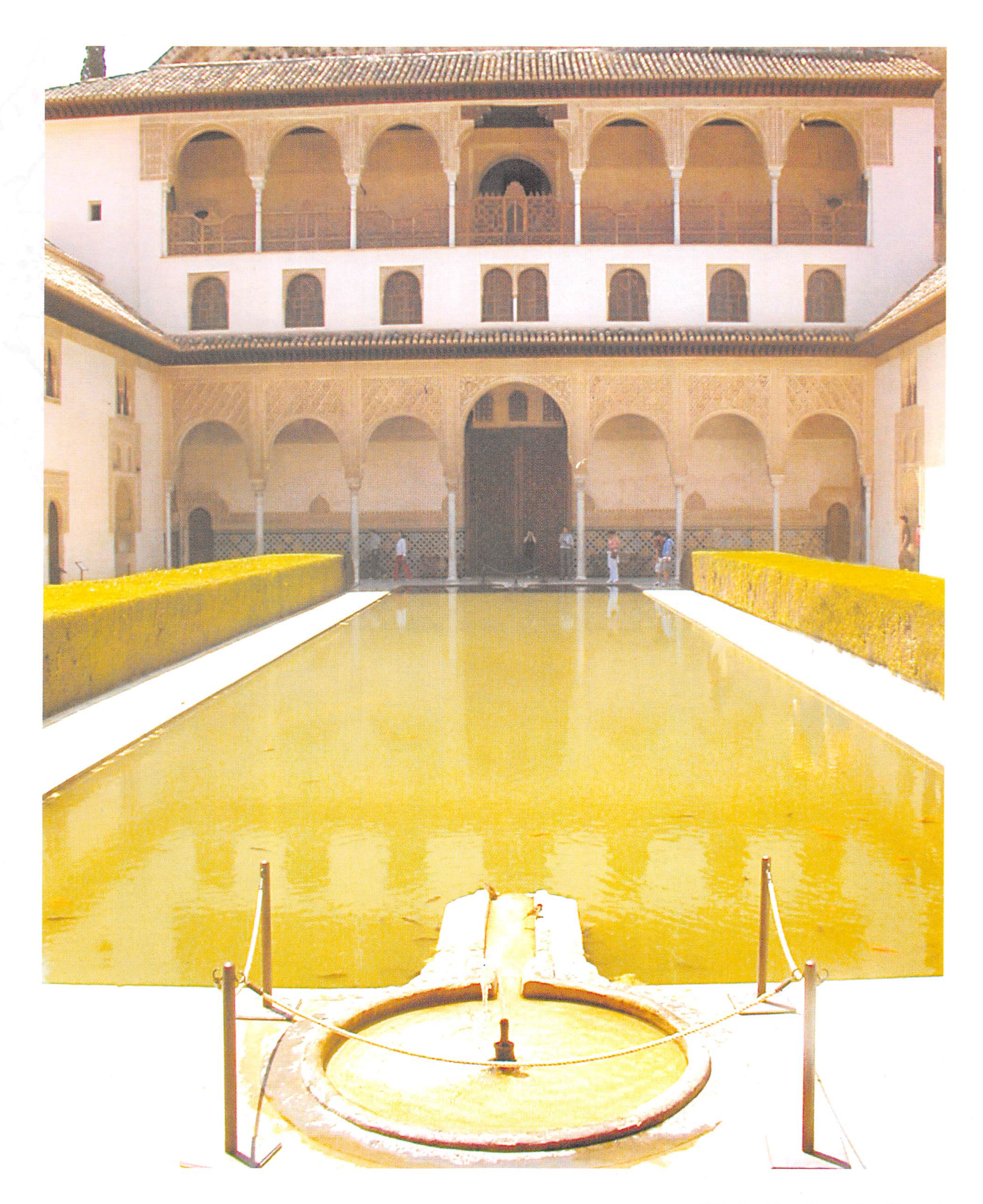
قصور الحمراء، قاعة الملوك
أحد ملوك بني الأحمر – غرناطة



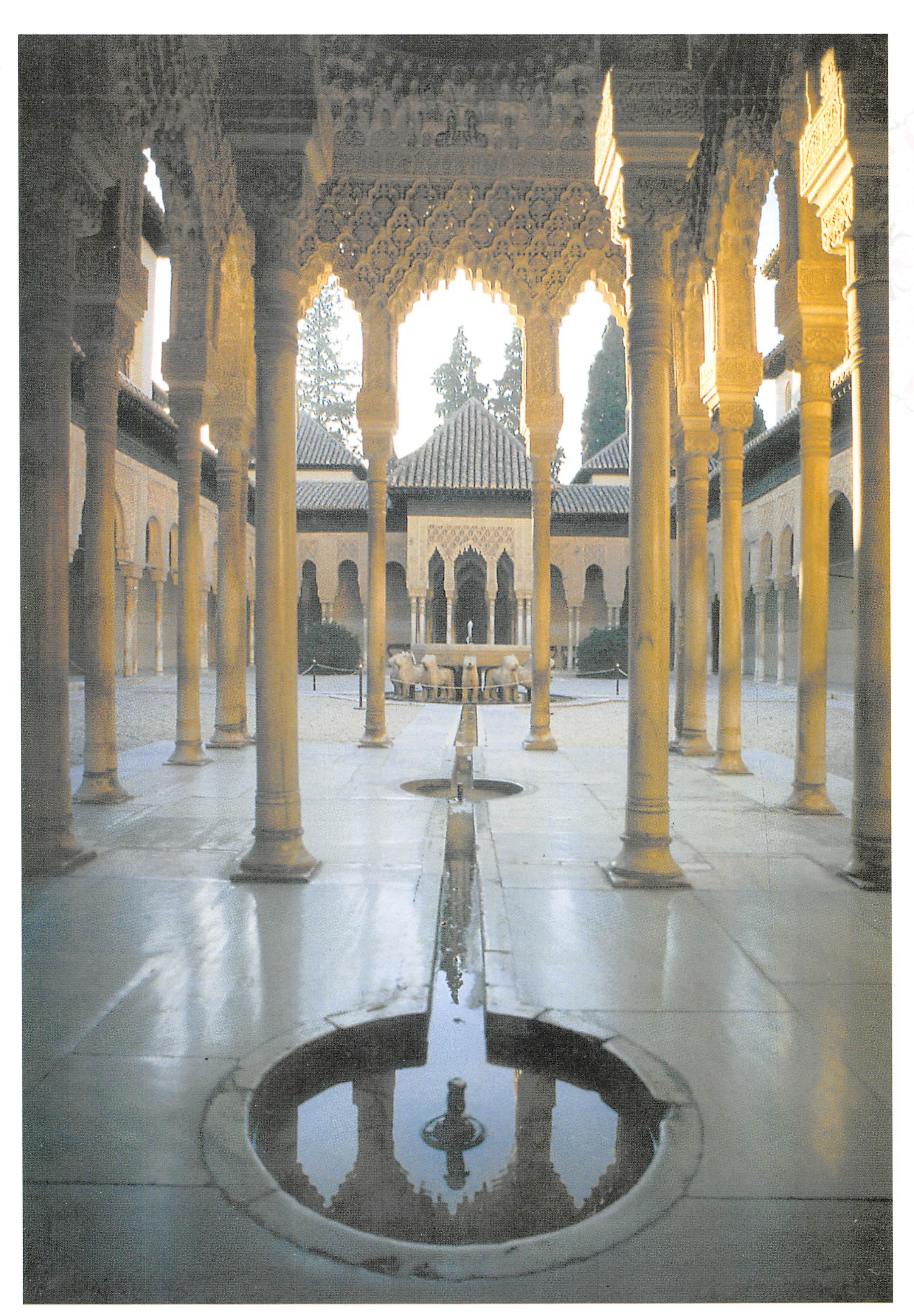
قصور الحمراء، قاعة الملوك
ملوك بني الأحمر – غرناطة



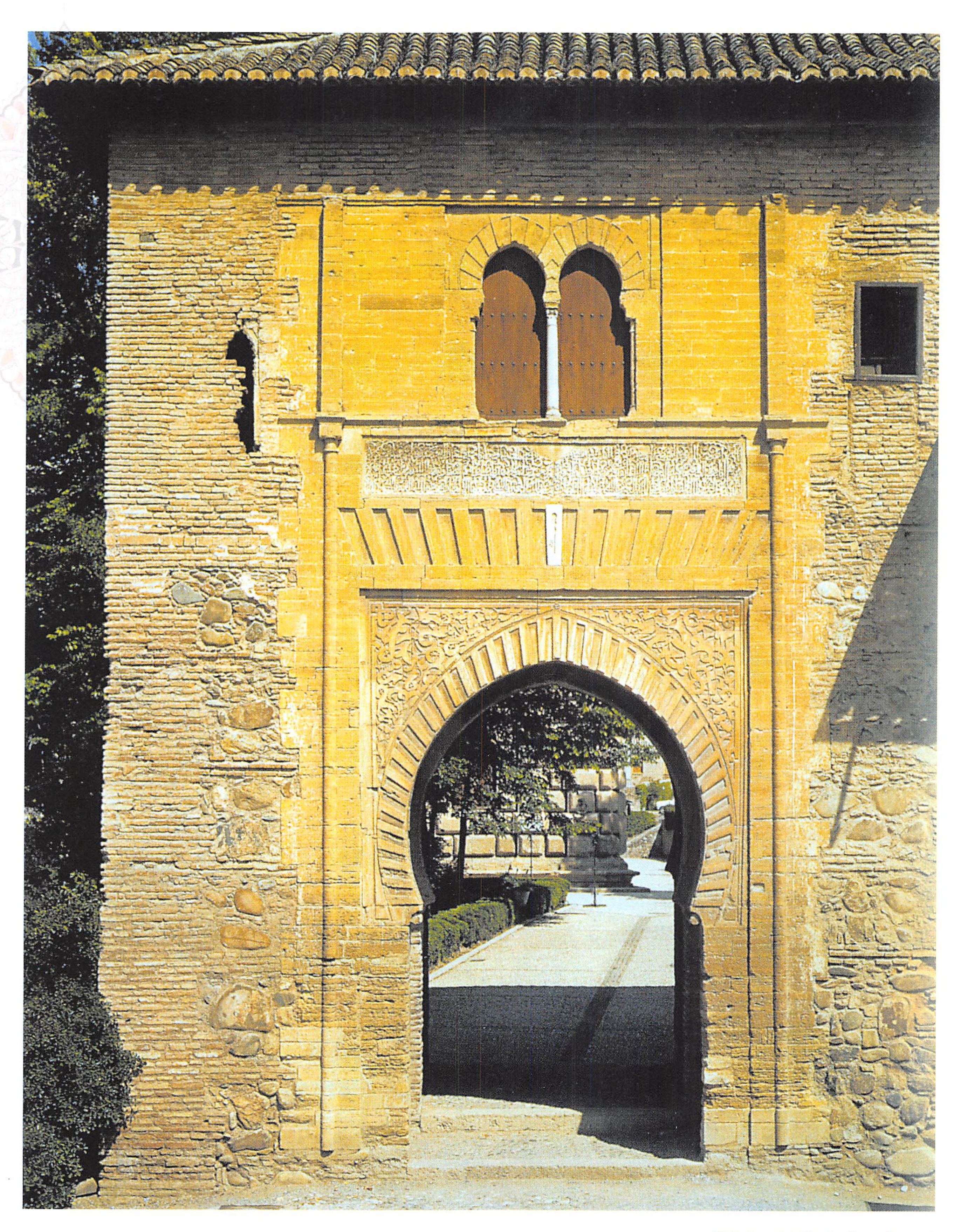
قصور الحمراء، قصر قمارش - غرناطة



قصور الحمراء، بهو الريحان - غرناطة



قصور الحمراء، بهو الأسود - غرناطة



قصور الحمراء، باب النبيذ - غرناطة

أبو عنان

هو السلطان أبو عنان فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، من ملوك بني مرين في المغرب، ولد في مدينة فاس الجديدة (المدينة البيضاء) سنة 729هـ، ولاه أبوه أمارة تلمسان، ثم ثار على أبيه وبويع في حياته سنة 749هـ، ولما مات أبوه سنة 752هـ استتب أمره فبدأ بإخضاع بني عبد الواد أمراء زناتة بتلمسان، وقصد إفريقية في سنة 758هـ فانتزع مدينتي قسنطينة وتونس من أيدي الحفصيين، عاد بعدها إلى فاس، حيث قام وزيره الحسن بن عمر الفردودي بقتله خنقًا سنة 759هـ.



فارس مغربي – فاس

FOREWORD

Why Ibn Khaldun?

This year, Egypt and the world celebrate the passing of six hundred years after the death of Ibn Khaldun: A genius, who, with a powerful flow of ideas and complete understanding of his age, gave us his magnum opus, the *Muqaddimah (Prolegomena)*. Whether one agrees with him or not, and whether one considers him a creator or a mere imitator—as few do—the truth remains that he was an innovator of a caliber rarely seen. Historical experience was his guide, truth his end, and analysis his means.

Scholars have long disputed the nature of his *Muqaddimah*: is it the basis of sociology? the origin of urban planning? or historiography at its best? The bewilderment is caused by the nature of the content of the *Muqaddimah*, which delves deep into several disciplines, which Ibn Khaldun combined, not simply for the purpose of hoarding knowledge, but for putting it to use where called for.

The *Muqaddimah* held some of the symptoms of the collapse of the Islamic civilization and the disintegration of the Islamic stronghold. Our current need to pay more attention to Ibn Khaldun's *Muqaddimah* reflects the need to fathom why nations fall and why they rise, and how societies hold together or fall apart. Major contemporary human disciplines such as historiography, political sciences, anthropology, archeology, and economics, lead us directly to the root of Khaldunism. Ibn Khaldun is the product of a magnificent civilization with a large store of accumulated experience and knowledge, all fused together by this inspiring scholar into an equally magnificent expression of Arab and Islamic thought.

The *Muqaddimah* has always captured my attention with its author's idea of dialogue—at times, even his dialogue with himself—which, most unfortunately, has not taken root. The Bibliotheca Alexandrina's participation in this celebration reflects our goal of affirming the importance of science and scientists in the life of nations. As we celebrated the centenary of Einstein's *annus mirabilis*, and that of Imam Mohammed Abdou's death, the Bibliotheca Alexandrina, together with



فارس مغربي – فاس

INTRODUCTION

With Ibn Khaldun

With Ibn Khaldun on His Journey is a new kind of travelogue that I present to all of those who admire this great pioneer. It was Ibn Khaldun who inspired my doctoral thesis. My fascination with him is boundless. When I visited Granada in July 2006, I found that Spain was celebrating him. A visit to Alhambra, where Ibn Khaldun lived for a long stretch of time, was behind the idea of this book. The committee responsible for the organization of the Ibn Khaldun celebration accepted the proposal. Myself and my colleague Mohamed el Sayyed joined hands in preparing the work at hand.

It required a grueling effort to present the text in a simplified form. A tremendous discrepancy exists between the language used by Ibn Khaldun and contemporary Arabic. As a poet and a man of letters, Ibn Khaldun addressed his contemporaries in their language. Arabic, at the time, was at its best, and language was savored. The Arabic language of today is much simpler, yet smoother. For that reason, as well as for the fierce competition faced by the book as a source of knowledge and entertainment, the element of visual expression through pictures was used.

The reader's imagination is invoked and virtually immersed in the atmosphere of the age in which Ibn Khaldun lived and acquired a wealth of experiences. The reader will enjoy pictures depicting a range of locations, from Morocco and Andalusia, to Egypt, the Levant, and the Hejaz. The reader will accompany Ibn Khaldun through his life and journey, as the textual medium merges with the visual. *With Ibn Khaldun on His Journey* the reader experiences the locations where Ibn Khaldun lived, worked, and was eventually buried. The reader is also introduced to the sultans, statesmen, scholars, and men of letters who shared Ibn Khaldun's world, as well as the masterpieces of Islamic art created in his time.

My colleague Mohamed el Sayyed and myself invite you to join us with Ibn Khaldun on his journey.

Khaled Azab,
Director of the Media Department at the
Bibliotheca Alexandrina

the Higher Council for Culture and the Egyptian National Library and Archives, celebrates Ibn Khaldun, who lived and died in Egypt.

It was a brilliant idea from Dr. Khaled Azab to present the journey of Ibn Khaldun in the light of his times, yet in a compellingly contemporary manner that captures and engrosses the reader in Ibn Khaldun's times. Through text and picture, we come to know the most prominent places that he passed through, resided in, or visited, and the personages he encountered along his journey. It is indeed a brand new kind of travelogue given to us by colleagues Dr. Khaled Azab and Mohamed el Sayyed. I offer them both my heartfelt thanks in appreciation for the effort they put into the project, alongside colleague Hebatallah Hegazey, who designed this work.

Ismail Serageldin,
Director of the Bibliotheca Alexandrina

FOREWORD

Why Ibn Khaldun?

This year, Egypt and the world celebrate the passing of six hundred years after the death of Ibn Khaldun: A genius, who, with a powerful flow of ideas and complete understanding of his age, gave us his magnum opus, the *Muqaddimah (Prolegomena)*. Whether one agrees with him or not, and whether one considers him a creator or a mere imitator—as few do—the truth remains that he was an innovator of a caliber rarely seen. Historical experience was his guide, truth his end, and analysis his means.

Scholars have long disputed the nature of his *Muqaddimah*: is it the basis of sociology? the origin of urban planning? or historiography at its best? The bewilderment is caused by the nature of the content of the *Muqaddimah*, which delves deep into several disciplines, which Ibn Khaldun combined, not simply for the purpose of hoarding knowledge, but for putting it to use where called for.

The *Muqaddimah* held some of the symptoms of the collapse of the Islamic civilization and the disintegration of the Islamic stronghold. Our current need to pay more attention to Ibn Khaldun's *Muqaddimah* reflects the need to fathom why nations fall and why they rise, and how societies hold together or fall apart. Major contemporary human disciplines such as historiography, political sciences, anthropology, archeology, and economics, lead us directly to the root of Khaldunism. Ibn Khaldun is the product of a magnificent civilization with a large store of accumulated experience and knowledge, all fused together by this inspiring scholar into an equally magnificent expression of Arab and Islamic thought.

The *Muqaddimah* has always captured my attention with its author's idea of dialogue—at times, even his dialogue with himself—which, most unfortunately, has not taken root. The Bibliotheca Alexandrina's participation in this celebration reflects our goal of affirming the importance of science and scientists in the life of nations. As we celebrated the centenary of Einstein's *annus mirabilis*, and that of Imam Mohammed Abdou's death, the Bibliotheca Alexandrina, together with



With Ibn Khaldun.. on His Journey

Foreword
Ismail Serageldin

2006